الدكتور علي قائمي

الأسرة... ومسائل الجنس

عند الناشئين

دار البلاغة

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٢٣
ترخيص رقم :(٧١)

الأسرة... ومسائل الجنس

عند الناشئين

٢٠١٠/٤
ق ع م

دكتور علي قائمي

الأسرة... ومسائل الجنس

عند الناشئين

دار البلاغة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٩٩٧م - ١٤١٧هـ

دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٨٣٤٢٦٥ - ٨٢٦٥٣١ - ٨٢٠٣٢٠

فاكس: ٨٣٤٢٦٥ - ص. ب: ٢٥/١٦ غبيري - بيروت - لبنان

المقدّمة

تُعتبر الوضعية الجنسية والقضايا الجنسية من المسائل المهمة التي كثيراً ما يتناولها علماء النفس والباحثون في الميدان النفسي والميدان التربوي وعلماء الجريمة وغيرهم من المهتمين بالمسائل الإنسانية. وهناك آراء متباينة جداً بشأن تنميتها أو تعديلها أو حتىٰ كبتهاأحياناً.

وقد بالغ أنصار مذهب التحليل الروحي وعلماء النفس من أمثال فرويد في تصوير قوّتها وإعطائها المقام الأول من بين الغرائز والدوافع الأخرىٰ. بينما اعتبرها قسم آخر من الباحثين النفسيين ـ وخاصة الباحثين في مجال علم النفس الاجتماعي ـ ليست علىٰ ذلك المستوىٰ من الأهمية، وأنها تبدو استثنائية وأكثر أهمية لسبب واحد فقط ألا وهو إشباعها المتأخر وامتدادها الزمني.

يمكن للقضية الجنسيّة أن تكون من أسمىٰ شواخص الذوق الفني الإنساني؛ إذ أن بإمكانها توفير الأجواء التي تساعد علىٰ تسامي الإنسان ورفعته، أو علىٰ العكس من ذلك حيث تهيّىء له الأرضية للسقوط والانحطاط. فالانزلاق الجنسي هو مما تستهجنه المجتمعات والأديان، وهناك صورة غامضة في علم النفس عن كيفية حل معضلاتها، وحتّىٰ أنها تُعتبر أمراً غامضاً بالنسبة إلىٰ البعض منهم.

آراء في كيفية استخدام الغريزة:

أصل وجود الغريزة في الإنسان أمرٌ لا يمكن إنكاره ، وكذلك لا نقاش

في أن للغريزة مظاهر مختلفة في المراحل المختلفة للحياة، وهذا ما يستوجب ظهور الأمنيات المتنوعة، ولكن البحث يدور في كيفية التعامل معها، فقد طرحت آراء مختلفة في هذا المجال، يمكن تقسيمها بشكل عام إلىٰ ثلاثة محاور، وهي كما يلي:

١ ـ الرأي القائل بضرورة منعها والسيطرة عليها بشكل كامل، إذ يعتبر المسائل الجنسية أموراً دنيئة وقبيحة، وأن قدسية الإنسان تتكامل من خلال تركه للغريزة. ويوصي كل مَن أراد الطُهر والنزاهة بأن لا يستسلم لأمر الزواج، ويختار حياة العزوبية، وهذا ما نشاهده اليوم لدىٰ المسيحية الكاثوليكية، وهو ما يوصي به علناً القائمون علىٰ شؤونها.

٢ ـ الرأي القائل بتعديل الغريزة والحيلولة دون تناميها، وهذا الرأي يؤمن بأنّ إشباعها يجب أن يتم في إطار الضوابط الشرعية. والحريات في هذا المجال ينبغي أن تكون مقيّدة ومشروطة. والإسلام يؤمن بهذا الرأي ويؤيده. فالإسلام يعتبر تجاوز الحدود الشرعية في إشباع الغريزة انحرافاً ومنزلقاً حدد له أنواعاً من الجزاء والعقوبة.

٣ ـ وأخيراً الرأي الثالث الذي يقول بالحرية المطلقة والتحلل الأخلاقي، ويعتبر أن من حق الإنسان إشباع غرائزه بالشكل الذي يريد، والحاجة الجنسية في رأيه لا تختلف عن الحاجة إلىٰ دفع الفضلات، فهي لا تخضع للزمان والقيود والحدود. ونحن نلاحظ اليوم مظاهر هذا الأسلوب من التفكير في حياة الشعوب الغربية وفي قالب الفرويديّة.

أدلة المعتقدين بالحريّة المطلقة:

يعتقد هؤلاء بأن منع الأشخاص وخاصة الأطفال من إشباع غرائزهم بشكل إباحي سيؤدي إلىٰ إيجاد عقدةٍ في نفوسهم. وأن وضع أي نوع من الحدود في هذا المجال سيحرم الإنسان من نمو شخصيته بشكل كامل. ويقولون: أن انعدام العلاقات الجنسية الحرّة في دور الطفولة والشباب سيكون

سبباً في عدم تأدية دورهم بنجاح في الحياة الزوجيّة اللّاحقة، فلن يكون بإمكان الفتيان أن يكونوا أزواجاً في المستقبل، ولا الفتيات يمكنهن أن يكُنَّ زوجات ناجحات!

ويقولون أيضاً: إن الأطفال يرغبون ذاتياً في إقامة العلاقات الجنسية مع والديهم!! فالفتاة تنافس أمّها علىٰ الأب، والفتىٰ هو المنافِس لأبيه علىٰ أمّه. فمن الضروري أن تكون العلاقات حرّة من أجل حل عقدة أوديب أو ألكترا، أو الشعور بالعقم الجنسي.

فمداعبة الأطفال لأنفسهم والاستمناء والشذوذ، والنظر إلىٰ عورات الآخرين، وإظهار العورة لا يُعتبر عيباً في رأيهم. وللطفل الحريّة الكاملة في اللعب بجهازه التناسلي، كما إن له الحرية في اللعب بغائطه. ولكي لا يشمئز الطفل من غائطه وتكون له رغبة فيه، ينبغي تكوين عجينة علىٰ شكل الغائط مؤلفة من الماء والرمل والطين واللون القهوائي ووضعها بين يدي الطفل ليلعب بها ويتلذذ بها. (الدكتور حاييم جينوت كتاب علاقات الآباء والابناء ص ١٨١).

نعم هذا هو فكر العالم الغربي، والمؤسف أن بعض علمائنا من تلامذة أولئك الأساتذة أخذ يلفّق بعض هذه الأقاويل ويطرحها علىٰ أفكار أبناء شعبه المسلم!

التمسك بتدريس الجنس:

وهم يؤمنون أيضاً بأن التعليم الجنسي في المدارس وحتّىٰ في الوسط العائلي، ضروري جداً. ويجب أن يذهب الأب والأم والفتىٰ والفتاة إلىٰ الحمام سويّة ويتعروا أمام بعضهم، وإن سأل الطفل عن أعضاء بدنهم فعليهم الإجابة بمنتهىٰ العطف. ويشيرون إليه طبعاً بأن العلاقة الجنسية بالنسبة لك لا ضرورة لها في الوقت الحاضر!! أترك هذه القضية للمستقبل!! ومن المؤكد أن الطفل سيقتنع بذلك!!

نعم، إننا نعرف الكثير من الكُتّاب الغربيين وتلامذتهم الشرقيين الذين تحترق قلوبهم لمصلحة الأطفال!! فلماذا يبقىٰ جزء من اعضاء بدنهم مجهولاً لهم، وواجباته غير معروفة؟!! حتّىٰ إنهم يلومون الآباء والأمّهات، لماذا لا يعلّمون هذه المسائل للأطفال والفتيان؟ ولماذا لا يُطلعون الأطفال الأبرياء!! علىٰ هذه المجالات؟ ظنّاً منهم أن هؤلاء الأطفال عندما سيتزوّجون فيما بعد سيتعرّضون للحيرة في ليلة الزفاف!! وستصبح حياتهم عرضة للدمار!!

تصوراتهم وأفكارهم:

نعم، فهؤلاء يتصوّرون أن الحياة تعني الجنس، وكل ما سوىٰ ذلك لا يساوي شيئاً. فالغريزة ينبغي إشباعها وبأي شكل من الأشكال. فهم لا يعترفون بوجود شيء اسمه الحياء الجنسي، ولا يشيرون إلىٰ اسمه أصلاً؛ لأنهم يؤمنون بمشاعية الجنس والإباحية الجنسية.

وفي رأينا إن أكثر هؤلاء مرضىٰ، وملوّثون وفاسدون وهم مصابون بالتحلل والفساد، أو علىٰ أقل تقدير أنهم يريدون مصلحة الأطفال ولكن بأسلوب أحمق. ويبغون منذ الآن ـ جهلاً منهم ـ أن يجعلوا عالم الأطفال مظلماً سوداوياً، حتّىٰ أن بعضهم كتب أنه لكي يزول الحياء الجنسي، قدموا الخمر للأطفال لتجعلوهم يتصرون علىٰ العقبات الجنسية!!

يقترح البعض منهم والذين يعتبرون أنفسهم أعلم من الله بالأمور (طبعاً إذا كانوا يُقرّون بوجود الله) أن تكون المدارس مختلطة في جميع مراحل التعليم لكي يتآلف الأطفال الفتيان والفتيات مع بعضهم عملياً ويتعلموا أسلوب الحياة المشتركة. فهؤلاء لا يتورّعون عن الفوضىٰ الجنسية، وإن ظهر أيُّ نوع من الفساد نتيجة لهذا التآلف وتعرّضت العائلة للتصدّع والزوال، فهم لا يخشون ذلك، بل ربما كان ذلك هو عين مرادهم.

حصيلة هذا التفكير:

تُظهر الدراسات التي أُجريت علىٰ المجتمعات المختلفة، أن أي مكانٍ

انتشرت فيه هذه الأفكار، وصلت فيه الانحرافات الجنسية إلىٰ أوجها، وتعرضت العائلة فيه إلى أقصىٰ درجات التفكك والهروب من المسؤولية المشتركة. إننا نواجه اليوم في الغرب عالماً انتشر فيه التلوّث الجنسي حتّىٰ عمَّ الأطفال الصغار أيضاً، وحسب ما نقله المدّرّب الروسي ماكارنكو أن فتاة واحدة تبلغ ١٤ عاماً من العمر في الاتحاد السوفييتي قد أصابت ٤٣ رجلاً بالأمراض الجنسية.

إن تأمل الوضع السائد لدىٰ الأقوام والشعوب وخاصة في العالم الغربي، يوصلنا إلىٰ هذه النتيجة وهي أن الانحرافات الجنسية والأهم من ذلك أمراض الاتصال الجنسي أكثر بكثير مما تشير إليه الإحصائيات، ورغم كل الجهود المبذولة لاستئصالها فلا زالت هناك نسبة مئوية عالية من الانحرافات والأمراض مجهولة لدىٰ الباحثين وبعيدة عن متناول أيديهم.

لقد وصل الانحراف الجنسي في المجتمعات الغربية إلىٰ حد ـ كما أشارت إحدىٰ الدراسات إلىٰ ذلك ـ بحيث أن ما يقارب ثلث الأطفال الذين لم يبلغوا عامهم العاشر ملوّثون جنسياً، وحتّىٰ أن نصف هذا العدد لهم علاقات جنسية مع الجنس المغاير. في حين أننا نعلم بأن أغلب الممارسات المنحرفة تحصل بعيداً عن أعين الشرطة والمسؤولين والغالبية منها تحدث في الخلوة.

ولقد اتسعت دائرة التلوث حتّىٰ شملت اعضاء العائلة الواحدة بالنسبة إلىٰ بعضهم البعض. فالأطفال الصغار في العالم الغربي، فتياناً وفتيات، معرّضون لاستغلال طالبي الشهوة حتّىٰ من أعضاء عوائلهم، والبلوغ المبكر ـ الذي يُعتبر خطراً يهدد المجتمع ـ أخذ يتزايد بسبب الظروف البيئية والاجتماعية. وبدل أن ينصبَّ اهتمام الأطفال في المدرسة والمجتمع علىٰ تعلّم المواضيع الأخلاقية والإنسانية، نراهم يركّزون أفكارهم علىٰ قضايا واهتماماتٍ أخرىٰ.

في التأليف وتدوين المباحث:

نحن نعلم جيّداً بأن تقديم الدراسات والبحوث في هذا المجال، مع مراعاة الجوانب الإسلامية، والأخذ بنظر الاعتبار أنها تُنشر لأوّل مرّة بلغة علمية عصرية، عمل لا يخلو من المصاعب. ولكنني سوف أحاول، وبالاتكال علىٰ العناية الربّانية والاستعانة بالأرواح الطيّبة للمعصومين عليهم السلام والتي ترعىٰ كل جهد يقوم به الجيل المؤمن الذي يرفع راية الإسلام اليوم أن لا تكون كتابتي هذه سبباً لإثارة الانحراف، وأن لا تؤدي إلىٰ إيقاظ غريزة مَن يلقي نظرة عليها وغريزته في حالة سبات، وقد دعوت الله لأن يوفقني في هذا المسعىٰ.

وقد حاولت إغناء البحث وعرضه بصورة علمية من خلال الأخذ بالآراء المؤيدة والمعارضة، وأن لا أبدي أيّة وجهة نظر في هذا الشأن جهلاً أو أقبلها قبولاً أعمىٰ. وستدركون من خلال مطالعتكم لفهرست المصادر مدىٰ الجهود التي بذلتها لدراسة الآراء المختلفة.

ولا بد لي أن أشير إلىٰ أن هذا البحث قد كُتب من قِبَل معلم له اطلاع لا بأس به علىٰ المسائل التربوية، وبالنتيجة فمن غير المتوقّع أن يشتمل علىٰ الجوانب الطبيّة والعلاجية، ويجب مراجعة أهل الاختصاص في هذا الجانب.

نأمل أن يكون هذا الكتاب باباً للآباء والأمهات والمعلمين، وبشكل عام لجميع محبي الخير والصلاح للإنسانية، يعينهم علىٰ حل بعض العقد التي يواجهونها في مجال الانحراف الجنسي وأستعين بالله إنه نعم النصير.

علي قائمي

أسلوب تفكيرنا:

يختلف أسلوب تفكيرنا وموقفنا تجاه الجنس اختلافاً كاملاً من نواحي الشرع والعرف عن أسلوب التفكير الغربي ـ فنحن نعتبر الخجل والحياء في مجال الأمور الجنسية من الأصول الأساسية لدىٰ الإنسان. ونعارض التحلل الجنسي بشدّة، ونؤمن بأن ذلك مفسدة للفرد وللمجتمع. فنحن ـ وعلىٰ النقيض من رأي فرويد ـ لا نحبّذ تطوّر الطفل في مجال الجنس ونسعىٰ لإدخال الحقائق المتعلّقة بالغريزة الجنسية، إلىٰ حياة الإنسان في الوقت المناسب وأن لا نوقظ ما هو في حالة سُبات من سباته. ونؤمن بأنَّ هناك مجموعة من الشروط الشرعية التي ينبغي توفّرها لإشباع الغريزة بما في ذلك البلوغ العقلي، ووجود علاقة التعاقد، والحريّة والاختيار. نريد تحقيق الميول الجنسية في قالب الزواج المشروع، ونلجم تلك الميول برباطٍ حسنٍ، بحيث لا تتعدىٰ حدود الزوج والزوجة ولا تمتد إلىٰ غير هذين الإثنين.

نحن نؤمن بضرورة وجود التربية الجنسية، ولكن غرضنا من ذلك هو تهذيبها وتوجيهها لا إثارتها وتحفيزها. نحن نعتبر الغريزة الجنسية مهمة، ولكن ليس بالشكل الذي تصبح معه جميع القضايا والأمور الفنيّة والذوقية والأخلاقية والدينية والأدبية والفلسفية رهينة بها. ونحن نعتبر دراستها ضرورية أيضاً ولكننا غير مستعدّين لطرحها في المجتمع أو في الكتب والنشريات بما يخالف الآداب العامة، من أجل إصلاح الزلل وتقويم المنحرفين. ونعتبر طرحها في الظرف غير المناسب، وعدم السيطرة علىٰ دراستها وبحثها بشأن الأطفال، من عوامل شقاء الفرد والمجتمع، ولا نرى ضرورة تستوجب ذكر المزيد من الوثائق والإحصائيات. ويكفينا ما قد رأيناه وسمعناه عن الغرب، وحتىٰ عن إيران ما قبل الثورة الإسلامية.

عملنا في هذه الدراسة:

العمل الذي أنجزناه في هذه السلسلة من البحوث هو دراسة قصيرة

ومرور عابر علىٰ القضايا الجنسية للأطفال والفتيان، والتي تواجه الكثير من العوائل وأرباب المدارس. وغرضنا من هذه الدراسة هو :

أوّلاً : استعراض صورة واضحة عن الحالات ... ... لفة للانحرافات الجنسية في حياة الطفل والصبي، لكي نتعرف علىٰ ظروف حياته.

ثانياً : وليكون ذلك إنذاراً للآباء والمعلمين من أجل أن يتمكنوا من فهم انحرافات أبنائهم، وليعملوا في الوقت المناسب للحيلولة دون انزلاقهم، ولكي لا يحلّ ذلك اليوم الذي يندمون فيه علىٰ ما فات.

ثالثاً : التعرف علىٰ العوائق التي تعترض نمو أطفالهم، وتكون سبباً في انحرافهم، والسعي من أجل سلامة وحفظ شرف أبنائهم، وتنقية المحيط الاجتماعي من أنواع التلوّث، وأداء الدين الذي في رقابهم تجاه أبنائهم.

ولقد سعينا في هذا السبيل جهد الإمكان إلىٰ إعداد وطرح الحلول المناسبة، وأن يكون بحثنا متّسِقاً مع الأسس والمبادىء العلمية، لكي لا يكون بحثنا مستنِداً علىٰ المشاعر والأحاسيس التي لا طائل من ورائها. وأنتم تعلمون طبعاً أن الغربيين لم يطرحوا في كتبهم أساليب الحل لرفع هذه المخاطر والمنزلقات، وذلك لأن العلاقات الجنسية الحرّة لا تشكل مسألة ذات أهمية في نظرهم، وما نعتبره نحن انحرافاً لا يعتبرونه هم كذلك.

والمصادر التي اعتمدناها في هذا البحث هي نفس كتب الغربيين التي ستجدونها في فهرست المصادر المدوّن في خاتمة هذا الكتاب. أما فيما يتعلق بالمواقف وأساليب الحل وإزالة العراقيل والمصاعب، فقد سعينا للاستفادة من المصادر الإسلامية أو من الكتب التي لا يستمد مؤلفوها آراءهم من الأفكار الملوّثة لدعاة التحرر والعلاقات الجنسية. والظاهر أن دعاة العلاقات الإباحية قد أدركوا في بعض الأوقات أن السيل قد بلغ الزُبا، فحاولوا إظهاره بصورة طبيعية، فعرضوا بعض أساليب الحل المناسبة.

الباب الأول

ـ المدخل ـ

يمثل هذا الفصل مدخلاً إلىٰ بحث واسع نسبياً يتعلق بالانحرافات الجنسية. وسوف نقوم بدراسة هذا الباب علىٰ شكل ثلاثة فصول:

يتعلق الفصل الأول منه بالغريزة الجنسية وأهميّتها. حيث سنتحدث فيه عن موضوع الغريزة والميول الجنسية لدىٰ الإنسان، وأهمية تلك الغريزة في حياة الفرد والجماعة. وستتكلم أيضاً عن مدىٰ قوّتها والأعراض التي تنشأ عن كبتها، والآراء المطروحة حول حريّة الغريزة.

وسيتناول الفصل الثاني من هذا الباب دور الغريزة في حياة الإنسان، وجانب التحوّل الذي يطرأ عليها، والعلاقة التي يمكن أن تكون لهذا الجانب بشخصية الإنسان.

وسنبحث في الآثار الوجودية لهذه الغريزة التي تعتبر المحرك للحياة ومصدر الدفء فيها، وسنتعرف علىٰ حقائقها وكونها السبب في استمرار الجنس البشري، والأخطار الناجمة عن إثارتها في الوقت غير المناسب، أو إيقاظها في غير أوانها.

وأخيراً خصصنا الفصل الثالث منه لموقف الإسلام من هذه الغريزة، والآراء القائمة بشأنها. فنحن نعرف أن الإسلام لم يعتبر الغريزة رذيلة بل إن إشباعها بالأساليب غير المشروعة والاستفادة منها في التحلل والإباحية يقود إلىٰ الرذيلة، ويؤكد علىٰ المبدأ الأساسي في إيقاظ الغريزة في وقتها المناسب، وتوجيهها وتهذيبها والحيلولة دون انحدارها نحو التحلل والرَّذيلة وذلك من خلال ضبطها والسيطرة عليها.

الفصل الأول
الغريزة الجنسيّة وأهميتها

من القضايا المهمة التي أودعها الله في فطرة كل إنسان هي الغرائز. والغرض منها هو وجود قوّة خَفيّة ومعقّدة تسوق الإنسان إلىٰ هدف ومقصد خاص. وهناك بحوث وكلام كثير حول خصائص الغريزة ودورها وآثارها.

ومن الغرائز المهمة التي تحدث تغييرات وتحوّلات أساسية في حياة الإنسان هي الغريزة الجنسية، حيث أن بروزها علىٰ شكل شهوة ـ والإشباع المشروع لتلك الشهوة هو السبب في وجود واستمرارية الحياة. وهذه الغريزة مشتركة لدى الإنسان والحيوان. فإن وُجّهت وأصبح لها هدف فهي ترفع من قيمة الإنسان، وإن انحرفت عن مسارها المشروع فهي تؤدي إلىٰ سقوط الإنسان وانحطاطه وهبوطه من مقام الإنسانية ونزوله إلىٰ درجة الحيوانية.

فالحاجة التي توجدها هذه الغريزة لدىٰ الإنسان هي كحاجته إلىٰ الغذاء والأمن والاستراحة والحاجات الأخرىٰ. غير أن كيفية قضاء هذه الحاجة وسدّها وزمن تحقق ذلك ربما يكون(سبباً للنمو والتطوّر، أو مدعاة للذلّة والانحطاط.

نوع المسائل الغريزية:

تُعتبر المسائل الغريزية ولا سيّما الأمور الجنسيّة منها من المواضيع المتعلّقة بعلم الحياة وعلم النفس؛ إذ يهتم العلماء في هذين الحقلين بدراسة تأثيرها، وظهورها في سلوك الإنسان، وفي أخلاقه. فالرغبات والميول

متأصلة في تكوين الإنسان وطبيعته الترابية، لكن الإنسان الملتزم بالأخلاق العالية والمتمسك بالأصول والقواعد الشرعية والأعراف الاجتماعية والأبعاد المعنوية يعتبر إشباعها في بعض الموارد أمراً عبادياً يكافأ عليه بالأجر والثواب.

فالسلوك الجنسي موجود في جميع الثقافات والأديان، وقد وردت بشأنه أوامر وتعاليم خاصة به، يعاقب مَن خالفها بالعقوبات الشرعية، أو الطرد الاجتماعي. وعلىٰ هذا الأساس فإن مواضيعها تدخل ضمن اهتمامات علم الاجتماع والأديان وثقافات الشعوب.

ومن جهة ثالثة فالغريزة وكيفية إشباعها، والأعراض والانحرافات المتعلقة بها تشتمل علىٰ بحوث عميقة في مجال علم النفس الاجتماعي، والآراء المطروحة في هذا الجانب كثيرة أيضاً وواسعة بحيث أنّها تستوجب عمراً كاملاً في الدرس والمطالعة. فلكل قوم ولكل مجتمع موقفهم الخاص إزاء هذه القضية، والاطلاع علىٰ تلك الآراء لا يخلو من المتعة واللطافة.

بداية وجودها وظهورها:

القوىٰ الغريزية موجودة في الإنسان . ؛ طفولته، ومع بداية ولادته، لكن فترة ظهورها لدىٰ الأشخاص تختلف من شخص إلىٰ آخر. وهناك تصور سائد لدىٰ الكثير من الآباء، وهو أن الغريزة الجنسية تظهر عند البلوغ، بينما التجارب والشواهد اليومية تؤكد خلاف ذلك

فالكثير من صور اللعب الجنسي لدىٰ الأطفال، وفضولهم في هذا المجال، ووجود الرغبة لدىٰ بعضهم بمشاهدة أعضاء الآخرين، أو الميل إلىٰ إظهار الأعضاء لدىٰ البعض الآخر، ومن جهة أخرىٰ فوجود الرغبة في المداعبة الذاتية ولمس الأعضاء، تؤكد كلها أن الميول الجنسيّة تظهر لدىٰ بعض الأطفال بشكل مبكّر وأسرع مما يتصور الآباء والأمّهات.

فالدوافع الجنسيّة كالنار تحت الرماد، وهي تظهر لدىٰ البعض عند البلوغ، وتظهر لدىٰ البعض الآخر في مراحل الحداثة، وقد تظهر لدىٰ البعض الآخر في سن ٥ ـ ٦ سنوات، وهناك عدد من الأطفال الذين يهدئون جميع أنواع التهيّجات غير الجنسية عن طريق القنوات الجنسية. مع الالتفات إلىٰ أن هذه الحالة تصل إلىٰ أوج ازدهارها في سنوات البلوغ والشباب، وتبدأ بالضعف بعد فترة منتصف العمر، وتنحدر في فترة الشيخوخة لا سيّما الكهولة نحو الاضمحلال والزوال.

دَوْر الغريزة واهميّتها:

يرىٰ البعض أهمية الغريزة من ناحية قدرتها علىٰ أن تكون دافعاً للحركة في الدرجة الأولىٰ، وينقلون حولها قضايا مثيرة للعجب، في حين أننا سنرىٰ في بحوثنا اللاحقة أن المسألة ليست بهذه الصورة التي يتصوّرونها، وفي الوقت نفسه فنحن لا ننكر أهميتها، ويمكن الإشارة إلىٰ دراسة أهميّتها من منظارين:

١ ـ المنظار الفردي: في هذا الحقل، يعتقد بعض الباحثين في علم النفس أنَّ هناك علاقة بين الغريزة والحركة والعمل، بين الغريزة والالتزام بالواجب والتطوّر وتحمل أنواع المعاناة، وتحمل مشاكل الحياة، وقدرة البدن واستغلال تلك القدرة.

فنتيجة لوجود الغريزة، تظهر بالإضافة إلىٰ اللذات الفردية، مشاعر التسامح والتضحية والرغبة في الاستقلال، وحتىٰ التظاهر والأنانية وحب التفوّق حسب ادّعاء (أدلر). إذ تُعتبر كل واحدة منها قاعدة مهمة لسعادة الإنسان بشرط أن توجّه الوجهة الصحيحة.

٢ ـ المنظار الاجتماعي: نحن نعلم بأن القضية الجنسيّة تفاعل معقّد يشتمل علىٰ أنواع العواطف ومشاعر الحب، وتهيىء الأرضية لدىٰ الإنسان

للانتقال من الـ «أنا» إلىٰ الـ «نحن» وتخلق لديه الرغبة في التناسل.

فالرغبة الجنسيّة أسمىٰ ظاهرة توفّر أقرب إمكانية للاتّحاد. وعلىٰ إثرها يظهر الجمال والتجميل والهدوء إلىٰ الوجود. فهي تغيّر الإنسان بشكل كامل في مقابل الغير من نواحي السلوك والطبيعة والموقف. وتهيّىء الأرضية للعمل والحركة، وتكون وسيلة للمحبّة وتجنُّب الصراعات التافهة، والابتعاد عن التمرد والطغيان الاجتماعي.

دوافعها لدىٰ الإنسان:

تُعتبر الغرائز بشكل عام ومنها الغريزة الجنسية دافعاً وموجهاً للإنسان نحو العمل والنشاط الخاص. فعندما تستيقظ الكوامن الخامدة في هذا الاتجاه، بعد طيّها لمراحل النمو أو عن طريق التعليم المباشر أو غير المباشر، يبدأ الإنسان بالتحرّك من أجل إرضاء ذاته، وربما كان ذلك التحرّك مشروعاً أو غير مشروع، وربما كان موجهاً أحياناً، أو إباحياً متحللاً في أحيانٍ أخرىٰ.

وأساس هذا الدافع نحو التحرك (أو السائق حسب مصطلح علماء النفس) يستند إلىٰ الهورمونات الجنسية، وناتجٌ عن ترشّح الغدد. فلو أزيلت الغدد الجنسية قبل البلوغ من الرجل أو المرأة، فلن تظهر علىٰ أيٍّ منهما آثار البلوغ والطموحات الجنسية، ويبقىٰ الإنسان إلىٰ الأبد محروماً من رغباتها. (ولو أزيلت بعد البلوغ فإن آثارها تزول من الرجل وتبقىٰ لدىٰ المرأة). فوظيفة الغدد هي صنع الهورمون وترشيحه وهو السبب في إيجاد التغيير في الإنسان، ومظهر هذا التغيير يبرز في الميول الجنسية واللمس وظهور الأحاسيس المتعلّقة بها. فالإنسان يشعر بأنه قد دخل في عالم آخر وفي ميدان آخر، حيث تتغير أمانيه ورغباته تغييراً جذرياً.

فالالتهابات التي ترافق هذه الظاهرة تزول في ظل الإشباع الجنسي. وانعدام الإشباع المشروع والموجّه له، هو ما نسمّيه نحن بالانحراف الجنسي، وجهود المتخصصين تتجه إلىٰ هذا الأمر طبعاً، وتنصب إمّا علىٰ عدم حصول

الانحرافات والانزلاقات، أو علىٰ إصلاحها ومعالجتها في حالة حصولها.

الأبعاد السامية في الغريزة:

تمتاز الغريزة الجنسيّة علىٰ سائر الغرائز بأهميّتها القصوىٰ والاستثنائية، وقوّتها أيضاً، تبدو أكثر نسبياً فيما لو قورنت بسائر الدوافع الأخرىٰ. ولكن ليس بذلك المقدار الذي يجعلنا نمنحها المقام الأوّل، غير أنها الوسيلة والسبب في إيجاد وظهور أسمىٰ الدوافع وأقواها، والتي يمكنها حتّىٰ إخضاع بقية الدوافع لسيطرتها.

نحن نعلم أن أحد الدوافع المهمة والمحفّزات القويّة للحركة والدفاع والسعي هو دافع الأمومة الذي يظهر لدىٰ الحيوان عند أبتداء البلوغ ولدىٰ الإنسان منذ الشهر الأوّل للحمل. فعلىٰ إثر هذا الدافع تصبح المرأة في حالة تكون مستعدّة معها لإلقاء نفسها في الماء أو النار من أجل الحفاظ علىٰ طفلها، وتحتمل الجوع والعطش، والأهم من ذلك، حتىٰ الموت والحياة يُمسي بالنسبة لها غير ذا أهمية في مقابل ذلك الدافع.

ولو تأملنا جيدّاً لأدركنا أنّ الغريزة الجنسية مقدمة لدافع الأمومة وظهور خصائصه السامية. فالمرأة تشعر أولاً ونتيجة لبلوغها بوجود ميول لديها، تستسلم علىٰ إثرها للزواج والعلاقة الزوجية، فتكون الحصيلة قبول الزوج والخضوع أمام واجب الأمومة.

وحتىٰ بالنسبة لأولئك الذين لا يعتقدون بأي دينٍ أو عقيدة، فالغريزة تعطيهم معنىً متّسِقاً مع معنىٰ الحياة، ويخضع الأفراد لإقامة العلاقات بشرط أن يكونوا قد عرفوا أنّ معناها وحصيلتها هو إنجاب الأولاد ومسؤولية الحياة. هنالك أبعاد أوسع من مفهوم اللذّة الجسدية والتضحية وحب الخير والتسامح، والدفاع عن الغير والتعهد بحمايته، رغم ما لها من جوانب حياتية إيجابية، وفي الكثير من الأحيان تكون تلك الأبعاد سبباً في تسامي الإنسان ورفعته.

الحريّة في مجال الإشباع:

هناك بعض من علماء النفس، وخاصة الغربيين منهم والذين تربّوا في ظل تلك الثقافة، يؤمنون بضرورة إشباع الغريزة بشكل إباحي، ويرون وجوب انعدام أي نوع من المنع أو السيطرة بهذا الخصوص. فهؤلاء يرفضون عن طريق أهدافهم وأغراضهم، المعتقدات الدينية ويتجاهلون القيم الإنسانية ويعتقدون بأن وجود أيّ نوع من المنع أو التقييد سيؤدي إلىٰ ظهور عقد واضطرابات نفسية.

وفي رأينا فإنهم بالإضافة إلىٰ خطئهم في أصل القضيّة، قد ارتكبوا خطأً آخر في رفضهم للمعتقدات الدينية؛ لأن العلماء يعتمدون في دراساتهم علىٰ الواقع أي يستندون إلىٰ ما هو كائن لا علىٰ ما ينبغي أن يكون. وبهذا الترتيب فهم مضطرون إلىٰ الإدلاء بآرائهم عن ظواهر ذلك لا عن أسلوب وكيفية استغلاله وتوجيهه، وهي المواضيع التي تهتم بها الدراسات الدينية والأخلاقية، وهذا خطأ كبير.

فالحرية المطلقة في إشباع الغرائز تكون منشأً لكثير من الاضطرابات والمشاكل الفردية والاجتماعية التي يمكن مشاهدة بعض إفرازاتها المحدودة في العالم الغربي أو في المجتمعات التي سادت فيها إباحية الجنس ومشاعيته. ويتصور هؤلاء أن ترك الغرائز في حريّة مطلقة، سيجعل حياة الإنسان اليوميّة تسير سيراً طبيعياً، ولن يبقىٰ هناك ما يشغل ذهنه. أو أنّهم يتصوّرون أن ارتباط أي إنسانين ببعضهما يشبه احتكاك حجرين ببعضهما، وبنفس تلك الدرجة من الجفاف وعدم التأثير وانعدام الجدوىٰ، ولا يمكنهما أن يفهما أن وراء هذا الارتباط عواقب أخرىٰ أيضاً. ولعل مشاهدة كل هؤلاء الأطفال بلا معيل والنساء الملوّثات والرجال المنحطّين، وجميع المظاهر الحيوانية لا يؤثّر فيهم قيد أنمُلة، ولا يُثير فيهم أيّة حساسية، لكي يعيدوا النظر في ما يدعون إليه، ولا يُستبعد أيضاً أنهم قد سقطوا في وادٍ سحيق لا يتيسّر لهم استخراج أنفسهم منه.

الأعراض الناشئة عن كبت الغريزة الجنسيّة:

وفي الوقت نفسه هناك مَن ينادي بضرورة كبت الغريزة، حتىٰ أنهم يرون ضرورة عدم السماح لها بالظهور في أية مرحلة من المراحل. ويشبّهونها بالحيّة التي تمر في مرحلة الانجماد والسُبات، لو أنها خرجت لأحدثت الفضائح والفساد. وحتىٰ في الماضي وُجِد بعض دعاة الأخلاق والإصلاح الذين كانوا يعتقدون بأن بلوغ مرحلة الحضارة والحياة الإنسانية الرفيعة والعيش الأفضل والأهنأ يستدعي القضاء علىٰ الغرائز ومنها الغريزة الجنسية. وذلك لأنها ـ أي الغرائز ـ أرواح حيوانية شريرة، تقف كالسد أمام الرفعة والتطور والتمدّن، فيجب محاربتها حتّىٰ تتطور الحضارة البشرية.

تشير التحقيقات العلمية المعاصرة إلىٰ عدم جواز كبت الغريزة. لما ينتج عن ذلك من خمود وانكماش الكثير من فعاليات الإنسان ونشاطاته، ويقضي علىٰ النبوغ وإمكانية الإبداع. فلا نعرف أحداً من بين الخصيان والمخنّثين أصبح عالماً أو فيلسوفاً أو نابغةً. بالإضافة إلىٰ أن الكثيرين منهم مصابون بالعقد والأمراض النفسية. وبشكل عام فجميع أولئك الذين أُجبروا علىٰ كبت غرائزهم أو لا يرون أمامهم أيَّ طريق مشروع، فهم لا يتمتّعون بأيّة نفسية سليمة، ولا يمكنهم أن يكونوا أشخاصاً متّزنين، ولو كان هذا الجانب يشكل أرضية للرذيلة عند الإنسان لما أودعها الله في فطرته، ولما أكّدت سنّة النبي الأكرم علىٰ ضرورة استمرارية وبقاء النسل البشري، والمحبّة والمودّة والتكميل والتكامل.

الفصل الثاني

دور الغريزة في حياة الإنسان

تتشكل شخصية كل إنسان علىٰ امتداد حياته، خلال فترة الطفولة بالخصوص. وتتدخل في هذا التشكّل والتكوّن عوامل متعدّدة، وهي عبارة عن تركيب البدن، والخصائص الروحية والميّزات الأخلاقية والسلوكية، ونوع الثقافة والتربية التي نشأ في ظِلّها، وعوامل التغذية والبيئة والجو، والتجارب الحياتية الخاصّة، ونوع النماذج والمثل و. . .

ومن العوامل المؤثّرة بقوّة في تشكيل الشخصية، عامل الغريزة وموقف الإنسان منها. فوجود الغريزة في الإنسان يَجعل كل إنسان يسلك مسلكاً خاصاً، ويتخلق بأخلاقٍ معيّنة، ويكون له موقف خاص إزاء جميع القضايا. وتبرز أهمية هذه القضية في مراحل البلوغ وتستقر بعدها عند حدّ أو مقياس إذ يمكن القول حينها بأن لكل إنسان شخصيتُه الجنسية الخاصة، وبعبارة أخرىٰ تؤلف الميول والخصائص الجنسية جزءاً من شخصية الإنسان، بحيث أن الإنسان سوف يوصف علىٰ أساسها بأنّه إنسان سالم ومُتّزن، أو مضطرب ومنحرف.

وفي بعض الحالات تهيمن القضيّة الجنسيّة والميول الناتجة عنها علىٰ كل شخصية الإنسان، بحيث يكون مستعداً لأن يجعل من نفسه عبداً لها، وأسيراً لرغباتها، وأن يتنازل عن الكثير من امتيازاته المالية ومنصبه من أجل غريزته، وأن يتقبل الطرد الاجتماعي، لكنه لا يكف عن تلك الرغبة.

التحوّل الذي توجده الغريزة الجنسيّة:

يتزامن تفتح الغريزة لدىٰ الأشخاص بحصول تحولات جسمية وروحية وعاطفية. فما أكثر الحركات والعواطف والانفعالات التي تنتج عنها، وما أكثر الأنانية وحب الذات والتظاهر الذي يحدث بسببها.

كل هذه المظاهر التي تحصل في مرحلة البلوغ تكون واضحة في الحياة العائلية، ولجميع الأشخاص تجربة ومعرفة لا زالت عالقة في أذهانهم عن مدىٰ التغييرات وأنواع الوعي واليقظة التي تحدث لهم، وعن سعة الرغبات والميول التي تظهر عليهم.

فالاضطرابات الحاصلة في فترة البلوغ، والتظاهر والأنانية التي تطرأ علىٰ الشخص في تلك المدّة الزمنية، لا يمكن للإنسان أن يسدل عليها الستار، أو يعتبرها قضية في عداد النسيان.

فالعامل العاطفي في الغريزة الجنسية والذي يسمّىٰ بالحب، يحظىٰ بدرجة من الأهميّة في العلاقات الإنسانية بحيث يمكن القول بأنه مصدر الدفء في كيان الحياة وسبباً لاستقرار وسكون الإنسان. فعلىٰ أثره يشعر الإنسان بالسكينة والاطمئنان، فيترك التمرد والعصيان جانباً، ويتّخذ سلوكه طابعاً إنسانياً أكثر معقوليّة.

فلو أنَّ العاطفة الجنسية تم توجيهها إلىٰ الوجهة المناسبة، فمن الممكن أن ترفع الإنسان إلىٰ أعلىٰ عليين، ويمكنها ـ في حالة الانحراف ـ أن تهبط به إلىٰ أسفل سافلين، فالعلماء الكبار والفلاسفة المبدعون يعدّون الحب والغريزة الجنسية دافعاً مهماً لأفعال الإنسان، وحتّىٰ أنهم اعتبروا جانباً مهماً من الآداب والفنون والابتكارات والإبداعات الفنيّة للإنسان رهينة بها.

إشباعها لدىٰ الرجل والمرأة:

الإشباع المدروس للغريزة لدىٰ كل من الرجل والمرأة يكون مقروناً

دائماً بطلب الكمال والتكامل الإنساني. فالدافع الجنسي وفي أي سن كان وحتىٰ في الظروف غير المؤاتية يلبّي الحاجة الجنسية للإنسان ولكن يكمن فيما وراء ذلك الرغبة في إنجاب الأطفال وينمو في ظلها نوع من الإحساس بالكمال، والرغبة في التكميل والتكامل.

فالفتاة التي بلغت مرحلة الأمومة في ظل الزواج، والفتىٰ الذي أصبح رجلاً أو أباً في ظل تشكيل العائلة، يشعر بأنه قد حصل علىٰ كماله وأضحىٰ شخصاً كاملاً. ويدرك كل منهما أنّه لم يعد ذلك الطفل غير الناضج الذي يتلقّىٰ الأوامر من هذا وذاك، ويتجرّع مرارة الحقارة التي يشعر بها من جرّاء تحمله وتقبّله لأوامر الآخرين.

أما أولئك الذين لم يحصلوا علىٰ التربية الكافية، ولم تتّخذ حياتهم الوجهة الصحيحة لها، فنجد أن غرائزهم قد ساقتهم نحو الأشخاص والأشياء وحتىٰ الحيوانات من أجل تلبية متطلّبات تلك الغريزة. وقد أصبحت اللذّة هدفهم الآني، حتىٰ لو كانت لذّة عمياء وغير مدروسة، وهذا ما يمكن أن يطلق عليه اسم الانحراف أو الانزلاق. فتلبية متطلّبات الغريزة عند هؤلاء تقترن بعملية ميكانيكية معقّدة لا هدف لها. فهم يظهرون أنفسهم كل يوم بشكل معين، ويشبعون أنفسهم بشخص أو شيء مجهول بالنسبة لهم، وحتّىٰ أنهم يشبعون أنفسهم أحياناً بذواتهم، وهذا منتهىٰ حيوانية الإنسان بل وأسوأ من الحيوانية.

الغريزة والحياة:

للغريزة تأثير استثنائي في الحياة الفردية والاجتماعية وحتىٰ السياسية والاقتصادية والثقافية. ولها تأثير كبير أيضاً في العلاقات الاجتماعية. ونحن نتطرق فيما يلي إلىٰ بعض جوانبها وأبعادها مع مراعاة الاختصار:

١ ـ لذّة الحياة وطيبها:

في ظل وجود الغريزة؛ وما يترتب عليها من تشكيل الأسرة، تتحد روح

المرأة والرجل ببعضهما. فيصبح الشخصان الغريبان عن بعضهما إلىٰ الأمس يسيران في محور حياتي مشترك، وتصبح لهما حياة مشتركة ومتّسقة إلىٰ درجة أن كل واحد مستعد للتضحية بنفسه في سبيل الآخر. فالأعضاء التناسلية التي ينبغي أن تكون في بعض جوانبها أقبح أعضاء الجسم. وأكثرها كراهية لما تقوم به من وظيفة دفع الفضلات، نراها تُصبح سبباً في إيجاد أفضل الميول والرغبات، وانجذاب بني البشر نحو بعضهم.

فجميع هذه الدراسات والبحوث التي تتحدث عن الحب والحبيب، والتضحيات والعواطف والإخلاص والعلاقات الإنسانية الرقيقة، تتعلق كلّها بالغريزة أو كانت الغريزة علىٰ أقل تقدير مقدمة لنشوء تلك الحالات والصفات لديهم. ولو أن الناس فكّروا في مبدأ ومصدر هذا التعاطف، والسبب الذي يؤدي إلىٰ انجذاب أثنين من بني الإنسان نحو بعضهما، لربّما كرهوا أنفسهم وأذواقهم.

٢ ـ خَلاّقية الحركة:

تخلق الغريزة الجِنسية لدىٰ الناس حماساً وشعوراً متحرّكاً، وتدفعهم نحو الحركة والنشاط الذي لا يمكن أن يتحقق إلاّ بوجودها. فالناس يندفعون إلىٰ الزواج في ظل الغليان الجنسي، ويسعون خلال مسيرتهم الحياتية إلىٰ الحصول علىٰ الأساليب الأفضل والإمكانيات الأكثر انسجاماً مع متطلبات الحياة، ويُعتبر هذا بذاته دافعاً نحو السعي والحركة.

فالمرأة والرجل يدركان في ظل الزواج، أنهما ما لم يتّجها نحو العمل والنشاط، ويمارسا الشغل والإنتاج لتوفير حاجاتهما الحياتية، فلن يكونا قادرين علىٰ الاستمرار في العيش.

تأمّلوا مسيرة الحياة اليومية جيّداً، فسوف ترون ذلك الشاب الذي ما كان ينهض من فراشه إلاّ عند الضُحىٰ، عندما كان أعزباً، أصبح الآن وبعد الزواج يستيقظ من نومه مبكراً من أجل الذهاب إلىٰ العمل وتهيئة لقمة العيش التي بها تستمر الحياة وتُستدام الحياة الزوجية. فيعمل ويجد في عمله، حتىٰ

إنّه مستعد للعمل ساعات إضافية أكثر من الوقت المتعارف في العمل.

٣ ـ بقاء النسل واستمراريّته:

وجود الغريزة سبب في استمرارية وبقاء الجنس البشري، واستدامة نسل الإنسان علىٰ الأرض مرتبط بهذا الأمر. فما دامت هذه الغريزة موجودة في الإنسان، فالاطمئنان موجود إلىٰ أن نسل الإنسان سوف لن ينقطع من فوق الأرض. وما أجمل ما قاله أحد العلماء في هذا المضمار: إن الله قد جَسَّد إرادته في دوام النسل البشري علىٰ الأرض من خلال هذه الغريزة.

فإشباع الغريزة الجنسية هو السبيل الوحيد والمعقول لتكاثر النسل. ظاهره الحركة صوب الحصول علىٰ اللذة وقضاء الحاجة الغريزية، ولأجله تُطرح قضية الزواج وتشكيل الأسرة، والنتيجة المقصودة من ذلك أو غير المقصودة والضمنية هي توالد النوع وأزدياد أفراد بني البشر.

وهذا الأمر يتم بصورة طبيعية جداً بحيث حتّىٰ أولئك الذين يريدون الامتناع عن إنجاب الأطفال، يحصل لهم في بعض الأحيان طفلٌ من غير علمهم. أو أولئك الذين يتّفقون مع زوجاتهم علىٰ عدم الإنجاب نراهم يُفاجؤون في بعض الأحيان بتوأم أو ثلاث توائم، وهو نوع من التعويض عن النقص الحاصل في الماضي ولإيجاد التعادل في نظام الحياة.

٤ ـ التعرّف علىٰ حقائق الحياة:

يُعَدُّ استيقاظ الغريزة سبباً لاستيقاظ الوعي تجاه الحياة، وامتلاك رؤية واضحة إزاء حقائقها. فما أكثر الصبيان والفتيان الذين يشعرون في سنوات ما قبل البلوغ بأن آباءهم وأمّهاتهم غير واعين، وأن والديهم لا يمتلكون رؤية صائبة عن الحياة وأن مواقفهم علىٰ خطأ. ولكنهم ما إن يصلوا إلىٰ مرحلة البلوغ، والأهم من ذلك مرحلة الزواج حتّىٰ يدركوا أنهم كانوا في الماضي أطفالاً جهلاء حقاً، وأن تصوّرهم عن والديهم كان ناتجاً عن رؤية جاهلة بحقائق الحياة.

ربّما يكون الإنسان نبيهاً جداً وذكيّاً، ويعرف الكثير من قواعد العلوم المختلفة وله القدرة حتىٰ علىٰ تحليل المسائل العلمية، لكنه ما دام لم يدخل في مرحلة البلوغ وبناء الأسرة وإشباع الغريزة، فهو طفل. نريد القول: إن استيقاظ الغريزة ليس وعياً حياتياً صرفاً، بل إنّه يقترن بأنواع أخرىٰ من الوعي بالمسائل المتعلّقة بالحياة الفردية والاجتماعية، وطبعاً ذلك كلّه مشروط بكون البلوغ في أوانه، ولإشباع الغرائز بصورة مشروعة مصحوبة بالهدوء والسكينة.

الغريزة عامل انحراف:

الإنسان ينبغي أن يُربّىٰ، وتطبيق مبادىء وفنون التربية يجب أن يتم علىٰ يد مُرَبٍّ عارف بفنون التربية. وفي هذا الإطار ينبغي أخذ جميع جوانب وأبعاد حياة الإنسان بنظر الاعتبار. فمن باب التسامح والتساهل أن يعتبر بعض الآباء والأمّهات تربية الأبناء تتمثل في المأكل والملبس والمنام والمسكن وتنظيم بعض الأمور البسيطة جداً، ولا يعيرون اهتماماً لبقية جوانب حياتهم.

يُفترض أن تشتمل التربية علىٰ البعد الجسماني والروحي، الذهني والفكري، والأخلاقي والعاطفي والحياتي والغريزي للطفل، فأهمية تربية وتقويم الغرائز لا تقل عن الجوانب الأخرىٰ في الإنسان، فإن لم تتلقَ الغرائز نصيبها من التربية والتقويم ولم تجد ما تستوجب من الرعاية والمراقبة، فسوف ينتج عنها مخاطر جمّة يكون من جملة آثارها ضياع الطفل جسماً وروحاً، وتلوث عفّة وشخصية الفرد والأسرة.

نحن نعرف في حياتنا اليومية أشخاصاً انزلقوا في مهاوي الوساوس الغريزية علىٰ أثر حرمانهم من التربية الصحيحة. فبحثوا عن إشباع لذاتهم في سبل غير مشروعة، فإمّا أنهم أصبحوا ضحية لاستغلال الآخرين، أو إنّهم سعوا إلىٰ إيقاع الآخرين في شباك مكرهم. والحياة الاجتماعية للبشرية مليئة اليوم بمثل هذه المنزلقات والانحرافات والمفاسد، وما ينجم عنها من مظاهر سلبية متعددة.

الاضطرابات الأخلاقية والنفسية:

ربما تكون الانزلاقات في بعض الأحيان فردية، وحتّىٰ أنها تحصل في الخفاء، مثل سلوك الإشباع الذاتي الذي يلحظ لدىٰ الطفل والفتىٰ والشاب أو حتىٰ لدىٰ الكبار، وبأشكال مختلفة من الضعف والقوّة، غير أن الإنسان لا يكون بعيداً عن تأثيرتها، فما أكثر الذين يعانون من الاضطراب النفسي والسقوط الأخلاقي والسلوك المشين والروح العدوانية وحتىٰ الانزواء والانطوائية أحياناً، وهذه ناشئة عن الانزلاقات الغريزية، ولو عولج ذلك الانزلاق لأصبحت هذه قابلة للعلاج أيضاً.

فالشخص الذي يتعرض في عالمه الخاص، للهيجان والإثارة بعيداً عن رقابة المجتمع والقانون، ويقلب مليء بالخوف والاضطراب، خشية انكشاف أمره وافتضاحه، لا يمكن أن يتّصف مبدئياً بالاتّزان الأخلاقي والسلوكي. فالوجوه الكئيبة للأطفال أو الفتيان الذين تعرضوا لأنواع التلوّث في حياتهم، ونوع السلوكية التي تلاحظ في تعاملهم وأسلوب مواجهتهم للحوادث يعكس وضعهم المضطرب.

فالكسل المتواصل لدىٰ المنحرفين، والغوص في الهموم القاتلة، والرغبة في الانزواء واعتزال المجتمع، والقلق والاضطراب، والخمول والضجر النفسي والتهيّج والارتعاش العضوي في غير أوانه، والمبالغة في الحاجة إلىٰ العطف والحنان، ووجود العادات السقيمة وعدم القناعة النفسية، تُعتبر زوايا أخرىٰ من هذه الاضطرابات في الجوانب النفسية.

مخاطر الحريّة المتحلّلة:

لو أردنا تحقيق السلامة والاتّزان للأطفال والفتيان فالضرورة تستدعي الاهتمام بأمر تربيتهم الجنسية ومراقبتها جيّداً منذ مراحل حياتهم المبكرة. فمهمة الوالدين مراقبة سلوكهم تجاه أطفالهم ومراقبة الأخوة والأخوات في

البيت وفي المدرسة، وفي دخولهم وخروجهم وعلاقاتهم وأصدقائهم، ومراقبتهم في المأكل والمنام، والنظافة والملابس، والأمن النفسي، وصحة الطفل جسمياً ونفسياً، وكذلك مراقبة ما يراد وما يسمعه وما يقرؤه، وينبغي أن يكون ذلك في رأس قائمة اهتمامات كل أبٍ وأمٍ يبغون من وراء التربية إسعاد أطفالهم.

فالحرية غير المقيّدة في المجال الجنسي تُعَدُّ خطراً جسيماً يهدد سلامة الجسد والنفس والعاطفة، وسبباً للشقاء والفساد الاجتماعي، وعاملاً من عوامل تحلل النسل والأسرة، وهذا ما يستوجب الأسف. فالمؤثرات والأسباب التي يمكن أن تكون بنّاءة وتوجيهية، تصبح طريقاً للانزلاق والفساد.

الفصل الثالث

موقف الإسلام من الغريزة

طُرحت آراء مختلفة بشأن الغريزة في المجتمعات الإنسانية المختلفة تضمّن البعض منها قوانين وممنوعات تبدو غير معقولة في رأي الكثيرين. ومطالعة الكتب المختلفة في مجال علم النفس الاجتماعي، تعطينا بعض الحقائق عن تنوع أساليب التفكير والعادات والآداب والموانع والدوافع.

ولا يخلو الإسلام ـ باعتباره ديناً جامعاً، له قوانينه ونظرته إلىٰ جميع جوانب الحياة ـ من وجهة نظر خاصة في هذا الصدد. فمطالعة كتبنا الإسلامية وحتىٰ الفقهية منها، تزوّدنا بصورة واضحة عن مدىٰ الشمولية التي تبنّاها الإسلام، ومدىٰ العناية الشاملة التي أولاها علماء الأخلاق المسلمون في كتبهم الأخلاقية إزاء هذه المسألة.

وجهة النظر الإسلامية:

للإسلام أيضاً رأيه الخاص بشأن الأهميّة الحياتية للغريزة الجنسية. فهو يعتبر أصل وجودها في الإنسان وسيلة للكمال والسير والحركة الموجّهة المدروسة، وأنّها خطوة نحو النموّ والتطوّر. وهي عامل بقاء للجنس البشري ووسيلة للاستقرار والسكينة والوصول إلىٰ المحبّة والمودّة.

يعتبر الإسلام الغريزة الجنسية عاملاً لحفظ وجود الإنسان، ولم ترفضها القوانين والسنن الإسلامية، ولم يدعُ الإسلام أتباعه إلىٰ الإعراض عنها. وليست الشهوة قضيّة مُضِرة، لكي يهبّ الإسلام لمحاربتها، ولا هي بالرذيلة

لكي يسقطها من الحياة.

فموضوعها ممتزج بقضية الجمال ومثير للرغبات وعوامل المحبّة. فوجودها غنيمة، وهي من مستلزمات الحياة. وما دام إشباعها يتم وفقاً للأُسس والضوابط الشرعية، فالإسلام يوصي بها ويؤكد عليها. ربما لا نجد شريعة من الشرائع أشارت إلىٰ أن تزويج الأبناء في سني البلوغ يُعتبر حقّاً من حقوقهم، وعلىٰ الآباء والأمّهات واجب شرعي بهذا الصدد.

الغريزة ليست رذيلة:

لا يَنظُر الإسلام إلىٰ الغريزة كرذيلة أو قُبح أو قذارة أو قلق، لكي يتعامل معها كذنب. فالرؤية الإسلامية ـ وخلافاً لما يراه المتصوّفة والمرتاضون من رذالة القضايا الجنسية والمال والثروة ـ ترىٰ أنّها جوهر التربية الحياتية ورونقها ومادّةَ صقلها. فالله تعالىٰ هو الذي خلقها وأودعها في فطرة الإنسان. وما كان هدفه من ورائها زرع الانحراف والانحطاط في طينة البشر لتكون أرضاً خصبة للفساد، بل أراد من خلال هدايتها وتوجيهها ووضعها في مسار التعاليم الإسلامية توفير الأرضية لمستلزمات السكينة، ومن ثم تطوّر الإنسان ونموّه.

الغريزة الجنسية سبب بقائنا، وإيجاد العلقة فيما بين الزوجين، وخلق التعاون والمشاركة في الآلام والآمال بين الزوجين. ووجودها نافع بشرط الشرعية في مسارها. وفي نفس الوقت ينبغي الإشارة إلىٰ أنَّ الإسلام رغم إدراكه لقدرتها علىٰ تحفيز الإنسان علىٰ الحركة إلاّ أنه لا يعتبرها المحرّك لكل شيء، أو أنها أقوىٰ الدوافع. فهناك دوافع أخرىٰ أيضاً أقوىٰ منها، ولها دورها الاستثنائي في تهيئة الأرضية للأعمال الثقافية والأدبية، وخلق ملاحم الإيثار والاستشهاد، وهي بشكل عام محفّزات قيّمة للإنسان من أجل رفعته وتعاليه.

أصل الغريزة في رأي الإسلام:

من أجل طرح وجهة النظر الإسلامية بشكل أوضح، ومن أجل سبر أغوار الجوانب والأبعاد المختلفة للقضية بصورة أكمل، نرىٰ من الضروري الالتفات إلىٰ النقاط التالية، مع الأخذ بنظر الاعتبار ما ورد في الكتب الفقهية والأخلاقية والدراسات التي طرحت في هذا الصدد. والقراء الأفاضل يعلمون أن المصادر الإسلامية غنيّة في هذا الجانب. وحتّىٰ في مجال النكاح والزفاف وآداب المجامعة، وزينة الزوجين وتهيئة الأجواء للجذب والانجذاب، و... فهناك دراسات وبحوث مستفيضة جداً، ويكفي إلقاء نظرة إجمالية علىٰ أبواب فقهنا في مواضيع النكاح وحقوق الزوجين. أما تلك النقاط فهي عبارة عن:

١ ـ إيقاظ الغريزة في الوقت المناسب:

يعارض الإسلام فكرة إيقاظ الغريزة في غير أوانها. ويدعو الوالدين والمربّين إلىٰ انتهاج أسس نظام تربوي لا يتمخض عنه إيقاظ الغريزة مبكّراً وفي غير الوقت المناسب. والوصول إلىٰ هذا الهدف يستلزم أن تكون العلاقات في العائلة خاضعة لبعض الضوابط، وتكون هناك مراقبة علىٰ اختلاط الأطفال. وينبغي أيضاً بذل الاهتمام الكافي بشأن نوم الطفل واستراحته، ونظافته وصحّته الجسمية والنفسية.

فما أكثر المؤثرات والعوامل التي تترك تأثيرها علىٰ الطفل في خارج نطاق العائلة مثل البيئة الاجتماعية والاختلاط، وما يقرؤه أو يكتبه أو يسمعه أو ما يلمسه، وهذا يستوجب المراقبة من قبل الوالدين والمعلمين.

٢ ـ توجيه الغريزة:

نحن نعتقد بوجوب استغلال طاقة هذه الغريزة في الظرف المناسب، من أجل خير وصلاح الفرد والمجتمع، ولذا ينبغي الوقوف أمام كبتها أو إتلافها في فترة ما قبل البلوغ. ومن هذا المنطلق يمانع الإسلام وبشدّة من إشاعة الانحراف والانزلاق علىٰ جميع الأصعدة، ويطبق لذلك رقابة صارمة علىٰ الأفراد.

فوجود العلاقات العائلية السليمة في المنزل، وحسن تعامل الوالدين مع أبنائهم، ووجود العلاقات العاطفية والمحبّة بين الأطفال ومربّيهم، يكون بذاته سبباً لاستقرارهم وتعديل سلوكهم، لا سيما إذا كان أولياء الطفل يراقبون المحيط الذي يختلط فيه الطفل، ويحولون دون بروز المفاسد والعادات السيّئة فيه.

فذكر القصص القديمة عن مراحل حياة الأشخاص وزواجهم فيما بعد، وتبيان شيء من القصص التي وردت في الأساطير يكون مفيداً للأطفال، وكذلك سرد القصص لهم علىٰ ألسنة الحيوانات، وتبيان حياة تلك الحيوانات يكون مفيداً وبناءً في تعليم الأطفال وتوجيههم إلىٰ الأساليب السليمة، والمواقف الصحيحة في سني حياتهم المختلفة، وإبعادهم عن المخاطر التي تعترض مسار تقدّم الإنسان.

٣ ـ التأكيد علىٰ أسلوب الإشباع المشروع:

ما أكثر الروايات الموجودة في التشريع الإسلامي التي تؤكد ضرورة الإسراع في تزويج الشباب. وقد قلنا أن تزويج الأبناء في سن البلوغ هو من الواجبات الملقاة علىٰ عاتق الوالدين. وفي حالة عدم التمكن يتولىٰ المجتمع وحتّىٰ الدولة مسؤولية تنفيذ هذه المهمّة. ونحن نعلم أن التوسط في أمر الزواج له ثواب عظيم عند الله. فالإسلام يريد أن تتم عملية إشباع الغريزة عن طريق النكاح وفي ظل تشكيل العائلة، وفي عمر مبكّر، وتحت إشراف والدي الطرفين، حيث يتولّون عملية مساندة وتربية أبنائهم إلىٰ سن ٢١ عاماً. ورأي الإسلام هو أن للزواج أجراً وثواباً، مثلما يكون ارتكاب المحرّم في هذا المجال ذنباً يعاقب عليه الإنسان.

فإقامة العلاقات الزوجيّة هو من حقوق الزوجين، ولا يمكن للزوج ولا للزوجة التخلّي عنها. وحتّىٰ في حالة الإيلاء والظهار التي تعني عدم ممارسة العلاقة الزوجية، فالزوج ملزم هنا بإعطاء الكفّارة وكسر القسم واستئناف العلاقة. وفي غير هذه الحالة يقوم حاكم الشرع الإسلامي من طرفه بالتزام

موقف الدفاع عن حقوق الزوجة. وكذلك من أسباب تنشيز المرأة في الإسلام والذي ينتهي بقطع النفقة عنها، هو عدم تمكين الزوج في الأمور الجنسية. والقصد هو أن الإسلام يحرص علىٰ إشباعها بالطرق الشرعية، وقد أولاها العناية والاهتمام الكافيين. وهو ينظر طبعاً إلىٰ العلاقات غير الشرعية بعين النقمة، وتعلمون أن الإسلام قد أقرّ للزنا واللواط حداً معيّناً.

٤ ـ الوقوف ضد التحلل:

موقف الإسلام من التحلل الجنسي هو الرفض والتحريم. وفي حالة عدم الالتزام بهذا الموقف فإنه يضطر إلىٰ الالتجاء إلىٰ العقوبة. وهو ـ أي الإسلام ـ لا يتسامح ولا يتساهل في هذا الصدد حتىٰ مع الانحرافات التي يرتكبها الطفل المميّز.

صحيح أن الأطفال لا حدَّ عليهم في الشرع الإسلامي (لا يُقام عليهم حد اللواط ولا حد الزنا)، ولكن في حالة تشخيصهم لقبح العمل، وممارستهم له رغم علمهم بقبحه، فهم يُعزّرون، وهذه المسألة موجودة في كتبنا الفقهية.

وتمتد دائرة المنع والرقابة في الإسلام إلىٰ أبعاد واسعة حتّىٰ تطال منع الاختلاط، وتُخضِع علاقة الرجل مع المرأة غير المحرم للرقابة وتجعل لها ضوابط معينة. فأساليب الاختلاط والمحبّة لها قواعدها في الحياة الإسلامية. فهناك أسس ينبغي مراعاتها في حالات النوم واليقظة في الغرفة الواحدة وفي الفراش الواحد حتّىٰ بالنسبة لأعضاء العائلة الواحدة. فحياة المجتمع الإسلامي لا تجيز جميع أنواع الاختلاط والعلاقات، ولا تسمح بجميع أنواع السلوك الخاضع للهوىٰ والهوس. ولا تبيح نشر أيّ كتاب خليع وأيّة مجلة، ولا عرض أية صورة وأي ملصق ولا أي فلم أو مسرحية جنسيّة. فهذه جميعها يجب أن تخضع للمقاييس والأسس الإسلامية، وأن تصب في مسار تقدم وتكامل الإنسان لا في مسير الخطأ والانحراف.

٥ ـ رعاية العامل المعنوي:

النقطة التي نشير إليها في هذا الصدد هي من مختصات الدين الإسلامي. وأساسها الالتفات إلىٰ هذه القضية وهي أن طاقة الغريزة وفي أعلىٰ مراحلها طاقة الحب يمكنها أن تكون حافزاً ودافعاً قوياً لتحمل المصاعب والمشاكل، ومواجهة المخاطر في سبيل الوصول إلىٰ الهدف المنشود. حتىٰ يمكن القول: إنَّ الحب عنصر روحي مؤثّر جداً وبالإمكان الإفادة منه في بناء وتوجيه الإنسان. وهذه حقيقة لا يمكن إنكار وجودها في ميادين الحياة اليومية.

والجانب الذي يهتم به الإسلام هو أن أنبثاق الحب عن الغريزة يعكس ظهور حالة تسامٍ عند الإنسان تدفعه نحو غايات رفيعة وهي الهدف من الخلق. وهذا هو العنصر المعنوي في الغريزة الذي لو أردنا التعبير عنه بلغة علماء النفس لأطلقنا عليه اسم حالة التسامي.

الدافع لقيام العلاقة بين الزوجين هي الشهوة، وفي ظلّها تتولد المحبة، وهذه المسألة تكتنف إنسانين ولها طابع غريزي وحياتي. والإسلام يحرص علىٰ أن تأخذ هذه القضية بالتدريج صبغة أخلاقية، ومن ثم تصطبغ فيما بعد بالصبغة الإلّهية. فرغم أن الموجد الأساسي لها كان دافع الغريزة، إلاّ أنها تتسم فيما بعد بالصبغة الإلّهية، وتوجد في الإنسان حالة من التسامي. فجميع أنواع الحب تكون للّه، وكل أنواع الأنس والتآلف تصبح من أجل رضاه.

٦ ـ رعاية مبدأ الرقابة:

وأخيراً، فالإسلام يحرص علىٰ ضرورة وجود علاقة بين الإنسانية والقضية الجنسية، وأن لا يستسلم الإنسان إزاءها ولا يخضع لها خضوعاً مطلقاً. فلا ينبغي أن تجد الغريزة نفسها وقد أُرخي لها العِنان وبالصوْرة التي تلوث روح الإنسان وتجرّه نحو الفساد، وهذا ما يستدعي إعمال الرقابة :

١ ـ الرقابة الواعية والمنطقية علىٰ الانفلات والتمرد الجنسي، والتحلل الأخلاقي.

٢ ـ مجابهة الظروف والمناخات التي يكثر فيها التلوث الجسمي والنفسي، والأمراض الجنسية والعصبية.

٣ ـ المحافظة علىٰ العفاف والتقوىٰ والنزاهة في إطار الضوابط الشرعية والخُلق القويم.

ومن المفترض أن تصبح هذه الرقابة محط اهتمام الوالدين بطفلهم منذ نعومة أظفاره. فعلىٰ الآباء والأمهات الاهتمام بمراقبة أطفالهم وعدم الغفلة عنهم أو إهمالهم لكي لا يكونوا ضحيّة لأهواء الملوّثين جنسياً؛ لأن لهذا الأمر آثاراً جسيمة في مجال الانحراف الأخلاقي، بالإضافة إلىٰ ما ينجم عنه من أمراض نفسية تترك آثارها علىٰ الأطفال حتّىٰ آخر العمر، وتقع علىٰ الوالدين المسؤولية الكبرىٰ في ذلك.

الباب الثاني

الطفل والمسائل الغريزية

سنُلقي في هذا الفصل نظرة علىٰ مسألة الغريزة لدىٰ الأطفال والفتيان، والتي ربما تكون مدعاة لتعجب واستغراب البعض. لأن التصور السائد لدىٰ عامة الناس هو أن الميول والرغبات الغريزية تظهر لدىٰ الأفراد في سن البلوغ والشباب، غافلين عن وجود ظواهر لدىٰ الأطفال تظهر في هذه المرحلة، تثير التعجب والحيرة.

خصَّصنا جزءاً من هذا الفصل لاكتشاف الحالات الغريزية لدىٰ الأطفال، والأسباب والدوافع الموجودة في هذا الصدد. ففي ظل وجود اللمس والاحتكاك والمشاهدة والسماع والاستطلاع والتجارب، وأخيراً التشخيص والتمييز؛ يصبح الطفل قادراً علىٰ اكتشاف ذاته. وربما يكون هذا الاكتشاف باعثاً في بعض الحالات لحصول أنواع من الانحرافات المختلفة عند الأطفال.

وخصصنا الجزء الآخر للميول الغريزية وتحوّلاتها لدىٰ الأطفال، حيث سنتحدّث فيها عن المرحلة الابتدائية لهذه الحالة، وتحوّلها في مراحل الحياة المختلفة. فالسلوك الشهواني للطفل، ونظراته ودخوله في مرحلة المراهقة والرغبات والألعاب المرتبطة بها، ستُدرس جميعها في هذا الفصل.

وأخيراً يتناول الجزء الثالث من هذا الفصل دور الغريزة لدىٰ الطفل والمراهق. فنحن نعلم إمكانية كون الغريزة سبباً لازدهارهم أو انحرافهم الجنسي. فهو يبحث عن لذة تختلف كُليًّا عمّا لدىٰ الكبار، واستمرارها مبعث خطر، وهذا بحد ذاته إنذار للوالدين والمربين. وهذا الوضع يستوجب القيام بالمراقبة والتوجيه اللازمين، وهذا ما سنتناوله بالشرح المفصّل.

الفصل الأول

الطفل واكتشاف الغريزة

الغريزة الجنسية قوّة مبهمة ومعقّدة تنشأ لدىٰ الطفل منذ بداية حياته متزامنة مع ولادته. أساسها غير خافٍ أو غائب في تركيب الطفل وطينته، ولكنها لا تظهر بسبب عدم البلوغ أو بسبب المنع أو الحياء، إلاّ عند أولئك الذين يتعرضون للابتلاءات الآنية، أو أولئك الذين يتلقون تعليماً سيّئاً.

يعتقد عدد من علماء النفس أن الغريزة الجنسية تبرز وتظهر حتّى لدىٰ الأطفال، ولكن ظهورها يختلف عما هو لدىٰ الكبار، وقوّتها عند الأطفال أضعف. ويعتقد المتطرّفون من أنصار هذا الرأي أن أعصاب الغريزة الجنسية تتمركز في شفاه الطفل، وعندما يرضع الطفل ثدي أمّه وتحتك شفتاه بالثدي إنما يمارس بذلك عملية إشباعٍ جنسي!! وهذا ما يظهر فيما بعد علىٰ صورة مص الإبهام، أو تقريب الأشياء الصلبة إلىٰ فمه.

وبصورة عامّة فالجميع متّفقون علىٰ وجود الغريزة لدىٰ الإنسان، لكن ظهورها يختلف في المراحل المختلفة لحياة الإنسان، وطريقة إشباعها تختلف أيضاً من شخص إلىٰ آخر، وهي متفاوتة أيضاً فيما بين الإنسان والحيوان. لا سيما وأنها ممزوجة لدىٰ الإنسان بالقيم الدينية والثقافية، ويكون إشباعها خاضعاً لعدّة معايير.

اسباب انكشافها ويقظتها:

وجود الغريزة لدىٰ الطفل أمر بديهي، لكنها خافية ومستترة فيه. وهناك

أسباب وعوامل عدّة تتظافر فيما بينها حتّىٰ يتوصل الطفل إلىٰ اكتشاف غريزته. ولعلّ هذا الاحتمال وارد حتّىٰ قبل سن الثالثة. ولا بد أن نشير إلىٰ أن اكتشاف الغريزة ونهوضها لدىٰ الطفل لا يعد خطراً بذاته، ولكن الخطورة فيما إذا كان هذا الاكتشاف سبباً لانحرافه، أو سلوكه سبلاً خاطئة في إشباعها. أما عن أسباب وعلل تكشف الغريزة للطفل، فيمكن الإشارة إلىٰ عوامل متعددة، أهمّها:

أ ـ اللمس والاحتكاك:

لمس الطفل للأشياء الخشنة أو الناعمة تجعله ينتبه إلىٰ هذه المسألة مبكّراً وهي أن اللمس والاحتكاك يولّد له اللذة. وتكرار هذا العمل يخلق لديه الأرضية للاستمرار في مزاولته، حيث يعتبر هذا الأمر اكتشافاً، وفي نفس الوقت سبباً للانحراف.

فحينما يحتك بدن الطفل بالسلالم أو الفراش أو بالأجسام الخشنة أو الناعمة، يدرك مبكّراً أن بعض أجزاء الجسم تعتبر مصدراً للّذة، وتكرار هذا العمل يُوجِد لديه الارتياح والبهجة. ومن هنا ينبغي علىٰ الوالدين والمربيّن الانتباه إلىٰ هذا الجانب ومنعهم من تكرار هذا الفعل.

وأحياناً تكون إصابة الطفل بالديدان سبباً لحصول حكّة في نهايات المجاري التناسلية فيلجأ الطفل إلىٰ حك ذلك المكان لطرد الديدان وتهدئة الألم الذي تسببه له، فيتعود تدريجياً علىٰ تكرار ذلك ويشعر أن حك تلك المنطقة من البدن يجلب له اللذّة. وربما تصبح هذه القضية عادة لديه فيما بعد، وهذا ما نطلق عليه اسم الانحراف والانزلاق لدىٰ الأطفال. وعلىٰ هذا الأساس يجب علىٰ والدي الطفل الانتباه إلىٰ مثل هذه القضية والإسراع في معالجته فيما إذا كان مصاباً بالديدان.

طول المدّة التي يقضيها الطفل في المرافق الصحيّة، ووجود الأوساخ في بدنه بسبب عدم التنظيف بعد التغوّط، وهذا بذاته يؤدي إلىٰ اكتشاف الطفل لمواطن إثارة اللذة. أو قد يكون السبب هو حصر البول أو الغائط في بدنه

حتّىٰ وقت التخلّي، وهذا ما يؤدي إلىٰ حصول الانحراف، حيث إن حصر البول والغائط ينتج عنه الشعور بنوع من الثقل أو الحكّة.

ب ـ المشاهدة والسماع:

من العوامل الأخرىٰ التي تؤدي إلىٰ استيقاظ الغريزة عند الأطفال هي رؤية مشاهد العلاقات الجنسية وسماع الكلام الذي يدور بشأنها. ففي بعض الأحيان يرىٰ الأطفال مشاهد من العلاقات السافِرة والمفضوحة بين والديهم خلال حياتهم العائلية، وهذا يخلق لديهم الفضول والإثارة وتؤدي الحالات التقليدية منه إلىٰ الانحراف أحياناً.

وقد يرىٰ الطفل مشاهد من علاقات الحيوانات فيما بينها فتصبح له حساسية إزاءها. فيعقب هذه المشاهد تهيئة الأرضية لكثير من حالات الاكتشاف والاستيقاظ التي قد يكون بعضها خطيراً ومثيراً للقلق أحياناً. ورؤية الصور والمشاهد عن مثل هذه العلاقات تكون مدعاة للقلق.

وكذلك القصص التي يسمعها الأطفال في هذا السياق، وخاصة عندما تمتزج مع قضايا أخرىٰ فإنّها تثير في نفوسهم نفس هذا الانعكاس. فالطفل يفهم معنىٰ الزواج في سن الست سنوات، ويفهم معنىٰ الحمل والولادة فيما يقارب هذه السن. ويبدأ الأطفال بالتحدث مع أترابهم عن الأمور الجنسية بشكل أو آخر في حدود سن التاسعة. ويبدون رغبة في الاستماع إلىٰ تفاصيل الحياة الخاصة بين الرجل والمرأة، ومن ثم يبدأون بعد ذلك بتكوين صورة عنها في أذهانهم، وهذا بذاته من دواعي اكتشاف الذات.

جـ ـ حب الاستطلاع:

الطفل كائن ذكي ومحب للاستطلاع، وخلال سنوات الطفولة نراه يتمتع بحالة استثنائية من حب الاستطلاع. فهو يرغب في استكناه أسرار الأمور ومعرفة القضايا المجهولة. فأسئلة الأطفال، وإصغائهم إلىٰ سماع المسائل والترقب لمعرفة الأفكار والآراء في المجالات المختلفة، يعكس لنا هذه الحالة من حب الاستطلاع. فنلاحظ الأطفال ما بين سن الخامسة والسابعة

يبدأون بتقصي سر العلاقة التي تربط فيما بين والديهم وما يكتنفها من أسرار. وحتىٰ عندما يرون جسداً عارياً فذلك يثير فضولهم ويجعلهم يتساءلون عمّا يمتاز به من مواصفات وخصائص. بعض اهتمامات الأطفال الجنسية تظهر حتّىٰ في سن الثالثة، وهذا يمثل جزءاً من حبّهم للاستطلاع بشكل عام.

فهم يبدأون بالبحث في أجسادهم وما تشتمل عليه، وكذلك عن أجساد الآخرين، يريدون معرفة ماهية اليد. وما هي العين؟ وما هي الأذن وما هو الأنف؟ و... لا يرتوي عطشهم لمعرفة أنفسهم وأعضائهم واستعمالها. يحرصون علىٰ أن تكون معلوماتهم في هذا المجال كاملة. ولهذا فهم يسألون كل شخص ويمارسون التجارب والتمارين بشتىٰ الصور.

فأسئلتهم حول ذواتهم استطلاعية. ولو أنكم أمعنتم النظر في أسئلة الأطفال ما بين سن الثامنة والتاسعة لعثرتم بين طيّاتها علىٰ جذور جنسية، ولو أننا أجبنا عليها بشكل حيادي ومدروس، فلن تكون هناك أية مشكلة، وسوف نتحدث عن هذا الموضوع لاحقاً بصورة مفصّلة

فهناك مَن يعتقد أن هذه الصورة من حب الاستطلاع لا تحتوي علىٰ مخاطر وهي طبيعية من جميع الجوانب. ولكن هناك نقطة مهمة في مجال التربية ألا وهي وجوب توجيه حب الاستطلاع هذا، وأن يُسلك به نحو الهدف المطلوب، وأن يتحرّك في اتّجاه محدد، يضمن للطفل الازدهار، لا الانحراف والانزلاق.

د ـ التجارب:

من العوامل المهمة في كشف وإيقاظ الغريزة هي مسألة التجارب التي يقدم عليها الطفل. فهي قد تؤدي في بعض الأحيان حتّىٰ إلىٰ الانحراف، وذلك لأن الطفل يريد القيام بتجربة ما لمعرفة مدىٰ ما يمتلكه من قوّة وإمكانات. وكذلك نرىٰ بعض الأشخاص الذين يريدون معرفة ماهيّتهم الجنسية حتّىٰ قبل سن البلوغ من أجل إثبات شخصيتهم الرجولية أو النسائية، وهذا العمل بذاته منشأ لبروز الكثير من الانحرافات.

تصوّروا أنَّ طفلاً قد سمع قصصاً عن الحياة الرجالية أو النسوية ويريد معرفة دوره وموقعه في حصول هذه العلاقة. وهل أنه بالغ من الناحية الجسمية؟ وهل بإمكانه أن يكون رجلاً أو تكون امرأة أم لا؟ فبحثه العملي الذي يقوم به في هذا المجال، يؤدي إلىٰ اكتشاف الغريزة أو إيقاظها أو إلىٰ الانحراف أحياناً.

وهناك أيضاً بعض الأشخاص الذين وقعوا في المنزلقات من حيث أرادوا في بعض الحالات اختبار قوّتهم الجديدة، ووضع الدافع الجنسي موضع الامتحان. أو أن هناك بعض الأشخاص الذين اكتشفوا مطبّات الجسد وما فيه من مرتفعات ومنخفضات، فعمدوا إلىٰ اللعب باعضاء الجسد من غير مبالاة وأكثروا من مداعبة أعضائه، فنتج عن ذلك الكشف عن وجود الغريزة ويقظتها.

ويحصل في بعض الأحيان أن يكتشف الأطفال أمراً ما، فيعمدون إلىٰ ما من شأنه إعطاء الجواب المباشر لأسئلتهم، كالاختلاء مع النفس واللعب علىٰ انفراد في الزوايا، وهذا الأمر يُعَدُّ مقدّمة للشعور باللذّة، ومن ثم الكشف عن الحقائق الجنسية، ومن البديهي أن هذا الفعل لو تكرر حتّىٰ أصبح عادة مستأصلة، فإنّه سيمهّد الأرضية للانحراف.

هـ ـ التشخيص والتمييز:

وأخيراً فالأطفال لا يبقون أطفالاً إلىٰ الأبد. ولا يبقىٰ مصدر معلوماتهم الفكرية والذهنية هو الآخرون فقط. بل إنهم يصبحون في مرحلة من مراحل حياتهم في موقع التشخيص والتمييز. فيتنامىٰ فهم الطفل وإدراكه، ويبدأ بتقييم ذاته والتعرّف عليها ويتّجه تدريجياً نحو إدراك الأمور. فيكون تعطّشهم لإدراك الحقائق والحب الشديد الكامن في نفوسهم لاستطلاع هذه القضايا سبباً في توصلهم لمعرفة العلاقة بين العلة والمعلول، أو ما يصطلح عليه بإدراك برهان الأمور.

مما لا شك فيه أنه كلما ازداد مستوىٰ الذكاء وكلما ازدادت إمكانية التجارب في هذا المجال ازداد نجاحهم في هذا المسعىٰ، وخاصة حينما يقترن هَوَسُهم واشتياقهم بالمعرفة.

فالأطفال في المراحل الأولىٰ من حياتهم يميّزون الفتىٰ من الفتاة عن طريق الملابس والشعر والقميص والثوب الخاص، وفي المراحل التالية يميّزونهم عن طريق التصرفات والمواقف والسلوك. ولكنهم يصبحون تدريجياً في موقف يفهمون من خلاله الفوارق الجنسية سواء كان ذلك الفهم ينشأ عمداً أو تصادفاً، ويطّلعون علىٰ العالم المختلف للرجال والنساء.

وهذا التمييز يمكن أن يصدق أحياناً حتىٰ علىٰ أطفالٍ في سن الرابعة. أما الأطفال الذين يبلغون الخامسة من العمر، فهناك عدد كبير منهم يميّزون البنت من الولد عن طريق نوع من التصورات الجنسية.

وتعيين العالم المتباين للأولاد والبنات يصبح أمراً بديهياً بالنسبة للفتيان، وقد تعرّفوا طوال هذه المدّة علىٰ ما كان ينبغي لهم معرفته. وذلك بسبب ما يتصفون به من شدة حب الاستطلاع والنظرة العميقة والأسئلة ذات المغزىٰ. حتّىٰ أن بإمكانهم فهم الإيماءات والإشارات، أي نفس تلك القضية التي يغفل عنها الآباء والأمهات ويتصوّرون أن أبناءهم سُذّج.

فالعثور علىٰ الذات أو علىٰ الأقل السعي من أجل العثور علىٰ الذات واكتشاف خفايا الجسد هي خطوة عامّة في مجال تنبيه الغريزة واكتشاف الذات. وحينما يجد أن أحد أعضاء بدنه يثير لديه اللذة يبتهج لذلك، ويسعىٰ لاحقاً لتكرار نفس الشعور بالاستفادة من نفس ذلك العضو.

ملاحظات مهمّة:

أشرنا سابقاً إلىٰ أن اكتشاف الغريزة وإيقاظها لا يُعَدّ خطراً بذاته، لكن الخطر كل الخطر عندما يقوم أولياء الطفل بتهيئة الأرضية لإيقاظها في غير

الوقت المناسب، ولأجل اتخاذ الإجراءات الوقائية لا بد من السيطرة علىٰ النقاط المذكورة سالفاً، والتي تؤدي إلىٰ اكتشاف وتنبيه الغريزة عند الطفل. فيجب الاهتمام بصحة ونظافة الطفل، وأن تكون علاقة الوالدين مخفية عن أنظار الطفل، وأن لا تُعرض أمام ناظريه المشاهد ذات الآثار السلبية، وأن يتم توجيه حب الاستطلاع لديه نحو الفن والعلم والمعرفة. وأن لا تدفعه الضرورة نحو إثبات طبيعته الجنسية واختبارها، وأن يمنع من المداعبة. ويجب أن يتم ذلك في قالب التعليم العادي والطبيعي، حيث تُسدىٰ النصائح، ويتم التذكير وتطبق الرقابة، ومن الطبيعي أن ما يبذله الوالدان من جهود أولية في هذا المجال، يمكن أن يؤدي إلىٰ توفير مستلزمات الاستقرار وراحة البال علىٰ امتداد العمر بأكمله.

الفصل الثاني

الميول الغريزية وسيرها عند الطفل

لا تقتصر الميول الجنسية علىٰ فترة البلوغ وما بعدها، بل إنّها تمتد لفترة أطول من ذلك وتتجسد علىٰ شكل مشاعر خاصّة وبإثارات متنوّعة، حيث يقع الطفل تحت تأثيرها من غير أن يقصد العبث والفساد، ويشعر من جرّائها بنوع من اللذة.

فهناك الكثير من الأطفال ـ وكما سنرىٰ لاحقاً ـ لديهم نشاطات جنسية كان لها في بداية أمرها صورة تقليدية، وفي بعض الحالات ناتجة عن سوء التربية والإغواء والانخداع. وبما أن أكثر الآباء والأمّهات لا يمتلكون صورة واضحة أو تصوراً صحيحاً عن سلوكية الأطفال الصغار، لذا فهم يبقون غافلين عنهم، ولا ينتبهون إلا وقد فات الأوان.

الميول الجنسية عند الأطفال تكتشف كما هي الحال عادة عن طريق الجهاز التناسلي، رغم أن بعض الباحثين النفسانيين قد ذكروا لها صوراً أخرىٰ في هذا المجال. ومع أنها تختلف في النوع والكيفية لدىٰ الصغار عنها لدىٰ الكبار، إلاّ أنّها تُعتبر ـ علىٰ أيّ حال ـ زلّة تمهد الأرضية للانحرافات اللاحقة. وهذه الرغبة يمكن أن يتم إشباعها أحياناً عن طريق مشاهدة الأجساد العارية، أو عرض أجسادهم علىٰ مشاهد الآخرين، حيث سنتحدث عن هذا الموضوع فيما بعد.

بداية ظهور هذا الميل:

تُظهر بعض التحقيقات التجريبية أن الأطفال مستعدون منذ بداية ولادتهم

للشعور باللذات الجسدية، وهناك وجهات نظر تثير العجب وهي أن مثل هذه الحالة توجد عند بعض الأطفال قبل الولادة أو في لحظة الولادة ومثلاً أن الجهاز التناسلي هو كذا وكذا و . . .

علىٰ كل حال فمن المسلم به أن الطفل منذ ولادته يمتلك غريزة، وهذا الجانب قد ينمو بلا قيود نتيجة للتساهل، أو يكون سبباً للإبطاء والتوقّف. في فترة السنوات الثلاث الأولىٰ يكون أغلب هذا الميل متّجهاً إلىٰ ذات الطفل والرغبات ذات الصلة بهذا الجانب، ثم تبدأ الرغبات والميول تتجه تدريجياً نحو الآخرين.

والبحوث التجريبية تبيّن لنا أن الميول الجنسية لدىٰ الأطفال تختلف كُليًّا عمّا لدىٰ الشباب. فبعض أصحاب الرأي يعتقدون أن للأطفال تصرفات يمكن تفسيرها بأنّها نوع من الإيحاء الجنسي، حتّىٰ أن بعض علماء النفس يشيرون إليها باسم السلوك الجنسي الواهن.

المسار الجنسي في مراحل الحياة المختلفة (إلىٰ سن السادسة):

تُظهر التحقيقات التي أُجريت علىٰ مسار الحياة الجنسية عند الأطفال أن لهم في كل مرحلة من مراحل الحياة وضعاً خاصاً وحالة خاصّة. فقبل سن الثالثة تتمثل حالتهم الجنسية باللعب بالجهاز التناسلي والمداعبة الذاتية. إذ من الممكن أن يتخذ هذا الفعل صورة الانحراف الجنسي في بعض الحالات.

فيما بين سن الثالثة والرابعة تصبح الحياة الجنسية للطفل مفهومة إلىٰ حدٍّ ما، وتعكس نفسها بأشكال مختلفة. فهو يصر في هذه المرحلة علىٰ المحافظة علىٰ حُرمة وسريّة جسده، وينفر من التعرّي، ويشعر بالخجل إذا ما شاهده الآخرون عرياناً، وعلىٰ الوالدين هنا تعميق هذا الشعور لديه لكي لا ينحدر إلىٰ مستوىٰ اللاأباليـة الجنسية.

وفي سن الخامسة وحتّىٰ السادسة تنمو الهورمونات الجنسية نمواً ضعيفاً بينما فاعلية الغدد الأخرىٰ أشد وأقوىٰ. وفي هذه الاثناء تكون حالة الطفل الجنسية بصورة، يمكن القول معها، إنها لم تُفهم جَيِّداً. ولذا فلا يمكن إعطاء رأي جازم بهذا الخصوص، إلا إذا تكلم الطفل نفسه عن ذاته. طبعاً هم يعبّرون عما في أنفسهم بكلام ركيك أحياناً، وهو يعكس ما يجول في خواطرهم أو يعبّر عن الممارسات الممنوعة أو الرغبة في ذلك الأمر. وفي هذه الحالة ينبغي علىٰ الأب والأم التحلي باليقظة ومراقبة سلوكه.

مسارها حتّىٰ سن الثانية عشرة:

يتمتع الأطفال في سن السابعة بوضعيّة نفسية تعكس عدم أهتمامهم الكثير بتقصي واستطلاع المواضيع الجنسية وعدم رغبتهم بالألعاب الجنسية، ونرىٰ الأولاد في هذه السن يبدون رغبة إزاء البنات، ولكن هذه الرغبة ذات طابع يتّسم بالمودّة أكثر من كونها رغبة جنسية، وهذا ما لا يستوجب القلق. طبعاً هذا لا يعني عدم الفصل بينهم في المنام، أو أن ندعهم يتصرفون بحرية مطلقة كيفما شاؤوا في الأجواء المختلطة.

المداعبة الذاتية التي كانت موجودة في السنوات السابقة تتجه تدريجياً نحو النسيان إلا أن تكون قد أصبحت عادة مستأصلة فيه، غير أن ذهنهم يكون منهمكاً بدراسة ومعرفة العالم الذي يعيشون فيه. حتىٰ الأطفال في سن السابعة والثامنة ربّما يكونون في وضعية المتفرج علىٰ عالمهم المتنوّع من دون وجود إثارة جنسية في هذا الجانب. لكن هذه المشاهدات غير مسموح بها من وجهة نظرنا؛ لأنّها ستكوّن في نفسه سابقة ذهنية لحياته المستقبلية بمعنىٰ أن ما يشاهده اليوم سيفهمه غداً في سنوات البلوغ. وسوف تصبح مشاهدات اليوم ذاتَ مغزىً بالنسبة له غداً.

ويطلق الباحثون في الحقل النفسي علىٰ الفترة ما بين سن ٧ ـ ١٢ عاماً اسم فترة الضمور الجنسي، ويقولون: إن الطفل يُمضي مُعظم أوقاته في دراسة

واكتشاف الظواهر في عالمه الخاص وفي حياة الآخرين. وربما السبب في ذلك هو أن سن السابعة هي سن انبثاق وازدهار التفكير المنطقي، إلىٰ نهاية مرحلة الطفولة. وهذه الاكتشافات والإدراكات لا تُعد خطراً بذاتها. ولكنها من الممكن أن تكون من دواعي السعادة أو التعاسة في المستقبل، ولهذا فمن الضروري توجيهها وترشيدها، وأن تخضع للرقابة والتعديل.

السلوك الشهواني عند الأطفال:

في مسيرة النمو الجنسي عند الطفل تلاحظ مرحلتان أساسيّتان وهما:

الأولى: مرحلة حب الذات التي هي تقريباً مرحلة الطفولة بكاملها.

والثانية: هي مرحلة حب الآخرين، والتي تظهر قبل بداية فترة المراهقة بقليل، وتستمر علىٰ هذا المنوال، وتكون نهايتها طبعاً الميل والتوجّه نحو تشكيل العائلة.

ميول ورغبات هذه المراحل تتجسد في قالب اللعب. ويصرّح الباحثون النفسانيّون بأن الأطفال لو تُركوا مبدئيًّا علىٰ هواهم، فإن الكثير منهم سيمارسون الألعاب الجنسية، وينهمكون فيها حتّىٰ يبدون وكأنهم لا عمل آخر لهم. فالأولاد يمارسون عادة الألعاب التي ترسي فيهم دعائم الخشونة والعصبية في المستقبل. بينما نراها تميل عند البنات نحو الرقّة، وميولهن في هذا الجانب ملموسة ويمكن مشاهدتها بوضوح. يتّخذ هذا السلوك طابعه فيما بعد ويتبلور عند الذكور بصورة التعدّي وعند الإناث بصورة الخضوع.

سلوك الأطفال الجنسي يعكس حاجتهم لاكتشاف الخفايا في هذا المجال، ويعكس أيضاً رغبتهم في محاكاة الكبار. فهم عندما يجدون مكاناً منعزلاً وبعيداً عن الأنظار يحاولون ممارسة أنواع غير مناسبة من اللعب، ويعمد كل منهما إلىٰ اكتشاف الآخر والتعرّف عليه، وحتّىٰ إنهم يحاولون إقامة علاقات فيما بينهم كما يفعل الكبار، وهذا ما يؤدي إلىٰ حصول انزلاقات

فيما بعد.

وقبل مرحلة المراهقة يقوم الفتيان والفتيات بلعبة العرس، وهم يؤدّون بذلك دور الوالدين في الماضي، ودورهم في المستقبل. حتّىٰ أنهم يحرصون علىٰ تطبيق كل ما سمعوه أو شاهدوه في هذا المجال. وملاحظة أوضاعهم تعكس لنا مدىٰ امتلاء ذهنهم بالخرافات، بل وحتّىٰ نجد أذهانهم مليئة بالتلوث الناتج عن التعليم السيء.

نظرات ذات مغزىٰ:

لا ينظر الأطفال الذين بلغوا سن التمييز إلىٰ الأجساد العارية من أجل اللذة الجنسية فقط، بل قد ينظرون إليها أحياناً نظرات ذات مغزىٰ من أجل كشفها وفهم تركيبها، أو أنهم ينظرون إلىٰ الصور الجنسية بشره بالغ من أجل فهم وإدراك جوانب الموضوع عن كثب.

وحقيقة الأمر أن الكثير من الأطفال الصغار وحتّىٰ أولئك الذين بلغوا سن التمييز لا يقصدون التلذذ من مشاهدة أجساد الآخرين، حتّىٰ يمكن القول: إنهم لا يعرفون مثل هذه اللذة. ولكن ينبغي الإشارة أيضاً إلىٰ أن هذه القاعدة غير مطلقة، ولا يمكن تعميمها علىٰ جميع الأحوال. فبحوث علماء النفس تشير إلىٰ أن البعض منهم يتلذذ علىٰ أثر هذه المشاهدات بما يشبه اللذة الجنسية، ونحن نلحظ في بعض الأحيان نظراتهم الخفيّة ومزاحهم المستهجن وضحكاتهم المثيرة.

ففي الأجواء المختلفة نرىٰ الطفل أحياناً يلقي نظرات خفية وذكية، فهو يتظاهر بالنوم لكي يفهم ما يجري حوله من أحداث، وفي بعض الحالات نراه منهمكاً في التفرج علىٰ نفسه وعلىٰ الآخرين، حتى أنه يحب أن يشهد علاقات الآخرين وهذا كله إما أن يعكس حالة الانحراف، وإما أن يكون مقدّمة للانحراف.

مقدّمة التحوّل:

كلما أزداد نمو الطفل كلّما أزداد أنساً ورغبة في مخالطة الآخرين، ويصبح أكثر غموضاً، كما أن كثرة معلوماته وزيادة مشاهداته وما يطرق مسامعه تجعل منه فرداً حسّاساً، بحيث يمكن القول: إن الطفل الذي يبلغ سن العاشرة لا ينظر إلىٰ الحوادث والعلاقات الغريزية نظرة عدم المبالاة.

فإن كان النظام التربوي يُراعي هذه المسائل ولا يثير حسّاسيّتها، وكان الخجل والحياء هو السائد في العلاقات العائلية، فلن تبرز هناك أيّة مسألة، ولكن الخطر يكمن في عدم مراعاة الأب والأم وباقي أفراد العائلة لأحاديثهم وتصرفاتهم. فهناك مجموعة من التغييرات التي تطرأ في حدود سن العاشرة لدىٰ الفتيات وبعده بسنة أو سنتين لدىٰ الفتيان والتي يمكن أن تكون مقدّمة لما يأتي بعده من استيقاظ الغريزة والبلوغ. هذه التغييرات حتمية. ولا يتطلب ذلك من الأولياء والمربين التحمّس لها، أو تحفيزها بواسطة التنبيه إليها لغرض التسريع فيها.

المشاعر والرغبات الجنسية تتنبه تدريجياً. ويطرأ عليها نوع من الآمال والأماني المختلفة كلياً عما لدىٰ الأطفال. فاللذات التي كانت تخلق فيهم حالة الانجذاب قبل سنتين قد تغيرت الآن، وتحولت إلىٰ شكل آخر، وهي لا تشتمل علىٰ أية خطورة فيما لو أحيطت برقابة الوالدين.

مواقف ضرورية:

يجب أن تكون للوالدين والمربين مواقف مدروسة وثابتة إزاء هذا التغيير والتحوّل الذي يطرأ علىٰ حياة الطفل. فمع جميع الاحترام الذي نكنّه لشخصية الطفل ينبغي أن نشدد الرقابة لكي تتكون مشاعرهم في ظل ضوابط ومعايير معيّنة، وأن لا يتركوا في حالة من التسيّب وعدم الانضباط. وينبغي أن لا تتوفر أمام الطفل الأرضية غير المناسبة التي يخسر نفسه فيها أو تتسبب في تلويث شرفه وعفافه الإسلامي.

فعلاقة الوالدين والأبناء في المنزل يجب أن تخضع للرقابة، وكذلك علاقة المراهقين بالأطفال هي الأخرىٰ يجب مراقبتها. وهذا يستوجب متابعة أي مزاجٍ بذيء يصدر منهم، واستجوابهم عن الكلمات والعبارات القبيحة التي يتفوّهونَ بها، ويُمنعون من تكرارها. وعلىٰ الوالدين والمربّين عدم كتمان انزعاجهم وغضبهم علىٰ مثل هذه الأوضاع والتصرفات، ويُعلنوا لهم عدم توقّعهم لسماع مثل هذه الكلمات أو مشاهدة مثل هذه التصرفات.

في بداية سن المراهقة تظهر لديهم حاجة شديدة للتعلّق بشخصٍ ما، أو يكونون موضع قبول شخص ما وهذا بحدّ ذاته يعتبر سبباً موجباً للانصياع لدواعي الذِلّة والفساد. والمطلوب هو تقوية الحياء العقلاني لديه إلىٰ أقصىٰ حد ممكن وحثّه علىٰ الاعتزاز بنفسه لكي لا يشعر بالحاجة حتىٰ لا يرضخ للغير. وكذلك تنمية منطقه وتقوية إيمانه وإرادته، ربما تكون عوامل مساعدة لضبط نفسه وإرشاده وتوجيهه.

الفصل الثالث

دور الغريزة في السلوك

قلنا: إن الأطفال منذ المراحل الأولىٰ في حياتهم تظهر عليهم الأعراض الجنسية من اللذة والزلل والانحراف، ومع تدرجهم في النمو والكبر يحرصون علىٰ تجسيد حالتهم الجنسية في طراز حياتهم وفي تجميل الوجه وتمشيط الشعر، وفي نوعية السلوك وأسلوب التعامل مع الآخرين، وفي جوانب استخدام القوّة أو الإذعان والاستسلام. فتقوم الفتيات بتقليد دور النساء، ويقوم الفتيان بتقليد الرجال.

تبدو الأمور إلىٰ هذا الحد تسير بصورة طبيعية، ويجب علىٰ المربين السعي لتقوية هذه الحالة في الطفل وإعداده تدريجياً، وتربية الفتىٰ لكي يصبح رجلاً كاملاً، والفتاة لكي تصبح امرأة كاملة. ونشير هنا أيضاً إلىٰ وجود خلل تربوي قد يؤدي حتّىٰ إلىٰ الانحراف، ويتمثل في سعي الآباء والأمهات ولأسبابٍ ودوافع مختلفة إلىٰ تربية الأولاد تربيةً أنثوية كتربية البنات، وتربية البنات تربية ذكرية كتربية الأولاد. وسوف نتحدث فيما بعد عن أعراض تطبيق هذا الأسلوب خلال بحثنا للموضوع المتعلق بالسلوك الجنسي لأولئك الذين يميلون إلىٰ نظرائهم في الجنس.

والقصد هو أن الكثير من مشاعر الشهوة قد تبرز خلال سنوات مبكرة جداً، وربما يتصرف الأطفال تصرفات بالغة الضرر في سبيل إثبات نوع جنسهم أو وضعهم الجنسي ومن الأفضل منع وتقويم هذا السلوك منذ بداية ظهوره.

الغريزة عامل حركة وتكامل:

نعم، نحن نعتبر الغريزة من العوامل المهمة في الحركة والتكامل. أما أولئك الذين بالغوا في وصف الغريزة، فقد تحدثوا عنها بشكل يجعل الإنسان يتصوّر أن جميع حركات الإنسان وسكناته المادية والمعنوية صادرة عن هذه الغريزة، وحتىٰ الإيمان والمعتقد الذي نعتبره نحن من أقوىٰ الدوافع للتضحية والإيثار والفداء، والعفو والسماح عند المقدرة. فإنهم يعتبرونه منبثقاً عن الغريزة.

ويعتقد أولئك الذين يؤمنون بهذا المنهاج الفكري، بأنّ الغريزة حافز قوي لكثير من مساعي الإنسان وحركاته. فالقسم الأعظم من عمل الإنسان وكدحه إنما هو من أجل توفير مستلزمات إشباع هذه الغريزة والحصول علىٰ الاستقرار والسكينة.

وفي مجال التكامل ينبغي أن نُشير إلىٰ أن جزءاً كبيراً من النمو الجسدي والفكري والذهني يتحقق بوجود هذه الغريزة. وأولئك الذين لا يتمتّعون بغريزة سالمة لا يحظون بالسلامة الجسمية اللازمة علىٰ الغالب، وكذلك الذين يعانون من نقصٍ في هذا الصدد لا يمكنهم أن يكونوا أشخاصاً متّزنين وسالمين من الناحية الفكرية والنفسية. فوجهات نظر الإنسان ورؤيته للكون والحياة تتكون في وجود الغريزة. فالذين يتمتّعون بسلامة في الغريزة كأنما يمتلكون نظرة أكثر شمولية عن هذا العالم وما فيه من ظواهر، ويحصلون علىٰ فهم أعمق وأشمل عن المسائل.

الغريزة عامل انحراف:

من البديهي جداً أن غريزة الأشخاص إنْ لَم تُقَوَّم وتوجّه فإنها تكون سبباً لوقوع الإنسان في المزالق والانحرافات، وهذا ما نراه اليوم موجوداً في جميع أنحاء العالم، وهو يشمل الأطفال الصغار حتّىٰ يمتد إلىٰ الشيوخ

الطاعنين في السن. فما أكثر المفاسد الاجتماعية والتجاوزات والأمراض الناتجة عن عدم تربية وتوجيه الغريزة بشكل صحيح، فبدل أن يتّجه المسؤولون إلىٰ استئصال العلة نراهم يسارعون إلىٰ اجتثاث المعلول.

سر الانحراف يكمن في أن النشاط الجنسي ـ بالنسبةِ إلىٰ الذين اكتشفوا وجوده ـ يصبح من ألذّ النشاطات، فهو ليس كالغذاء الذي يشبع الإنسان من تناوله عدّة مرّات ولا هو كالإدرار الذي إن خرج من الإنسان لا يهتم بعده ولا يبالي. فما دامت الغريزة في الإنسان حيّة ومتنبّهة، فهي تدفعه نحو قضائها وإشباعها، وتسوقه نحو الحصول علىٰ صيدٍ جنسي، وتُحفّزه علىٰ النشاط والتحرّك.

هذا الانحراف موجود أيضاً عند الأطفال والفتيان، لكن بعض الباحثين يطرحون هذا التساؤل وهو هل يجوز لنا مبدئياً تسمية تصرفات وعادات الطفل في هذا المجال بالميول الجنسية أو الانحراف أم لا؟ وسرّ إحجامنا عن هذه التسمية يكمن في أن ما عند الصغار يختلف بالمرّة عما عند الكبار. ولكن علىٰ أية حال يوجد لدىٰ بعض الأطفال سلوك ناتج عن فساد الأخلاق، ويقوم علىٰ أساس الجنس، ينبغي الوقوف أمامه. وسنتحدث عن هذا الموضوع بتفصيل أكثر خلال الفصول القادمة.

الزلل عند الطفل والفتىٰ:

لو أننا اعتبرنا الأطفال والفتيان منحرفين فيما يخصّ سلوكهم الجنسي واعتبرنا تصرفاتهم في هذا الجانب غير صحيحة. ينبغي علينا إذن طرح مسائل متعددة في هذا الصدد. يمكن اختصارها تحت عنوان الانحرافات الجنسية عند الأطفال والفتيان. مساحة هذا الموضوع واسعة جداً وستكون عناوين الفصول القادمة مخصصة لدراسة هذه المواضيع كل علىٰ حدة.

أما ما ينبغي الإشارة إليه في هذا الجزء فهو أن النشاط الجنسي لدىٰ الأطفال واضح للعيان علىٰ شكل مداعبة الأعضاء التناسلية في فترة الطفولة

وحتىٰ سن الرابعة. وهي ممارسة ليست علىٰ نسق واضح، ولكنها في الوقت نفسه معقّدة، إلا أنها غير عميقة. فانتباه الطفل إلىٰ جهازه التناسلي والذي يتخذ علىٰ الأغلب صورة مكشوفة يؤدي إلىٰ التفات الطفل إلىٰ ذاته وعالمه الذاتي، ثم يقوده إلىٰ الانحراف لاحقاً، يُعتبر أمراً شائعاً نسبياً وتشير الإحصائيات (في الغرب طبعاً) إلىٰ أنّه منتشر بنسبة ١ / ٣ من الأطفال تحت سن العاشرة. فقد لوحظ في إحدىٰ العيادات الأمريكية أن من بين ٣٨٠ طفلاً و ٣٠٠ طفلة بين سن ٣ ـ ٥ سنة ممن وُضعوا تحت المراقبة؛ أن نسبة ٣٤ ٪ من الأولاد و ٢١ ٪ من البنات يمارسون عملية الاستمناء أو مداعبة الجهاز التناسلي. في السنوات اللاّحقة وحتّىٰ في أواسط المرحلة الابتدائية تتسع مساحة الانحراف نِسبياً. ويُصاب الفتيان والفتيات بأنواع خطيرة من التلوّث، وهذا ما سنتناوله بالدراسة في بحوثنا القادمة.

لا شَكّ أن الكثير من الاضطرابات السلوكية لدىٰ الفتيان والفتيان ناشئة من أعراض جسدية لم تلقَ العناية الكافية. ومن حق الآباء أن يقلقوا لمشاهدة مثل هذه الممارسات عند أطفالهم وأن يجدّوا لإنقاذهم منها.

اختلافها عمّا لدىٰ الكبار:

وكما ذكرنا سابقاً من الضروري الإشارة إلىٰ أن السلوك الجنسي عند الأطفال يختلف كلياً عمّا نشاهده لدىٰ الكبار أو حتىٰ لدىٰ المراهقين، رغم أن الانحراف الصادر من الطفل ومن البالغ واحد ويُطلق عليه اسم واحد، ويرمي إلىٰ أغراض مختلفة.

الانحرافات الجنسية تظهر غالباً عند صغار السن بسبب عدم نضوج أحاسيسهم، أو بسبب مواصلة النشاط الجنسي الطبيعي بصورة غير اعتيادية في مرحلة نضوج الشخصية، بينما تظهر عند البالغين والمراهقين لأجل إشباع الغريزة والشعور بالارتياح لا غير. من الممكن أن الأطفال في علاقاتهم الجنسية لم يخططوا في أذهانهم لأي تفكير ينطوي علىٰ نوع من المخاطر أو

انهم لم يشعروا مطلقاً بأن هذا العمل غير مشروع بينما هي لدىٰ الكبار علىٰ خلاف هذا. فهي عند الطفل بمثابة نوع من اللعب أو العادة غير المحبّذة فيما تمثّل عند المراهقين أسلوباً للتحرر من الاضطراب والقلق الداخلي. وأخيراً فهي ربّما تكون عند الطفل صورة من التقليد والتسليم والطاعة وبلوغ لذة، تماماً كالأكل واللعب والحصول علىٰ ملجأ وملاذ، في حين تعكس عند الكبار جانباً غريزياً محضاً في مجال الإشباع والتسكين.

البحث عن اللذة:

مما ينبغي الإشارة إليه تحت عنوان (بحث الأطفال عن اللذة) يجب أن نذكر أنه ليس من المحتّم أن يتّخذ هذا البحث طابع الاتصال الجنسي أو الممارسة الجنسية كما يفعل الكبار؛ بل معظمها يكون علىٰ شكل المداعبة الذاتية، الحصر الإرادي للبول والغائط، ودفعه إلىٰ الخارج بواسطة الانقباض والانبساط العضلي. وهذا يعتبر بذاته عامل كشف وعامل لذّة أيضاً. يُشاهد مثل هذا الوضع أيضاً لدىٰ الأطفال بين سن ٢ ـ ٣ سنوات.

في بعض الأحيان يحرّك الأطفال أنفسهم علىٰ حوض المقعد، أو يمرّغون أنفسهم علىٰ الفراش أو بالأعمدة، ويشعرون باللذة من جراء هذا العمل. ومن البديهي أنهم لو اكتشفوا مثاراً للذّة في أية نقطة من البدن فلن يكفّوا عنها، وهذا مدعاة لتكرار الممارسة وما يليها من انحرافات لاحقة.

أما المراهقون، فالتفكير بالاتصال الجنسي يشغل أذهانهم لمدّة طويلة. وإشباع الميول والرغبات بهذا الأسلوب يوجد لهم لذّة ومُتعة، وهذا هو الموضوع الذي يمكن الإشارة إليه تحت عنوان (الانحراف العلني). ولو أنه حصل في بعض الأحيان لاتّسع نطاقه وبات أسلوباً من أساليب التسلية ينصرف الإنسان بواسطته عن دروسه ومطالعته وحياته وعمله.

مخاطر الإدمان عليه:

ربما تؤدي الميول الجنسية عند الأطفال وانحرافها عن مسارها العادي

والطبيعي إلىٰ خلق المشاكل والمتاعب للإنسان في فترة المراهقة وحتىٰ في فترة البلوغ والشباب. فالإثارة الجنسية للأطفال تُعتبر من الناحية العلمية عاملاً مساعداً علىٰ إيجاد ميول جنسية غير سليمة وجموح مبكّر لديهم بحيث أن عوارضها تبقىٰ ملازمة للإنسان في بقية فترات حياته. فنحن نرىٰ العادات الخاطئة من الفترات السالفة قد تجذّرت في نفوس الشباب والكبار وحتّىٰ الشيوخ منهم ولم يعودوا قادرين علىٰ التخلص منها.

نحن لا ننكر حقيقة أن منع أسئلة الأطفال واستعمال الأساليب الخشنة فيما يخص سلوكهم الخاطىء قد ينجم عنه بروز أعراض مستهجنة، لكننا نعتقد أن النصائح والإرشادات باستطاعتها التأثير فيهم، ومن الممكن توجيههم عن طريق إظهار الأسف في الموارد التي يجدي فيها الإعلان عن عدم الرضا.

وفي كل الأحوال من الضروري سد طرق المنزلقات التي يهوي فيها الأطفال منذ البداية، ومن المفترض اتخاذ الإجراءات الوقائية اللازمة ضد حصول مثل هذه الأوضاع للأطفال. لأن اعتياد الطفل علىٰ الشعور باللذة يتجذّر في ذاته، ومن الصعوبة إعادته بعد ذلك إلىٰ وضعه الاعتيادي والطبيعي، أو حتىٰ قد يستحيل ذلك.

تحذير للوالدين والمربّين:

نرىٰ من الضروري هنا أن نلفت أنتباه الوالدين والمربين إلىٰ عدد من النقاط لتكون بمثابة تحذير لهم، وهي أن لا يتصوروا أن أبنهم طفل أو أنه صغير السن، ومثل هذا السلوك لا يُوجد لديه أية مشكلة. فالانحرافات الجنسية تخلق الأعراض للأطفال أوّلاً، وسنتحدث عنه بالتفصيل في الفصول القادمة، وثانياً لو كانت المسألة لا تسبب الضرر للأطفال اليوم، فمن غير المعلوم أنها تبقىٰ غير ضارة إلىٰ الأبد. ففي بعض الأحيان تؤدي العادات الخاطئة لدىٰ الإنسان منذ زمن الطفولة أو السوابق الذهنية لديه في هذا الصدد

إلىٰ خلق أوضاع في حياة الشخص قد تهدد حياته بالخطر.

كما تكمن في حفظ وصيانة الطفل من خطر الانحراف فوائد ينتج عنها بقاء فكر الطفل وذهنه وعاطفته وشرفه في حصانة من التلوّث. فكلما كانت الإجراءات الوقائية أشد وأفضل، فستكون الحصانة الأخلاقية للطفل أكثر وأنفع. لأن الإهمال في الوقت الحالي، سيؤدي إلىٰ تجذّر الانحرافات بحيث تستعصي إمكانية إصلاحها.

المراقبة والوقاية:

ينبغي القيام بعملية مراقبة دقيقة في جوانب متعددة لغرض صيانة الطفل من الخطر وأهم هذه الجوانب هي:

مراقبة علاقة الوالدين عند وجود الطفل، والمراقبة في النوم وفي الاستراحة، وكذلك ملاحظة علاقات الطفل مع الآخرين. مراقبته عند التغوط وعدم السماح له بالبقاء فترة طويلة في المرافق الصحيّة. الإشراف علىٰ ألعاب الأطفال أو علىٰ الأقل ملاحظتها بدقّة. مراقبة النظافة الجسمية والنفسية للطفل. إسداء النصائح المفيدة للطفل في الموارد التي يجهل فيها قبح عمله. التحذير والإنذار المصحوب بالنصيحة للطفل المميّز لقبح العمل. وفي جميع الأحوال تُقطع علاقته بمثل هذه الأعمال...

أما في البُعد الوقائي فيجب اتباع النقاط التالية:

عدم السماح للأطفال باللعب مع الأشخاص البالغين والمطلعين حديثاً علىٰ الأمور الجنسية، وأن لا يذهب الطفل الملوّث إلىٰ الفراش قبل النوم، ويُمنع من تمريغ جسده بالأشياء الأخرىٰ، وعدم السماح بدخول الأطفال المميزين إلىٰ غرفة الأب والأم اثناء النوم، وعدم الاستحمام في الأجواء المختلطة. مراقبة مشاهدات الطفل وأنظاره، ومنعه من المداعبة الذاتية، ومنع تقليد الآخرين ومحاكاتهم في الجوانب الجنسية.

الباب الثالث

عوامل إثارة الغريزة

من المسلّم به أن الغريزة تنضج في مراحل معيّنة من الحياة وتُهيّىء الأرضية لاستيقاظ وتنبه الإنسان للقضية الجنسية. فيصبح لدىٰ الإنسان في مرحلة المراهقة والبلوغ وعي في هذا الجانب، حيث سبق أن ذكرنا أن هذا التنبّه يتبعُه وجود الرغبات والميول الجنسية وما ينتج عنها من توفّر مستلزمات الانحراف لدىٰ الأطفال والمراهقين.

ولكن ما نتناوله نحن في هذا الباب من الكتاب هو العوامل التي توفر للإنسان مستلزمات الاستيقاظ والإثارة حتّىٰ وإن لم يكن راغباً فيها ومتقصّداً إيّاها، حيث تصبح الظروف مهيّأة للانحراف أمام الطفل أو الصبي. فهذا الانتباه يكون أحياناً مرتبطاً بالشخص ذاته، ويكون مردّه المجتمع في بعض الأحيان، أو نابعاً من عوامل أخرىٰ حيناً آخراً.

فبالنسبة للقسم الأول يمكن الإشارة إلىٰ وجود الديدان في المعدة، ونضج الجهاز التناسلي، والمداعبة واللمس، وامتلاء المثانة، ونوع الغذاء واللباس، وحتّىٰ البلوغ المبكر في بعض الأحيان. ومن الناحية الاجتماعية يمكن التنبيه إلىٰ العوامل المؤثرة في هذا الصدد وخلاصتها؛ الدلال المفرط، والبيئة المختلطة، العلاقات غير الصحيحة في الاختلاط، المشاهدات والمسامع، أما فيما يتعلق بالقسم الثالث فيمكن تلخيصها في: مشاهدة الصور والملصقات، وعلاقات الآخرين والإحباطات والمدح من قبل الجنس الآخر والزينة والتجمّل وذكر القصص المشتملة علىٰ قضايا جنسية.

وسنحاول في هذا البحث، دراسة المواضيع الثلاثة أعلاه في ثلاثة فصول مع مراعاة الاختصار.

الفصل الأول

العوامل الذاتية في الإثارة

الأساس في هذا الجانب هو إعمال ما أمكن من الرقابة علىٰ الطفل لإبعاده عن عوامل الإثارة الجنسية، لكي لا يتعرض لاستيقاظ الغريزة المبكّر أو السابق لأوانه، لكن هناك عوامل متعددة تحصل للطفل عن وعي أو عن جهل، فتؤثّر فيه وتوقظ غريزته قبل الأوان.

هذه العوامل عديدة؛ بعضها متعلق بجانب الاكتشاف وروحية حب الاستطلاع لدىٰ الطفل وبعضها يعكس حالة مرضية، وبعضها الآخر ينشأ عن انعدام الرقابة وعدم مراعاة نوع الملابس والغذاء و... إذ أنها من دواعي الخطورة في بعض الأحيان.

نعم لو أردنا تقويم الميول الجنسية لدىٰ الأشخاص أو نمنع حدوث الآثار المتعلقة بها، فهذا ممكن، وأحد الأساليب هو عدم إثارتها. فإمكانية الاستجابة للإثارة يمكن ملاحظتها لدىٰ الأطفال الصغار وحتّىٰ الرُضّع منهم، ويلحظ بكثرة لدىٰ الأطفال بين سن ٢ ـ ٣ سنة.

حصيلة الإثارة:

يظهر الميل الجنسي لدىٰ الأشخاص ويَطِلُّ من مكمنه نتيجة لعملية الإثارة. ومن البديهي والحالة هذه أن تحصل لديه مجموعة من الأماني والرغبات. فإن أُتيحت الفرصة لتلبيتها بالأساليب المشروعة، فلن تواجهنا أيّة مشكلة، إلاّ أنكم تلاحظون أن الأشخاص الذين نتناولهم بالدراسة هنا هُم من

الأطفال والمراهقين، وهذا أمر غير ممكن بالنسبة لهم. وبالنتيجة فهم مضطرّون إلىٰ ارتكاب الحرام وممارسة نوع من السلوك يسمّىٰ بالانحراف أو الزلل.

فالميل الجنسي رغبة جامحة وقويّة، ودافع شديد نِسبياً. ومن المتعارف أن هذا الميل يتّجه نحو شخص آخر يمتاز بالجاذبية الجنسية، بحيث يستقطب ذلك الشخص نحوه، وإن لم يكن هناك شخص يُشبع هذا الميل فإن الانحراف سيتّجه إلىٰ ذات الشخص.

وهذا الأمر أكثر ما يصدق علىٰ الأطفال والمراهقين: لذا نراهم يعيشون في مرحلة حب الذات، ولذلك تكون مساحة علاقاتهم محدودة، وليس لديهم اطّلاع واسع عن العالم الخارجي، ويغلب عليهم الخجل والحياء، ويسيطر عليهم الخوف والقلق سريعاً فيجبرون علىٰ التفكير في ذاتهم فقط ويجعلون أنفسهم وسيلة للإشباع الذاتي.

عوامل الإثارة:

هناك عوامل كثيرة تؤدي إلىٰ إيجاد المناخ المناسب لإثارة الشهود لدىٰ الطفل والمراهق، وإهمال الوالدين والمربّين لهذا الجانب قد يتسبب حصول مفاسد وفضائح كبرىٰ. لا شك أن بعض هذه الموارد يمكن معالجتها بالعقاقير الطبيّة والبعض الآخر عن طريق مراقبة الوالدين وأُولي الأمر، وقسم منها يمكن إزالته أيضاً عن طريق التنبيه والنصيحة والتحذير. أما تلك العوامل فهي كثيرة ومن جملتها:

١ ـ نضوج الجهاز التناسلي:

يُعتبر النضوج مبدئياً من الحالات القويّة التي تسبب ظهور بعض أنواع السلوك المنحرف لدىٰ الأشخاص. فنضوج الجهاز التناسلي قد يؤدي حتّىٰ إلىٰ اليقظة المبكّرة للميل الجنسي عند الإنسان. وهذه المسألة عند الذكور أخطر، وخاصة عندما تكون الثياب الداخلية خشنة أو ناعمة جداً وكذلك لو كانت

الملابس ضيّقة جداً وملتصقة بالجسم.

ومن الجدير بالذكر أن سلوك الأولاد في هذا الجانب وفي الجانب النفسي يتّجه إلىٰ الإثارة الجنسية، فتدفعهم اللذة الناتجة عن الإثارة إلىٰ تكرار ذلك العمل، وأن كان الشخص ضعيفاً أو محروماً في بعض جوانب حياته فهو يقع فريسة لأهواء الآخرين.

٢ ـ مشاهدة البدن:

التفرج علىٰ الجهاز التناسلي الذاتي أو الأجهزة التناسلية للآخرين، يمكن أن يكون سبباً أيضاً لإثارة الأطفال أو مدعاة للانحراف. وسوف نبحث هذا الموضوع في الفصول القادمة بشكل موسّع. إلاّ أن ما يستوجب الإشارة هنا هو أن التفرج والنظر إلىٰ الأعضاء التناسلية الذاتية هو السبب في استيقاظ الميول الجنسية والرغبة في اللمس وما يتبع ذلك من انحراف. فهم يتلذذون بهذه الممارسة مما يؤدي بهم إلىٰ السعي الحثيث من أجل إشباع رغباتهم الشهوية. وإن تكررت هذه المشاهدات وتأصّلت في النفس فسينتج عنها اندفاع جنسي جامح، يؤدي بدوره إلىٰ السقوط في مهاوٍ ومنزلقات أخرىٰ. فعلىٰ الآباء والمربين صيانة طفلهم وإبعاده عن مثل هذه المواضع، ونهيه عن مثل هذا الأمر بواسطة النصائح والتوجيهات.

٣ ـ وجود الديدان في المعدة:

سبق وأن أشرنا إلىٰ أن سبب بعض الانحرافات ينتج أحياناً من وجود الديدان في المعدة، إذ يتولد عنه حكّة في المخرج وجوانب الأعضاء التناسلية. والطفل مضطر لحك هذه المناطق لإزالة هذه المثيرات.

هذا الحك يزيل الألم ومثيرات الحكّة، ويسبب له في نفس الوقت نوعاً من اللذة بحيث يحاول تكرار العملية، وهذا بذاته دافع للانحراف، في حين لو عولج وجود الديدان بالشكل الصحيح، أو تمت مراجعة الطبيب للحصول علىٰ العلاج المفيد، لما وصلت الأمور إلىٰ هذا الحد.

٤ ـ اللمس والمداعبة:

ربما يؤدي اللمس والمداعبة إلىٰ إثارة اللذة عند الطفل. ومن المحتمل أن يتخذ هذا العمل صورة اللعب في بداية الأمر، ولكنه يتحول شيئاً فشيئاً إلىٰ الشعور باللذة، ومن ثم يؤدي إلىٰ الانحراف. هذه المسألة موجودة لدىٰ صغار السن بشكل أو آخر، وفي سن الرابعة والخامسة تتأصل هذه العادة في نفوسهم بالتدريج، وتصل بين سن ٧ ـ ٩ سنوات إلىٰ أوجها، وهناك احتمال بأن تستحيل إلىٰ عادة مستحكمة في نفسه.

ومما يستوجب التنويه في موضوع المداعبة أنها تعكس حالة عدم الاستقرار العاطفي عند الطفل، إذ من المحتمل أن تتحول فيما بعد إلىٰ حالة نصف شهوانية. فكل عمل يُمارس من أجل التخلص من حالة إثارة ويتكرر لاحقاً طلباً للذة، فإنّه سيتّخذ طابع الانحراف.

٥ ـ الامتناع عن التغوّط والتبوّل:

من عوامل الإثارة امتلاء المثانة بالبول أو امتناع الطفل عن التغوّط. فالأطفال الذين لا يتخلّون قبل النوم يتعرضون لمثل هذه الحالات. إذن يجب علىٰ الآباء والأمّهات تعويد طفلهم علىٰ التخلّي في الوقت المناسب، خاصة حين الذهاب إلىٰ النوم. أو يجب علىٰ الأب والأم إذا استيقظوا في منتصف الليل أن يوقظوا أطفالهم وخاصة ما بين سن ٥ ـ ٩ سنوات ويأخذوهم إلىٰ المرافق الصحيّة. وهذا الأمر أكثر ضرورة في ليالي الشتاء الطويلة.

٦ ـ مواصفات الملابس:

تعتبر الثياب والألبسة وما فيها من مواصفات عامل إثارة للشخص ذاته وللآخرين من الأشخاص الملوّثين. فعلىٰ الآباء والمربين الانتباه إلىٰ الملابس الداخلية فلا تكون خشنة جداً ولا ناعمة جداً. ولا يعوّدوا الأطفال والمراهقين وحتّىٰ البالغين علىٰ ارتداء الثياب الضيّقة التي تلتصق بالبدن، فهي بالإضافة إلىٰ الأضرار المترتبة عليها في هذا المجال تعيق النمو الصحيح لديهم. وعدم خياطة الملابس الداخلية من الأقمشة السميكة أو التي تتصلب بعد التعرّق

والرطوبة (مثل الثياب التي لا تحتاج إلىٰ كوي والتي تسمّىٰ بثياب إغسل والبس).

أمّا في مجال إثارة الآخرين فينبغي القول: إن نوع الثياب ولونها وفصالها، وكذلك ارتداء ثياب الجنس الآخر، كلها تثير المتعطّشين للشهوة. وأنتم تعلمون بوجود أبواب خاصة في فقهنا تشتمل علىٰ التعليمات والمقررات الخاصة بهذا الشأن، وهي لا تُجيز للنساء ارتداء ثياب الرجال ولا للرجال ارتداء ثياب النساء.

٧ ـ نوع الغذاء:

يمكن للغذاء أن يكون بذاته من عوامل الإثارة، وخاصة تلك المواد التي حُرّم أكلها حتّىٰ في الشريعة الإسلامية، مثل خصيتي الثور والخروف. وكذلك الحال بالنسبة لبقية أنواع الأطعمة والأكلات التي تثير الأعصاب، وتجعل الإنسان يذهب إلىٰ النوم متأخّراً، ويبقىٰ علىٰ أثرها يتمرّغ في الفراش وتراوده الأفكار المختلفة.

فالحفاظ علىٰ سلامة الأطفال فكرياً ونموّهم جَسَديًّا، يتطلب تقديم الأكلات المنتجة للطاقة للأطفال والشباب، ولكنّها لا تثيرهم جنسياً. طبعاً تناول الألبان يقوّم إلىٰ حد بعيد من سلوك الغريزة، ويهدّىءُ الميول الجنسية. ويُنصح بعدم إعطاء الأكلات الثقيلة للأطفال والفتيان وخاصة في الليل، لأنها تؤدي إلىٰ اضطراب النوم، والاستيقاظ والتقلّب في الفراش والتعرض للأفكار والوساوس المختلفة.

٨ ـ البلوغ المبكّر:

من عوامل إثارة الفرد دخوله في مرحلة البلوغ، ومعنىٰ ذلك أن الطفل يصل إلىٰ مرحلة البلوغ من قبل حيازته علىٰ شروط السن والعقل. من الناحية العلمية يؤدي نضوج ونمو الغدد الداخلية والتكامل البدني وحتّىٰ الأمراض والاضطرابات الجسدية إلىٰ تحفيز النشاط الجنسي، وحتّىٰ ظهور الأعمال الهجومية.

البلوغ المبكّر ينشأ عن عوامل سوف نتحدث عنها بالتفصيل في البحوث القادمة. إلّا أننا نكتفي هنا بالإشارة إلىٰ هذه النقطة وهي أن البلوغ سواءاً كان مبكّراً أو طبيعياً فهو يؤدي إلىٰ حصول تغييرات وتحوّلات في الجسد والروح والعاطفة للأشخاص ويوجد فيهم تغييرات متعددة. فجريان الهورمون الجنسي في الدم وحتّىٰ ترشحه في الأشخاص علىٰ شكل احتلام، لا يكون في معزلٍ عن التأثير في سلوكه وأوضاعه. فالميل الجنسي والرغبة التي تظهر عند الإنسان، إن لم تخضع للرقابة والضوابط فستكون سبباً لانحراف الإنسان، وهذه المسألة منتشرة في جميع أنحاء العالم علىٰ نطاق واسع أو ضيّق.

٩ ـ الاحتكاك:

الطفل الذي يذهب إلىٰ منامه قبل وقت النوم، وفي الصباح يغادر منامه بعد استيقاظه بوقت طويل، أو يبقىٰ يتمرغ في منامه لبعض الوقت، ربّما يكون قد أباح بسلوكه هذا حالة الانحراف التي يمر بها. وكذلك الحال بالنسبة لوضعية النوم والاستراحة مثل نوم القرفصاء أو النوم بسروال قصير إذ يؤدي إلىٰ احتكاك الأرجل أو ملامسة إحداهما للأخرىٰ وهذا من عوامل الإثارة، وفي حالة التساهل بإزائه فإنه يتحول إلىٰ حالة انحراف.

فالطفل عندما يسحب نفسه علىٰ الأرض، ويتزحلق فوق منحدرات السلالم وتحريك المقعد والمداعبة الذاتية تُعتبر كلها من عوامل الإثارة، ومن ثم تؤدي إلىٰ الانحراف، ولهذا يتوجّب علىٰ الوالدين والمربين منع مثل هذه الحركات والألعاب وإن كانت في ظاهرها طفولية بريئة. ويعلنوا للأطفال بأنهم لا يحبّذون هذه الأساليب من اللعب.

١٠ ـ العوامل الأخرىٰ:

من العوامل الأخرىٰ التي تُعتبر من المثيرات بالنسبة للطفل والمراهق وحتى البالغ هي أنواع الحركات والركوب والاستفادة من الأجهزة السريعة التي تتحرك إلىٰ الأعلىٰ والجلوس علىٰ الرمال الحارّة والغطس السريع المتكرر في الماء، وحتّىٰ في بعض الأحيان تكون ماكنة الخياطة التي تعمل بالرجل مثيرة

للبنات، وكذلك ركوب الدراجات وركوب الخيل بالنسبة للبنات، والطيران في الطائرة وحتّىٰ السفر في القطار والسيّارة ربّما يكون من عوامل الإثارة عند أولئك الذين تتوفر فيهم الأرضية المناسبة للانحراف.

قضيّة النضوج في دور المراهقة:

وفي الوقت نفسه يجب عدم نسيان الأهمية المتعددة الجوانب التي تحضىٰ بها فترة المراهقة بالنسبة للفتيان والفتيات. ففي هذه المرحلة التي ينمو فيها الحب والوفاء والاستعداد للحياة المستقبلية عند الفتيان والفتيات، تتهيّأ فيهم الأرضية أيضاً للاستجابة للمؤثّرات وعوامل الإثارة والانحراف أو التيقّظ الجنسي.

فعامل المراهقة يطغى علىٰ جميع الضغوط والقوىٰ الأخرىٰ، وربما يهيمن أيضاً علىٰ إرادة الأشخاص الذين لم يتلقّوا التربية الصالحة. فالتغييرات البدنية وما يتبعها من تغييرات نفسية قد تسيطر علىٰ تفكيرهم ثم تدفعهم إلىٰ الانشغال بها أو إلىٰ إقامة نوع من العلاقة بشخص آخر والحصيلة الناتجة عن ذلك الانزلاق والانحراف.

فالسعيد هو مَن تلقّىٰ التربية اللائقة في فترة الطفولة. ويتعلم في الوقت الحاضر علىٰ يد أبوين فاهمين ومعلم جدير ومخلص، ويطوي طريق الحياة الشائك بمساعدتهم وتوجيههم؛ إذ يتّضح حينها مدىٰ المعرفة والاطلاع الذي ينبغي علىٰ الوالدين والمربين الحصول عليهما في سبيل تربيتهم وتوجيههم بالشكل الصحيح.

الفصل الثاني
العوامل الاجتماعية للإثارة

يعيش الطفل أحياناً في ظروف اجتماعية سيّئة يتعرض خلالها لبعض المؤثرات الضارة حالياً أو مستقبلياً، وكمثال علىٰ ذلك التصرف الذي يصدر عن الأبوين والمربّين في حياتهم العائلية عن قصد أو عن غير قصد منهم فيكون وقعه خطيراً علىٰ الطفل بسبب ما يشتمل عليه من سلبيات؛ إذ ربما يدفعه ذلك نحو الفساد والانحراف.

فهم ربّما يقصدون في بعض الأحوال إظهار المحبّة لأطفالهم أو تدليلهم فيسلكون الطريق التربوي الخاطىء، فتكون نتيجة تصرفهم الإثارة أو الغفلة والإهمال. وكذلك الحال بالنسبة لحياة الأطفال في الأجواء المختلطة، التي يتعرض الطفل فيها أو يشاهد أنواعاً مختلفة من السلوك. فالعلاقات ذات الانعكاسات السلبية وما يراه الطفل وما يسمعه وحتىٰ مشاهدته لبعض الحركات التي تبدو فنيّة ومثيرة للإعجاب ربّما تُعتبر كلها عوامل إثارة.

من المؤكد أن المحيطين بالطفل لا يقصدون تقوية الميول الجنسية فيه أو تعليمه أساليب الهوس الجنسي، إلاّ أنه يجب القول: إن حصيلة تصرفاتهم غير المدروسة سينتج عنها مثل هذا الوضع وهذا الموقف. ونتطرق فيما يلي إلىٰ دراسة جوانب وأبعاد هذه القضايا ونحذّر الوالدين والمربين المحترمين مشيرين إلىٰ ضرورة مراعاة النقاط التالية:

١ ـ التمريغ:

نعتقد أن الأم تقوم أحياناً عن غير قصد منها، بما من شأنه إثارة الطفل.

فهي ومن خلال تمريغها علىٰ كفل الطفل وعلىٰ فخذيه ومن خلال مسح يدها علىٰ جسمه تكون عاملاً في استثارة طفلها من غير أن تشعر.

وهذا الأمر، وخاصة المسح علىٰ باطن فخذ الطفل، ينطوي علىٰ مخاطر جسيمة. ومن المحتمل أن يخلق أضراراً جسيمة علىٰ الفتيان وخاصة أولئك الذين يبلغون ٢ ـ ١٢ سنة من العمر. وقد أظهرت إحدىٰ الدراسات أن ما يقارب ثلث الأطفال في مثل هذه السن قد استُثيروا بمثل هذا التمريغ، وكانوا يطلبون الاستمرار فيه حتّىٰ أضحت هذه الممارسة مستطابة عندهم سواءً وقت النوم أو وقت الاستراحة وأصبحوا لا ينامون إلاّ إذا مُسِح علىٰ أجسادهم.

والمداعبة في مرحلة المراهقة أخطر بكثير من مرحلة الطفولة، ويجب علىٰ الأمّهات والأقارب أن يحاذروا من تمريغ أجزاء من بدن الفتاة بقصد التحبب والملاطفة وخاصة ثدي الفتاة بين سن ١٠ ـ ١٢ سنة من العمر. وإن عمد بعض الأصدقاء إلىٰ هذا العمل تحت ذريعة المزاح ينبغي منعهم من تكراره لأنه يؤدي إلى التحفيز والإثارة في غير الوقت المناسب، ويؤدي إلىٰ نشوء أعراض تمهّد الأرضية للانحراف أو تعمّق وجوده في النفس.

٢ ـ المبالغة في الدلال والملاطفة:

رغم العناية الفائقة التي أوصىٰ بها الإسلام لإيجاد النمو العاطفي وتقويته لدىٰ الطفل، فإنه قد فرض له حدوداً وسَنَّ القوانين القاضية بمراقبته عندما يبلغ الطفل سِنَّ التمييز. فالأب محرم علىٰ بنته والأم محرمة علىٰ ولدها، إلاّ أنّهما عندما يدخلان في سن التمييز تُفرض حينذاك ضوابط لتقبيلهما وملاطفتهما، ولا تعود جميع التصرّفات جائزة، تحت ذريعة وجود الحرمة. فالأب الذي يقبل خَدَّ ابنته المراهقة أو المميّزة ربّما يصير ـ علىٰ غير وعيٍ منه ـ سبباً لاستثارتها وانحرافها. والأم التي تقبّل وجه ابنها المميّز أو المراهق ربما تكون سبباً ـ من غير أنْ تشعر ـ في دفعه نحو هاوية الانحراف. نريد القول أن إبداء الحب والملاطفة والدلال والاحتضان والتقبيل ونوم الأبناء مع الآباء والأمّهات في فراشٍ واحد قد يؤدي إلىٰ الانحراف، رغم غفلة الوالدين

عن هذه القضية؛ إذ أن قصدهما هو إبداء محبتهما فقط.

وعلىٰ الوالدين والمربين أن يعلموا أن إشباع الغريزة الجنسية ليس عن طريق اتصال الأعضاء التناسلية فقط، بل قد يتم ذلك أحياناً عن طريق اللمس والتقبيل. فالتقبيل علىٰ الوجه والاحتضان من قبل الاصدقاء ربما يكون في بداية أمره نوعاً من تقليد الكبار، ولكنه يتحوّل فيما بعد إلىٰ تصرف مقرون باللذّة والإثارة الجنسية. ولهذا فمن الضروري إخضاع مثل هذه العلاقات للضوابط والتحديدات.

٣ ـ المخالطة غير الصحيحة:

إذا كانت حياة الاختلاط جائزة في سنوات ما قبل التمييز، مع مراعاة الضوابط الضرورية؛ فهي غير جائزة في سنوات ما بعد التمييز، وخاصّة بعد سن التاسعة. والإسلام لا يحبّذ مثل هذه الأجواء لتربية الأبناء، لا سيما إذا أبتعدت تلك العلاقات وذلك الاختلاط عن الرقابة والإشراف.

ربّما يقبّل الطفل والطفلة بعضهما في مرحلة الروضة نتيجة لعامل المحبّة، ولا يوجد في ذلك أي بعد جنسي. لكن هذا الموضوع يصبح قاعدة في ذهن الطفل، حيث يبقىٰ راسخاً في ذهنه إلىٰ سن العشر سنوات ويرغب فيه. أو ربّما يتعرّىٰ الأطفال في سن ما قبل الابتدائية ويشاهدون أجسام بعضهم ولا ضرر في ذلك، أو حتىٰ يلمسوا أجسام بعضهم ولا يهدفون من وراء ذلك اللذّة، ولكن يجب أن لا ننسىٰ أن ذلك يشكّل قاعدة للتلوث وعدم الأمان للسنوات اللاحقة. فالمراهق يتذكر ما رأىٰ وما سمع وما لمس في فترة الطفولة ويصبح كل ذلك ذا معنىً لديه.

في سنوات المراهقة تجتاح الإنسان رغبة جارفة للمخالطة والمصاحبة والتظاهر والأنانية حتّىٰ لربّما يتصرف المراهق أمام الجنس الآخر بتصرفات غير لائقة بل ومضحكة أحياناً، ويقوم أيضاً بأساليب مختلفة من التظاهر عسىٰ أن يؤدّي ذلك إلىٰ لفت انتباه أو إثارة الطرف المقابل. يبدو سلوكهم في الاجواء المختلطة لطيفاً وسليماً، إلا أنه يُخفي وراءه قضايا أخرىٰ، ولو تأمّلناه مليّا

لتكشفت لنا الكثير من الحقائق.

وأقل ضرر يُحتمل حصوله من الأجواء المختلطة هو النضوج الجنسي المبكّر للفتيان والفتيات، وهذا ما ستتكلم عنه في البحوث القادمة. وعلىٰ كل حال فقضية الإثارة أمرٌ لا يمكن تجاهل حصوله ولو لعدد منهم، ولهذا السبب فقد منع الاختلاط في هذا الجانب ويُنصح الآباء والمربّون بضرورة الوقوف أمامه.

٤ ـ العلاقات السيّئة:

وجود العلاقات بين الأطفال والفتيان أمرٌ غير مستهجن، بل إنه ضروري من بعض الجوانب ليكوّن الأرضية الصالحة لنضوجهم الاجتماعي والعاطفي. ولكن من الضرورة الإشارة إلىٰ وجوب المحافظة علىٰ أولادكم من الاختلاط ومصاحبة الأراذل، فإنَّ الكثير من المفاسد والمخاطر تنبع عن مثل هذه العلاقات.

محبّة الأطفال لبعضهم نزيهة إلىٰ حد بعيد. ولكن ينبغي النظر بعين الشك إلىٰ العلاقة بين الطفل والمراهق، أو المراهق والبالغ، وما قد ينتج عن ذلك من تقبيل أو احتضانٍ، وكذلك إلىٰ طبيعة علاقتهما أثناء الاختلاء مع بعضهما، وما يفيض به كلٌّ منهما من أسراره إلىٰ الآخر. وقد دلّت التجارب علىٰ أنَّ نسبة عالية من هذه العلاقات غير نزيهة، وتعكس وجود أنواعٍ من التلوّث.

فبقاؤهم في الفراش والاختلاء مع بعضهم والعلاقة القائمة مع الجنس الآخر كلها من العوامل التي توقظ خيال الشهوة والإثارة عند الأطفال والمراهقين، وتوقعهم في مطبّات وخيمة العواقب. فالتماس البدني يسبب الهيجان للأطفال منذ البداية وهو طبعاً مصدر انبثاق العواطف، ولكنه لو انحرف عن مساره، فسينطوي علىٰ مخاطر جمّة، ولهذا مُنِعت مثل هذه الروابط والعلاقات.

٥ ـ في الحمّام:

لا توجد أيّة مشكلة فيما لو أخذت الأم طفلها الرضيع معها إلىٰ الحمام، ولكن عندما يقترب الأطفال من سن التمييز، فمن غير الجائز إدخال الأولاد إلىٰ حمام النساء، ولا إدخال البنات إلىٰ حمام الرجال، والسماح لهم برؤية أجساد الآخرين عارية. ربما تكون هذه القضية ليست ذات أهمية في تلك السنوات، لكن استذكارها في فترة المراهقة والبلوغ سيجعل منها قضية ذات أهمية بالغة قطعاً. فصور الماضي تبقىٰ حيّة في الذهن، وتصبح ذات معنىٰ، وتدفع الأشخاص إلىٰ متابعة تلك المواضيع لغرض الحصول علىٰ النتائج.

فالإسلام ـ وخلافاً لرأي برتراند راسل ـ لا يجيز للطفل المميّز رؤية أمّه وأخته وأبيه عارين؛ لأن الأجساد العارية ـ واستناداً إلىٰ رأي علماء النفس وعلىٰ أساس التجارب أيضاً ـ تُعتبر بذاتها من المثيرات الجنسية، والدليل علىٰ ذلك هو رغبة عامة الناس في مشاهدة صور الأشخاص وَهُم عراة، وكذلك اهتمام الأطفال والمراهقين بمثل تلك الصور.

فمن الخطأ أن تُدخِل الأمّهات الأولاد والبنات معاً إلىٰ الحمام متصوّرة صغر سنّهم. فإن اضطروا إلىٰ هذا الأمر حتّىٰ قبل سن التمييز، يحب السعي إلىٰ أن يدخلوا الحمام بالسروال، وتكون أجسادهم مستورة جهد الإمكان، حتّىٰ الأمّ لا يجوز لها التعرّي في الحمام أمام طفلها المميّز حتّىٰ ولو بالسروال ووجود الساتر.

فالأم التي تأخذ طفلها البالغ من العمر ٧ ـ ٨ سنوات إلىٰ الحمام، وتتعرىٰ أمامه وتغسِلَهُ، لا تعلم أنها بذلك تثير مشاعر الشهوة لديه، وتعجّل في إدخاله إلىٰ عالم اللمس والحب والنظرة المغرضة، وأقل خطر محتمل عليه هو أن عين الطفل تصبح جاهزة لالتقاط الصور عن المشاهد التي تعرُضُ أمام ناظريه، وفي ذلك خطورة علىٰ الطفل.

٦ ـ الاطلاع علىٰ طبيعة علاقة الوالدين:

تعلمون جيداً مدىٰ الأهمية التي أولاها الإسلام للعلاقة بين الزوجين. فبعض رواياتنا تشير إلىٰ عدم جواز سماع الطفل لصوت نفس والديه أثناء الجماع. وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يجوز للرجل مقاربة زوجته إن كان في الحجرة طفل؛ لأن ذلك سيجعل طفلهما زانياً في المستقبل».

يتظاهر الطفل في بعض الأحيان بالنوم، بينما هو مستيقظ يرىٰ ما يجري بين والديه من عمل جنسي ويسمع تهامسهما. وقد أثبتت الدراسات الميدانية بأن مشاهدة العلاقات الغريزية ورؤية مشاهد الحب والغزل تكون سبباً في إثارة أو علىٰ الأقل تنبيه الأطفال جنسياً بصورة مبكّرة، فتصبح بذلك ذهنيّة الطفل مهيّئة، فإن حصلت حالات مشابهة صارت متزلقاً خطيراً قد يهوي فيه الطفل.

٧ ـ مشاهدة حركات الأبطال:

يحمل الطفل أساساً في نفسه مبدأ حب البطولة، وكلّما كان البطل مثيراً أكثر كان أنشداده إليه أعمق. عندما يشاهد الطفل تصرفات وحركات الأبطال يجد في نفسه ميلاً لتقليدهم ومحاكاتهم، ومن أجل الوصول إلىٰ هذا الغرض يضطر أحياناً إلىٰ الاستسلام إلىٰ الرغبات والإغراءات غير المشروعة.

فرؤية الصدور العارية والسيقان المكشوفة للرياضيين والرقّاصين والفنانين من الذكور والإناث تخلق في نفسه انجذاباً شديداً وتكون سبباً لإثارته. ونظراته وخاصّة في سنوات المراهقة تمتاز بشكل وصورة من الملامسة وتبحث عن مواطن اللذّة، ويزداد تأثير هذا العامل فيهم كلما كان الطرف المقابل يمتاز بالمواصفات والخصائص المبتغاة.

ومن ناحية أخرىٰ يقع الأطفال الذين يتمتّعون بشكل جميل وجَذّاب ضَحيّة لأولئك المنحدرين نحو التلوّث. فالمراهق أو البالغ الملوّث يجد فيه الصورة المثالية التي يبحث عنها فيسعىٰ إلىٰ إدخال إرادته وأمنيته إلىٰ حيّز التنفيذ في هذا المجال، وقليل هم الأشخاص الذين يخلصون المحبّة في

أوضاعٍ كهذه. ونفس الحال ينطبق علىٰ مشاهدة الألعاب المهيّجة من قبل شخصٍ أو أشخاص، والتي قد تُعتبر مثيرة بالنسبة للآخرين.

٨ ـ سماع الأحاديث في هذا المجال:

إلىٰ هنا كان البحث يدور حول ما يراه الطفل وما يسمعه، والاختلاط والعلاقات السيّئة التي تُعتبر كلها عوامل إثارة. ونريد الإشارة هنا إلىٰ أن سماع الأحاديث في هذا الصدد أو حتّىٰ قراءة الأمور المكتوبة في هذا الجانب تُعتبر عوامل إثارة.

الأطفال في حدود سن التاسعة يتّجهون أكثر نحو رفيق اللعب، وفي مرحلة المراهقة يتسارّون فيما بينهم. وهم يطلقون كلمة سِرٍّ علىٰ كل ما لا يمكن التحدث به أمام مجموعة من الناس. يحدّثون أصحابهم بما رأوه أو سمعوه في هذا الجانب. ويا ليتهم يتطرّقون أيضاً إلىٰ مبالغتهم ومغالاتهم، فكل ما يدور في ذهن المراهق ويتمنّىٰ تحقيقه يتحدث به لصديقه وكأنه أمر قد تحقق، فيصدّق الأخير كلام الأوّل ويسعىٰ إلىٰ تقليد فعل صديقه لكي لا يتأخر عن القافلة.

قصدنا من هذا الكلام هو أن الأطفال عند سماعهم لمثل هذه المسائل ـ وخاصّة إذا كانوا في سن المراهقة والاستيقاظ الجنسي ـ فإنّهم يُستثارون، ويحاولون، عن غير قصد منهم، إشباع رغباتهم وإفراغ ما لديهم من شحنات. وكذلك الحال فيما يخص قراءة الأشياء المكتوبة في هذا الباب. ويجب علىٰ الآباء والمربّين مراعاة هذه الجوانب في الكتب والمجلّات التي يجلبونها إلىٰ البيت.

الفصل الثالث

العوامل الأخرىٰ للإثارة

ما أكثر الظروف والعوامل التي يُعتبر وجودها سبباً لاستيقاظ الغريزة في غير أوانها، أو عاملاً لإثارة الأمور الغريزية لدىٰ الأطفال والفتيان في وقت غير مناسب، لكننا لم نتطرق إلىٰ ذكرها. وما أكثر الظروف والعوامل الأخرىٰ التي أهملنا ذكرها رعاية للجوانب الأخلاقية.

علىٰ العموم، ينبغي الإشارة إلىٰ أن الطفل والفتىٰ يتعرض في عا[illegible] الكون والفساد هذا إلىٰ عشرات العوامل والظروف المختلفة التي يكفي كل واحد منها بمفرده لتلويثه وجرّه نحو الفساد. وعلىٰ الأب والأم التحلّي بالوعي اللازم في هذا الجانب لكي يستطيعا إيصال أبنائهما إلىٰ ساحل النجاة بسلام.

يعتقد الكثير من علماء النفس بوجود الحياة الجنسية في فترة الطفولة بشكل مخفّف. والأرضية مهيّئة أمامهم في جميع الجوانب لكي ينحرفوا، وخاصة في الأجواء التي يكثر فيها الانحراف. فالأطفال أيضاً شأنهم شأن البالغين؛ يتهيّجون في بعض الحالات، ولا سيما أولئك الذين تنتابهم النوبات العصبية، فهم يلتجئون إلىٰ الانحرافات والممارسات الجنسيّة الشاذة لتسكين غضبهم.

وعلىٰ هذا الأساس فالضرورة تستلزم إبعاد الأطفال والمراهقين عن الأجواء المهيّجة وعن عوامل الإثارة. وعدم إيقاظهم من النوم في غير الوقت المناسب ـ خلافاً لأساليب الغربيين وتوصيات علمائهم النفسانيين الحريصين!!

تحدثنا في الفصل الثاني الذي مرّ علينا سابقاً عن عوامل الإثارة الفردية

والاجتماعية، وسنتحدث في هذا القسم عن عوامل الإثارة الأخرىٰ وهي عبارة عن ما يلي:

١ ـ أحاديث الأصدقاء:

مما يؤسف له إن المعلومات التي يحصل عليها الأطفال والمراهقون في هذا المجال، يحصلون عليها من الأصدقاء والزملاء ومَن يختلطون بهم. ولا بأس من الإشارة هنا إلىٰ هذه النقطة وهي أن الأطفال في سن ١٠ ـ ١٢ سنة يمتلكون معلومات واسعة نسبياً عن الأمور الجنسية، ويحصلون عليها من أصدقائهم الذين يكاشفونهم بأسرارهم. وربما لا تقل معلوماتهم عما يمتلكه الشخص البالغ من المعلومات، وقد لا يعلم البالغون أكثر مما يعلم أولئك.

يحدث في بعض الأحيان أنهم يزوّدون أصدقاءهم بمعلومات خاطئة. وينقلون لأصدقائهم حتىٰ علاقة والديهم، وعن تجاربهم السيئة في هذا المجال أو ما يحصلون عليه من معلومات وتجارب، وهم بذلك يعرضون أمام أصدقائهم مسائل ذات انعكاسات تربوية خاطئة أولاً، وهي ثانياً تُعتبر من عوامل الإثارة لهم ولأصدقائهم.

وبالمناسبة نشير أيضاً إلىٰ هذه النقطة وهي أنهم عندما يجلسون مع بعضهم ويتحدثون عن هذه الموضوعات يحاولون حيازة قصب السبق علىٰ الآخرين من خلال إثبات أهمية وأرجحية معلوماتهم. فالحديث حول الموضوعات الجنسية هو من القضايا الأساسية التي يتناولها كل مراهق وكل شخص بالغ حديثاً، وهم يبدأون بالحديث عن هذه المواضيع منذ اللحظات الأولىٰ التي يتعارفون فيها.

٢ ـ مشاهدة علاقات الآخرين:

لا يتأثر الأطفال عادة بمشاهدة العلاقات الجنسية بين الآخرين أو برؤية المشاهد الجنسية، إلاّ أن هناك قَضيّتين مؤثّرتان في هذا السياق: الأولىٰ هي الصورة التي تبقىٰ في ذهن الطفل من رؤية هذه المشاهد حيث يشكّل استذكارها في السنوات اللاحقة مسألة ذات أهمية كبيرة. والثانية هي أن بعض

الأطفال الملوّثين وخاصة المصابين منهم بأمراض من هذا القبيل، يصل بهم الأمر حتىٰ إلىٰ التلذذ لمجرّد سماع أو رؤية هذه المشاهد، أو تخفيف ما بهم من هيجان وتهدئة أنفسهم عن هذا الطريق.

أمّا الأكبر سِناً والمراهقون فيتعرضون إلىٰ مؤثرات أشد في هذا المجال، فالمشاهد الجنسية تثيرهم حتىٰ وإن كانت علىٰ شكل صور ورسوم، حتّىٰ إنّ أحدهم ليُستثار بمجرد مشاهدة آخر في حالة استثارة.

٣ ـ مشاهدة الصور والملصقات:

وهذا بمثابة تحذير للآباء والأمّهات بضرورة مراقبة الصور والرسوم والملصقات وحتّىٰ الأفلام التي تقع أمام ناظري أبنائهم. فالصور العارية للرجال والنساء، ومَشاهد العلاقات الخليعة، بل وحتّىٰ مشاهدة الأفلام التي تستعرض بظاهرها الحياة العادية للأشخاص، لكنّها تشتمل علىٰ مفاهيم مخرّبة في هذا الجانب، يمكن أن تكون مثيرة للأطفال والمراهقين.

فعليكم أن تنتبهوا إلىٰ ما يدخل بيوتكم من أمثال هذه الأشياء، وإلىٰ ما يشاهده أبناؤكم في أوقات فراغهم أو عند الاختلاء بأنفسهم في إحدىٰ الغرف. والسبب في مطالعة الفتيان للكتب المثيرة هو أنها توجد لديهم شيئاً من الالتذاذ والإثارة. وفي بعض الأحيان يقوم بعض الناس غير الواعين بانتزاع الصور العارية والمثيرة من الكتب والنشرات المختلفة ووضعها بين يدي الفتيان، وبذلك فهم يوجّهون فكرهُم إلىٰ هذه المسألة، ويكونون سبباً في استثارتهم، ومن الواضح جداً خطورة النتائج التي يسببها مثل هذا العمل غير الواعي.

٤ ـ الضرب:

ذكر بعض علماء النفس احتمالاً قريباً من الحقيقة بشأن الإثارة الجسدية لدى الأطفال والفتيان، وقالوا: إن عقوبة الطفل إن كانت علىٰ شكل ضرب علىٰ كفله فهي تكون سبباً لإيجاد اللذة في بعض الأحيان، مما يؤدي بالنتيجة إلىٰ تهيئة مستلزمات انحرافه، وبعبارة أخرىٰ إن العقوبة التي يقوم بها الآباء

والمربّون تؤدي بشكل غير مباشر إلىٰ انحرافهم.

يقول هؤلاء: إن بعض الأطفال يشعرون بلذّة من الضرب علىٰ الكفل نجد مثالاً لها في تمريغ باطن فخذ الطفل. ولهذا فهم يعتقدون بوجوب عدم إجراء العقوبة علىٰ صورة الضرب علىٰ تلك النقطة الحساسة من بدن الطفل أو الفتىٰ، وحتىٰ القرص ينبغي ألاّ يتم علىٰ هذه الشاكلة. (لم نعثر علىٰ مثل هذا الرأي من خلال مطالعتنا لكتبنا الإسلامية، والظاهر أن بعض القرائن تنفي هذا الادّعاء. وعلىٰ كل حال هناك ضرورة للتعمق في دراسة هذا الموضوع).

٥ ـ إطراء الجنس الآخر:

تصدق هذه المسألة علىٰ المراهقين والبالغين أو علىٰ أقل تقدير تصدق علىٰ الأطفال المطلعين علىٰ العالم المختلف لكلٍّ من الرجل والمرأة، وقد تمَّ أستدراجهم إلىٰ حالة التلوّث علىٰ يد بعض المتلوّثين، بحيث أصبحت الحياة الجنسية جزءاً من حياتهم الاعتيادية.

في فترة المراهقة وبداية مرحلة البلوغ، يشعر الأولاد خاصة بلذّة فائقة من إطراء الفتيات لهم، وعندما يطرق أسماعهم أن الفتاة الفلانية قد أطرتهم يشعرون بنشوة كبيرة. فهم يحبّون أن يتكرر هذا المدح، وأن يتحدثوا به في كل مجلس ومحفل، وأن يسمعه كل صديق وقريب. هذا المديح والإطراء يثيرهم فيستشعرون اللذة في أنفسهم. وهذا الحال ينطبق علىٰ الفتيات أيضاً حيث يشعرن باللذة من جراء امتداح الفتيان لهنّ، لكن نسبة هذا الإحساس وهذه اللذة أقل بكثير مما هو لدىٰ الذكور.

٦ ـ التجميل:

يكون التجميل في بعض الحالات، وخاصّة إذا كان جذّاباً، سبباً للإثارة، وهي تتحقق طبعاً عند أولئك الذين فهموا معنىٰ الغريزة أو كانوا في سن البلوغ. إلاّ أنه ـ أي التجميل ـ ليس بتلك الصورة التي تستدعي تجنّبه من قبل الأطفال من الأعمار الأخرىٰ.

والعوامل المثيرة في هذا الصدد كثيرة منها: شعر الرأس وترتيبه في بعض الأحيان، أو أشرطة شعر البنت في أحيان أخرىٰ، أو حتّىٰ في بعض الأحيان طريقة تجميل الوجه أو شكل الثياب ولونها والحذاء وصوته ورؤية الملابس الداخلية وهذه جميعها أو بعضها من عوامل الإثارة لدىٰ الشخص البالغ أو المتلوّث غير البالغ.

فرؤية أحد أفراد الجنس الآخر، ومشاهدة جسمه، والتفكير فيه وتخيّله والتحدّث أو الاستماع إلىٰ الطرائف في هذا الموضوع، وكذلك نوع التجميل وزينة الوجه، تُعتبر من المثيرات سواءاً بالنسبة للفتيان أو للفتيات، وطبعاً نسبة الاستثارة عند الذكور أكثر منها عند الإناث أيضاً.

تظهر التحقيقات العلمية التي أجريت في هذا الموضوع أن للأمّهات دوراً في إثارة أو انحراف أو شذوذ الأبناء، سواء أكان ذلك الدور كبيراً أو صغيراً، وسواء أكان عن علم أو جهل. فالأم التي تُلبِس ولدها ثياب الفتيات أو ما يشابه ثياب الفتيات أو تلبس إبنتها ثياباً ولاّدية، أو تزيّن غرفة نوم ولدها بما يشبه غرفة العروس فهي تساهم في إثارته وانحرافه.

٧ ـ رواية القصص:

في بعض الأحيان يقُصُّ الآباء والأمّهات، وأحياناً الأصدقاء والأقارب المسنّين، للأطفال قصصاً يذكرون فيها أحداثاً تتضمن مواضيع جنسية، وينقلون خلالها صوراً عن علاقات الزواج، وما شابه ذلك من مشاهد. والدراسات العلمية تبيّن لنا أن سماع مثل هذه القصص والأساطير يترك تأثيراً علىٰ الأطفال يظهر في السنوات اللاحقة؛ إذ يعمد الطفل إلىٰ تكرار وتطبيق ما سمعه في القصص.

وتظهر الدراسات التي قام بها بعض الباحثين في حقل النفس أن الأطفال في سن ٦ ـ ٧ سنوات، يمتلكون تصوراً عن الزواج والعلاقات الجنسية، خاصة أولئك الذين رأوا مثل هذه المشاهد من أبيهم وأمّهم، أو من أشخاص

آخرين في مكان آخر، أو من الحيوانات في البيت أو في المزرعة.

وجود مثل هذه السابقة الذهنية سيجعلهم يسارعون إلىٰ التفكير والتخيّل واستذكار تلك المشاهد بمجرّد سماعهم تلك القصص، وهذا الأمر يشغل أذهانهم لمدّة طويلة، أو يكون سبباً في استثارتهم. ربّما يعمد بعض الوالدين والمربّين بناءاً علىٰ توجيهات العارفين!! إلىٰ إدخال أبنائهم في هذا المجال بأسرع ما يمكن وتزويدهم بالمعلومات الضرورية في هذا الحقل!! وعلىٰ هؤلاء أن يعلموا بأن أوّل الأضرار الناتجة عن هذا الإيقاظ المبكّر ستصيب حياتهم الشخصية والعائلية، وما أكثر العوائل التي شاهدنا أن انحراف أبناءها كان خطراً حتّىٰ علىٰ الإخوة والأخوات في العائلة الواحدة.

٨ ـ أسباب أخرىٰ:

ومن الأسباب الأخرىٰ التي تتخذ طابع الإثارة (يجب الإشارة إلىٰ أسباب متعددة يستلزم كل واحد منها دراسة مستقلة، ونحن نحجم عن الخوض في تفاصيلها هنا رعاية للاختصار ونكتفي بالإشارة إليها فقط).

ـ الاستلقاء في حوض الاستحمام بصورة عارية ومن عير وجود سروال أو ساتر للعورة.

ـ الوقوف تحت دوش الماء وهو يصب الماء سريعاً وخاصة بالنسبة لأولئك الذين توجد لديهم أرضية مسبقة للانحراف.

ـ اهتزاز الجسم في وسائط النقل الكثيرة الاهتزاز كالسفر في القطارات المستهلكة التي تهتز بشدّة.

ـ الانزلاق والتزلّج علىٰ جدران السلالم أو أيّة مادة أخرىٰ صلبة ومُنحدرة.

ـ التقلّب في فراش النوم علىٰ هيئة السجود وتمريغ الجسم بالفراش أو الجدران و. . .

ـ وضع الرجل عارية علىٰ الأخرىٰ في فراش النوم، أو النوم بدون

ثياب النوم.

. . . . -

يجب علىٰ الوالدين والمربين القيام بالمراقبة اللازمة، ويحولوا جهد الإمكان دون وقوع مثل هذه الحوادث، وتوجيههم بالشكل الذي لا يصيبهم ضرر من هذه القضايا.

ويجب أن يفهموا أن التوجيهات الأخلاقية والدينية تقتضي النوم علىٰ هذه الشاكلة وأن نكون علىٰ هذه الصورة ونعيش علىٰ هذا النمط.

الباب الرابع

عوامل إيقاظ وإثارة الغريزة

سنتحدث في هذا الباب عن العوامل التي تُساعد علىٰ إيقاظ وإثارة الغريزة لدىٰ الأطفال والمراهقين وحتىٰ البالغين والكبار. هذه العوامل متعددة وبعضها ينشأ من الشخص ذاته، والبعض الآخر ينشأ من البيئة الحياتية، وأخيراً ينشأ بعضها من الظروف الاجتماعية النفسية.

يمكن الإشارة إلىٰ ما يتعلق بالأطفال والمراهقين أنفسهم إلىٰ عوامل كحب الاستطلاع والتجسس والتخيّل والرؤيا، والحاجة إلىٰ التحدّث والرغبة في تفحّص الذات والعيوب الأخلاقية والخجل والحياء و. . . . حيث سنبحثها في أحد فصول هذا الباب.

وسيدور الفصل الثاني من هذا الباب عن الحياة الاجتماعية، والحياة في البيت والمجتمع. فالدراسات تشير إلىٰ أن ظروف الحياة الاجتماعية وحياة الأشخاص مع أبناء جنسهم والتجمّل والزينة والظروف العائلية السيّئة وحتىٰ البيئية والنزاع والخصومات بين الوالدين لها دور فعّال في الإثارة الجنسية. وسوف نطرح بعض الآراء والبحوث في هذا الصدد.

ويختص الفصل الثالث بالعوامل والظروف النفسية ـ الاجتماعية، حيث سنذكر فيه الظروف النفسية للشخص مثل حالة الغضب والقلق والرغبة في نيل قبول الآخرين ومصاحبة الأتراب والشتائم والكلمات المبتذلة المتداولة في هذا الجانب بالإضافة إلىٰ الأساليب الشاذّة في الحياة الاجتماعية و. . . وسنتناول هذه المواضيع باختصار في هذا الفصل.

الفصل الأوّل

العوامل المتعلّقة بالطفل والمراهق

في بداية الأمر ينبغي الإشارة إلىٰ هذه النقطة: وهي أنه يمكن تقسيم أنواع الإثارة الجنسية التي يتعرض لها الشخص إلىٰ ما يلي. وذكر هذه النقاط يفيد الآباء والمربّين في جانبي الوقاية والعلاج، والنقطة التي يجب الابتداء منها في ذلك، أما تلك التقسيمات فهي كما يلي:

١ ـ إثارة أماكن الشهوة والجهاز التناسلي والتي تتم عادة من الخارج عن وعي أو عن جهل وفي بعض الأحيان تتم علىٰ يد الشخص نفسه أو علىٰ يد الآخرين. وتحصل أيضاً في بعض الحالات مِن العوامل البيئية أو من عارض مرضي أو بسبب نوع الثياب التي يرتديها الشخص.

٢ ـ الإثارة بواسطة البناء الداخلي للإنسان، والذي يصدر عادة عن الغدد، وتنشأ هذه الحالة نتيجة لنشاطات الغدد وإنتاج الهورمون. وهذا الوضع ينشأ أحياناً من النضوج والبلوغ أو من الأمراض الجسمية والاضطرابات النفسية في أحيان أخرىٰ.

٣ ـ الإثارة بواسطة العناصر الاجتماعية التي تترك تأثيرها علىٰ روح الإنسان وفكره. كالاختلاط والملامسة والمسموعات والمرئيّات و... فينبغي مراقبتها والسيطرة عليها.

مدىٰ تأثير هذه العوامل:

تمتاز هذه العوامل بنفوذ واسع، والسيطرة عليها صعبة إلىٰ حدٍّ ما. وفي نفس الوقت لا يوجد هناك أي أسلوب للوقاية من الانحرافات التي يتعرض لها الأطفال والمراهقون أو معالجتها سوىٰ بواسطة التعرف عليها ووضع ضوابط لها. أما تلك العوامل فهي عبارة عن:

١ ـ حب الاستطلاع:

فعدم اطّلاع الطفل علىٰ الحوادث بشكل صحيح وعدم فهمه للظواهر وكيفية الاستفادة منها، يودّي بالطفل إلىٰ استخدام أدواته التجسسية والاستطلاعية خلال مسيرة نضجه. الاستطلاع بذاته مفيد في معرفة الأشياء والحصول علىٰ المعلومات، إلاّ أن استخدامه في جميع جوانب الحياة قد يؤدي إلىٰ إيجاد مصاعب جمّة للإنسان.

تفيد التحقيقات العلمية أن قسماً من أهتمام وانتباه الأطفال بين سن ٣ ـ ٥ سنوات ينصَبُّ علىٰ القضايا الجنسية والمسائل المتعلقة بها، والهدف من وراء ذلك فهم علاقات الجماع والأسرار الكامنة فيه. وهذه الرغبة في الاكتشاف قد تتخذ أحياناً حالة مرضيةٍ وذلك عندما تتحفّز في الجانب الجنسي فقط وتكون الأحداث والجوانب الأخرىٰ تحت هيمنة هذا الدافع.

وفي حوالي ١٠ ـ ١٣ سنة من العمر يتّسع حب الاستطلاع بسبب رغبة وحاجة الطفل إلىٰ التعرف علىٰ حقائق أوسع، وهو لذلك يكثف جهوده ومساعيه للوصول إلىٰ هذا الهدف. فهو ومن خلال أسئلته التي لا بداية لها ولا نهاية، يهدف إلىٰ استنطاق الآخرين والحصول علىٰ ما لديهم من معلومات، حتىٰ أنه يميل في مثل هذه السن إلىٰ قراءة الكتب التي تحتوي علىٰ هذه المواضيع أو ربّما يستفسر من آخر عن مضمون القصص التي سمعها طالباً التعرف علىٰ كيفية ذلك. وهذا الاستطلاع لا يحل لهم طبعاً جميع الاستفسارات دائماً، وحتىٰ أنه ربما يُضلّهم في بعض الأحيان ويستحيل إلىٰ معظلة في أذهانهم، وهناك خطر محتمل في ذلك وهو أن كسب المعلومات

الخاطئة عن قضيّة ما قد يؤدي إلىٰ إثارتهم، وهذا من شأنه تهيئة أرضية الانحراف أمامهم.

٢ ـ الخيال والرؤيا:

تنشغل أذهان الأطفال مدّة طويلة بما يسمعونه أو يشاهدونه من مواضيع مرتبطة بالغريزة الجنسية إلىٰ الحد الذي تتشبع أذهانهم في بعض الأيام أو الأسابيع بهذه الأفكار والصور فتنعكس ليلاً في المنام علىٰ شكل رؤيا لتلك الأشياء التي شاهدوها في النهار.

يعيش الإنسان مرحلة حساسة من حياته في سن ١٠ ـ ١٣ عاماً من العمر وذلك في مرحلة المراهقة والأيام السابقة لها، حيث يتّضح أنه قد أقبل علىٰ مرحلة البلوغ وأن نفسيّته قد تهيّأت لقبول المستجدات من التغيير. إذن فالأجواء النفسية لديه مستعدّة لتقبل الأحداث والتغييرات الجديدة. فتصل قوة الرؤيا والتخيّل عنده إلىٰ أوجها.

فانزواؤه وانعزاله عن الناس لساعات عديدة يومياً أو أسبوعياً يُساعده في هذا المجال، فيزداد استغراقه في عالم الخيال والرؤيا ويصبح أكثر استعداداً للإثارة.

وبشكل عام فظهور هذه الأوضاع لدىٰ الشخص يُعتبر بذاته سبباً لتقوية الإثارة لديه ويعجّل من توجيهه نحو الاهتمام بالمسائل الجنسية.

٣ ـ الرغبة في اختبار الذات:

من عوامل الإثارة والتي تؤدّي بالنتيجة إلىٰ الانحراف والشذوذ الجنسي عند الأطفال والمراهقين هو أنهم يسمعون من الآخرين أحاديث وقصصاً أو يشاهدون أوضاعاً وحالات تجعلهم يشكّون في ذاتهم وقدرتهم الذاتية. فتتأجّج فيهم رغبة عميقة لمعرفة إذا ما كان بإمكانهم أن يصيروا في الوضع الذي ذكره الآخرون أم لا. فيعمدون إلىٰ المداعبة واختبار الذات، حتىٰ إن هذه المسألة هي منشأ الكثير من أنواع التلوث الخطيرة كالانسياق إلىٰ

عمل الفحشاء.

يجب أن يعترينا الهلع دائماً لأول لذّة انحرافية تظهر لدىٰ الأطفال، فهي من المحتمل أن تجلب عليهم انعكاسات وخيمة وتسوقهم دوماً نحو الانزلاق والشذوذ. فهم يلجأون إلىٰ الممارسات الجنسية كنافذة للوثوق بالذات، ويريدون العثور علىٰ ذاتهم فيها وليفهموا مكانتهم ومدىٰ اقتدارهم.

في بعض الحالات يكون البلوغ المبكّر، والاحتلام السابق لأوانه لأسباب محيطية مصدراً لتشديد الإثارة الجنسية، مما يضعه في مسار الانحراف والشذوذ. وخلاصة القول: إن اختبار الذات لتحديد الحالة الجنسية يعتبر بذاته من عوامل الانحراف، وربما يؤدي بالأشخاص إلىٰ الانسياق نحو التلوّث، وغالبية هذه الشكوك تتعلق بجوانب التعليم الخاطيء.

٤ ـ الحاجة الشديدة إلى العطف والمحبّة:

الأشخاص الذين لم يشبعوا في حياتهم العائلية من العطف والمحبّة، وكذلك الأشخاص الشديدو الغضب والمصابون بعقدة المبالغة في حب الذات أو الحالات الأخرىٰ من أضطراب الشخصية، يتّجهون إلىٰ الآخرين للحصول علىٰ الحب والحنان، فخضعون بالنتيجة لطلباتهم المشروعة أو غير المشروعة.

فهم يُستثارون لأدنىٰ فعل أو حركة تصدر من الشخص المعجبين به، وينساقون إلىٰ الاستسلام أمامه. وكذلك المبالغة بالمحبّة من قبل الوالدين والمربين وخروجها عن الحدود المتعارفة فإنها تثير الطفل أيضاً، وتدفعه في نهاية المطاف نحو الانحراف والشذوذ.

إنه لمن دواعي التعاسة أن يتّجه أولادنا نحو الفساد بسبب تعطّشهم للحب والعطف والحنان. ونحن نعلم أن البحث عن الحنان أكثر لدىٰ الفتيات مما هو لدىٰ الفتيان، ولهذا السبب نجد أن إمكانية انخداعهن كبيرة. إذن فمن الضروري أن يكون حب الوالدين للبنت بالشكل الذي يشبع هذه الحاجة في

نفسها من جهة، ومن جهة أخرىٰ يجب أن لا يكون بالشكل الذي يؤدّي إلىٰ الانحراف. ولا ننسىٰ أن المراهقين أكثر عرضة للاستثارة من الأطفال، بسبب كونهم يمرّون في مرحلة تكون فيها أمانيهم ورغباتهم في طور التشكّل والنمو، والرغبة الجنسية بدأت تظهر فيهم حديثاً، ويمكن اعتبار ذلك نقطة حساسة في حياتهم.

٥ ـ النواقص الأخلاقية:

يلعب الجو الأخلاقي دوراً بارزاً في التربية الجنسية للأطفال والفتيان. ومن الواضح أن أرضية الانحراف تتوفر في العوائل والمجتمعات التي تبيح التحلل حيث تفتقد هناك الضوابط الأخلاقية المدروسة. وكذلك في الأجواء المختلطة التي تخلو من الجوانب الأخلاقية والإنسانية إذ يرىٰ الناس أنفسهم أحراراً في ممارسة الغريزة الجنسية.

وكذلك سوء تربية الوالدين والمربين، وترك الحرية لأبنائهم في ممارسة ما يشاؤون من رغبات وعدم الاهتمام بنوعية علاقاتهم أو كيفية اختلاطهم مع الآخرين، كل ذلك يؤدّي إلىٰ تمهيد الأرضية لإطلاع الأطفال علىٰ جميع الأمور والأسرار الغريزية ثم يقومون فيما بعد بممارستها كيفما يشاؤون.

فقد أظهرت الدراسات الميدانية أن الأطفال الذين يعانون من النواقص الأخلاقية لا يخضع بصرهم ولا اختلاطهم أو تصرّفاتهم لأيّة معايير أو ضوابط. فهم يُستثارون جنسياً لرؤية أدنىٰ إيماءة أو إشارة أو سلوك جنسي، ويتذكرون لذّاتهم السابقة وغير المشروعة، ويصبحون أكثر استعداداً للإثارة، وسيقعون ـ لا شك ـ في مخاطر ومنزلقات لا تُحمد عقباها.

٦ ـ الخجل والحياء:

الخجل والحياء أمر جيّد، ووجوده ضروري لحياة الفرد في المجتمع، إلاّ أنَّ أولئك الذين دخلوا معترك الحياة بقليل من الجرأة وكثير من الحياء، قد تعرّضوا للانحراف أكثر من الآخرين. وسوف نشير إلىٰ هذه النقطة في الأبواب التي تبحث في مواضيع الإشباع الذاتي أو الاستمناء، وكذلك في موضوع

الميل الجنسي إلىٰ أبناء الجنس الواحد، أو الشذوذ الجنسي، ونشير إلىٰ كيفية كون الحياء الشديد سبباً لاتّساع هذه الحالات.

فالخجل الشديد قد يكون سبباً لتوجيه مشاعر الفرد نحو ذاته، وتنبيهه إليها ودفعه إلىٰ القيام بتصرفات غير مدروسة تجاه ذاته. والحياء المفرط ليس من علامات النضوج الأخلاقي الممدوحة؛ لأن الإنسان يحتاج إلىٰ حد معقول من إثبات الوجود في المجتمع، ويكون له سلوك متّزن.

فالأشخاص الخجولون تحصل لهم إثارة أكثر من غيرهم عند سماعهم لأي حديث أو رؤيتهم لأي مشهد، في هذا المضمار، وذلك بسبب عجزهم عن إفراغ هذا الهيجان وعدم قدرتهم علىٰ الإباحة بما في نفوسهم. وعلىٰ هذا فهم أكثر عرضة من غيرهم للانحراف والشذوذ الجنسي. ومن الواضح طبعاً أن الأشخاص الذين لا حياء لهم بالمرّة أشدّ بكثير من الأشخاص الخجولين في هذا الجانب.

٧ ـ اضطراب مواعيد النوم واليقظة:

من الخطأ وضع الأطفال في فراش النوم قبل حلول موعد نومهم. أو في حالة عدم حاجتهم للنوم. فإن كان الأطفال ينامون إلىٰ جانب بعضهم أو بشكل مختلط فإنهم سيبحثون عمّا يتسلّون به ويشغلون به أنفسهم إلىٰ حين حلول موعد النوم. كأن يقصوا علىٰ بعضهم القصص، أو يتحدثوا عن الجن والعفاريت و. . . وهذا أمر يثير قلقهم مما يجعلهم عرضة للانحراف.

ومن جهة أخرىٰ تُتاح للأطفال فرصة مناسبة ليتسارّوا فيما بينهم بما سمعوا أو شاهدوا، وهذا من دواعي الإثارة، وفي مثل هذه اللحظات الحسّاسة التي تثير انتباه الأطفال، وخاصة إذا اقترنت بعامل مساعد بعد حلول النوم ألا وهو الرؤيا، إذ يؤدي كل ذلك إلىٰ حصول الإثارة شيئاً فشيئاً، وسيندفع بعد الاستيقاظ إلىٰ متابعة الشيء الذي رآه في المنام.

ينشغل الأطفال أحياناً في فراش النوم بذاتهم ويقومون بتسلية أنفسهم

إلىٰ أن يناموا، أو عندما يستيقظوا في الصباح، يبقون يتمرغون في الفراش لفترة طويلة ولا ينهضون منه سريعاً، وكلا هذين الأمرين قد يكون من عوامل الإثارة، ومن ثم يؤدي إلىٰ الانحراف في نهاية المطاف.

فعلىٰ الآباء والأمّهات الانتباه إلىٰ هذا الجانب فما دام وقت النوم لم يصل بعد يجب أن لا يدعوا الأطفال يذهبون إلىٰ الفراش. ويجب أن يذهبوا إلىٰ فراش النوم عندما تلاحظون آثار النعاس بادية في أعينهم. ويجب أن يكون منامهم منفصلاً وبعيداً عن بعض. وعوّدوهم علىٰ وضع أيديهم خارج الغطاء، وأن يغادروا فراش النوم بعد الاستيقاظ مباشرة، ولا يبقون يتمرّغون فيه.

٨ ـ عامل البيئة:

يجب التحدث في هذا المضمار عن جوانب وأبعاد مختلفة ومن جملة ذلك ما ذكرناه بشأن الأمراض المعدية وكونها سبباً في إثارة الحكة والقيام بعملية الحك، وفي النتيجة تمهّد الأرضية للهيجان الجنسي. وأحياناً يكون البلوغ المبكّر أيضاً سبباً للإثارة، سواءً عن طريق النفوذ في النفس، أو من جانب الظروف الاجتماعية أو الجوانب البيئية.

فعندما تمتلىء الأكياس المنوية بالسائل الهورموني، فإنه يضغط علىٰ جدران الأكياس ويسبب لها الألم. وهذا الضغط يوجد أسباب الإثارة في المراكز العصبية فيثير الهيجان الجنسي. وهكذا هو الحال فيما يخصّ بعض الغدد الداخلية، فعندما يختل ترشّحها الهورموني فإنها تؤدّي إلىٰ بروز أعراض متعددة من جملتها الإثارة الجنسية، وهذا ينطبق علىٰ أطفالنا الصغار وحتّىٰ علىٰ الكبار، ومن البديهي أن وضعاً كهذا يستدعي تقصّي الموضوع عن طريق الطب.

الفصل الثاني

العوامل المتعلقة بالحياة العائلية والبيت

نودّ تذكير الآباء والأمهات والمربين والمتصدّين للشؤون الاجتماعية بقضية ذات أهمية كبيرة، وهي أن لا يعتبروا الأطفال كائنات صماء بكماء لا يعلمون بأيّ شيء. فهم منذ حوالي سن السادسة وحتّىٰ أقل من هذا السن أحياناً، يفهمون الكثير من المسائل وعلاقات الأبوين وما يدور في المجتمع.

فنحن نعرف أطفالاً ينتبهون حتّىٰ إلىٰ الإشارة والإيماءة التي تجري بين الأبوين أو حتّىٰ إلىٰ كلماتهما الرمزية أحياناً. لكنهم لا يرون ضرورة للاستفسار عن معنىٰ ذلك من والديهم. وحتّىٰ لوحظ أنهم شديدو الفطنة لطبيعة علاقة الوالدين حيث أنه ليس من الصلاح نومهم في غرفة الأبوين. فالوساوس الخدّاعة تدفعهم إلىٰ التظاهر بالنوم لكي يفهموا الأمور ويطّلعوا عليها أكثر فأكثر.

والقصد من كلامنا أن استجابة الأطفال للإثارة ـ من أي مصدر كانت وبأيّة صورة ـ تترك تأثيراً كبيراً علىٰ مصيرهم في الوقت الحاضر وفي المستقبل. فهم يتابعون أي مصدر للإثارة لغرض تقليده وتكراره حتّىٰ يحصلوا منه علىٰ اللذة المبتغاة. وعندما يجد الطفل لذّة للمرة الأولىٰ فسيقوم بتكرار ذلك مرّات ومرّات إلىٰ أن ينالها، الأمر الذي يستوجب الوعي والحزم إزاء ذلك من قبل الأبوين.

دور البيئة:

وعلىٰ هذا الأساس يجب أن يكون الجو العائلي والاجتماعي مناسباً

لحياة الطفل أو علىٰ أقل تقدير أن لا يكون من أسباب تحفيز الغريزة. وسنتناول في بحثنا هذا الكثير من جوانب المحيط التي لها دور كبير في إثارة وانحراف الأطفال؛ وهذه الجوانب قد تكون موجودة في العائلة أو في المجتمع. وسنشير فيما يلي إلىٰ بعض تلك الجوانب والظروف.

١ ـ يدعو بعض علماء الغرب وأنصار المذاهب المختلفة في علم النفس للحرية الفردية المطلقة وعدم الالتزام بأيّة قيود في العلاقات الجنسية، ولا يرون ضرورة لطرح موضوع الحياء في هذا السياق. ويقولون: إن تطبيق الإجراءات الرادعة والمانعة يأجّج النار في الإنسان، ويؤدي في نهاية المطاف إلىٰ فشل وحرمان الطفل. وعلىٰ هذا يجب القضاء علىٰ جذور الحياء في هذا المجال، وحتىٰ يجب إزالة ما يسمّىٰ بالخجل في هذا الصدد.

فهم يعتقدون بأنه لو توفّرت الحرية للإنسان في هذا الجانب وعاش في أجواء حُرّة، فلن تبقىٰ لديه أيّة قضيّة في حياته، ومع إحساسه بالإشباع الجنسي سوف يبقىٰ في ارتياح دائم، متناسين أن الأجواء المتحللة تثير هوس الإنسان علىٰ الدوام، وتدفعه حتىٰ إلىٰ التجاوز علىٰ أقرب الناس إليه أي إخوته وأخواته من أجل إشباع غريزته أو أن يتّجه إلىٰ أقرب أصدقائه لهذا الغرض.

فالحياة المتحررة أو حياة الغابة التي تتمثل في استحمام الأبوين مع الإبن والبنت وهم عراة، وتجاهل قضية الحياء في هذا الجانب؛ كل ذلك يساعد علىٰ تقوية الميول الجنسية، وإثارتها بصورة متجدّدة، فهذا الأمر، بالإضافة إلىٰ وجود أنواع أخرىٰ من التلوّث يكون سبباً في بعض الأحيان لظهور حالة البلوغ المبكّر، وهي من الآفات الخطيرة علىٰ الأسرة والمجتمع. وقد أوضحت التجارب أن العوائل التي يسودها الالتزام والتمسّك بالقواعد الأخلاقية، تواجه نسبة أقل من الأعراض والانزلاقات، حيث تُتاح الفرصة للأطفال لدخول مرحلة النضج بشكل طبيعي.

٢ ـ المزاح والإشارات والرموز:

مشاهدة المزاح المبتذل في البيت والمدرسة والمجتمع واستماع الألغاز والاستعارات والكنايات ذات المؤدّىٰ الجنسي والتي تجري في حضور الأطفال، وتبادل الإشارات والإيماءات في المنزل أمام ناظري الطفل والابتسامات التي ترتسم علىٰ شفاه الأبوين بشأن علاقاتهما، تجعل الأطفال حساسين إزاء هذا الموضوع، وتدفعهم إلىٰ تقصّي هذه الحالات، ومن ثم يطبّقون كل هذه الظواهر والحالات والأوضاع بصورة خاطئة وناقصة.

إدراك الأطفال لهذه الإشارات والألغاز والغمز واللمز، وتبادل الحديث والمزاح، يؤدي إلىٰ إثارتهم وتحفيزهم ـ في حالة الاختلاء والعزلة ـ علىٰ القيام بعمل ما يخلق لديهم الالتذاذ والنشوة.

وعلىٰ هذا الأساس فإن إدراك الأطفال لهذه الموضوعات يُعتبر بذاته قضية مهمّة؛ إذ قد يُؤدي تدريجياً إلىٰ تمهيد الأرضية للانحراف، وعلىٰ الآباء والأمّهات الانتباه إلىٰ هذا الجانب. وأنتم تعلمون أن الإسلام لا يجيز مثل هذه القضايا خارج نطاق العائلة أيضاً.

٣ ـ الاستبداد:

لقد أُجريت بعض الدراسات في هذا الصدد، وظهر من خلالها وجود علاقة بين استبداد الأبوين ونشوء جو من الاضطراب والرعب المقرون بالانحرافات، وحتىٰ الإثارة الجنسية للأبناء. وقد أشاروا في تبيان هذه المسألة إلىٰ ما يلي:

ـ وجود التوتّر يؤدّي إلىٰ تسريع حركة الدم.

ـ تغلب الدم وفورانه أكثر من الحد اللازم يؤدّي إلىٰ بروز الهيجان الجنسي.

ـ والهيجان الجنسي ينتج عنه نشوء العاطفة الجنسية ونموّها ونضوجها مما يخلق لدىٰ الفرد حالات شديدة من الإثارة.

ـ وفي نهاية المطاف إذا لم يجر إشباع العاطفة بشكل صحيح أو لم تتحول الإثارة إلىٰ الهدوء والسكينة، فستكون النتيجة الانحراف والشذوذ.

وقد أظهرت الدراسات أن الأطفال الذين كان لهم آباء غلاظ ومستبدّون أو كانوا في المدرسة تحت هيمنة معلم مستبد، لا يمكن مناقشته والاعتراض علىٰ أمره، أو لا يكون الطفل حُرًّا في اتخاذ قراراته بنفسه، ففي مثل هذه الأوضاع، تبرز هكذا حالة لدىٰ الأطفال؛ إذ أنهم يتعوّدون علىٰ قبول دور الخضوع أمام طلبات الآخرين فيصبحون وسيلة لإطفاء رغبات الآخرين الجنسية.

٤ ـ ارتداء الثياب غير المناسبة:

ينبغي التحدّث في هذا الجانب عن موضوعين علىٰ الأقل، الأول هو ارتداء ثياب الجنس الآخر، والثاني هو ارتداء الثياب المهيّجة.

يقوم بعض الآباء أحياناً ـ فيما إذا رُزقا بولد وكانوا يتمنون الحصول علىٰ بنت مثلاً ـ أو بالعكس ـ يقومون أحياناً بتلبيسه ثياب الجنس الآخر، حتّىٰ إنهم يطبّقون عليه رسوم وآداب الجنس الآخر ويزيّنونه بزينته، فمثل هؤلاء يقومون في حقيقة الأمر بسوق أبنائهم نحو الانحراف من غير وعي منهم. ويؤدي ذلك في بعض الحالات إلىٰ إثارة الأبناء أو إثارة طالبي الشهوة. وأنتم تعلمون أن الإسلام لا يجيز ارتداء ثياب الجنس الآخر، وربما يكون هذا هو أحد أسباب التحريم.

أما الموضوع الثاني: فمن الضروري الإشارة إلىٰ النقطة التالية بشأنه وهي أن ارتداء الثياب الضيّقة واللاصقة. الألبسة الداخلية الخشنة والناعمة تسبب الإثارة للشخص نفسه، ويجب علىٰ الأبوين والمربين الالتفات إلىٰ هذه النقطة التي سبق لنا وأن أشرنا إليها في بحوثنا السابقة، وسنتحدث عنها أيضاً في الظرف المناسب.

٥ ـ التجميل:

وفي ضمن هذا السياق ينبغي التحدّث أيضاً عن التجميل وهي كلمة عامة. فتجمل الزوج والزوجة لبعضهما أمر محبب، وقد أكدت عليه التعاليم الإسلامية، فقد أشار الإمام موسىٰ بن جعفر (ع) إلىٰ أن الأزواج الذين لم يكونوا يتزيّنون لأزواجهم في الماضي كان عاقبة أمرهم الانحراف و. . .

أما النقطة التي تستدعي الإشارة هنا فهي ضرورة الإقلال من جميع أنواع الزينة والتجميل، إلىٰ أدنىٰ حد ممكن في العوائل التي وصل فيها الأطفال سن التمييز وأضحىٰ لديهم وعي بهذه القضايا أو في البيت الذي يعيش فيه أبناءٌ شباب أو بالغون، أو أن تتخذ الزينة طابعاً آخر لا يلفت الانتباه أو بعيداً عن أعينهم. لأن رؤية هذه المسائل تثير الأبناء أو تكون بمثابة المنبّه لهم علىٰ أقل تقدير.

وكذلك الحال بالنسبة لتزيين غرف الأبناء المراهقين إذ تقوم بعض العوائل بهذا العمل أحياناً، فهو يثير فيهم الغريزة ويجعلهم حساسين تجاه هذا الجانب، خاصة بالنسبة لأولئك الذين يتّجهون نحو الانحراف، ولديهم معلومات عن علاقات الأبوين والمربّين، أو أنهم قد سمعوا أو قرأوا قصصاً في هذا المضمار، ولهذا فمن الضروري أن يكون محل نومهم بسيطاً وخالياً من جميع أنواع الزينة.

٦ ـ الانتباه إلىٰ علاقة الوالدين:

نودّ الإشارة إلىٰ أن العمر بين سن ٥ ـ ٨ سنوات مهم جداً من الناحية التربوية؛ لأن الطفل يشاهد ويسمع باستمرار كل ما يدور حوله، وبما أنه في سن التمييز، فهو يحاول فهم ذلك وإدراك ما بينها من علاقات وأسرار، ومن ثم ليطبّق فيما بعد كل ما تعلّمه.

وحين قيامهم بالتقصّي والاستطلاع يحدث أحياناً أن يشاهد الأطفال العلاقات الخاصّة فيما بين أبويهم، ويطّلعون علىٰ حركاتهم وأفعالهم، حيث يثير ذلك مشاعرهم بشدّة في بعض الأحيان، وتبقىٰ أذهانهم مشغولة به لمدّة طويلة، وبعدما يكبرون وينضجون تدريجياً، وتتسع دائرة معلوماتهم، تتهيّج

غريزتهم الجنسية لا إرادياً، ويبدأون برؤية الاحتلام الجنسي. وحتىٰ أنهم يسعون في اليقظة إلىٰ تحقيق تلك الرؤىٰ والرغبات.

أما الأطفال الأكثر ذكاءً فإنهم يحصلون علىٰ المعلومات في هذا المضمار بشكل مبكّرٍ جداً وأسرع بكثير مما يتصور الآباء وبما أنهم يفكّرون تفكيراً عملياً فهم قلّما يسألون عن هذه المواضيع، أو ربما كان حياؤهم وخشيتهم هي التي تمنعهم من طرح ما يدور في أذهانهم من أسئلة. وبشكل عام ينبغي الإشارة إلىٰ هذه النقطة، وهي أن عواطف الوالدين تجاه بعضهم مهما كانت تبدو ضئيلة وخامدة إلا أن الأطفال يدركونها، ويحاولون العثور عليهما، وهما في تلك الحالة، لغرض الحصول علىٰ معلومات أوسع في هذا الحقل.

٧ ـ الظروف السيّئة:

من جملة الظروف السيئة التي تساعد علىٰ توسيع دائرة الانحراف والشذوذ في حياة الأطفال والمراهقين هي: الوضع العائلي المضطرب والتفرّج سرّاً علىٰ علاقات الوالدين والآخرين، الإغواء الجنسي الذي يحدث في المجتمع ويراه الطفل أو يسمع به، والمبالغة في دلال الوالدين لأبنائهم وبناتهم وضعف الرقابة الأخلاقية في البيت والمدرسة، وجود وقت فراغ كثير في حياتهم أو انشغالهم لبعض الوقت بما هو مثير لهم.

فالطفل الذي يعيش في أجواء لا يلقىٰ فيها الحنان والمحبة بشكل صحيح، أو يعيش في بيئة لا يسودها الوازع الأخلاقي، أو في مجتمع ملوّث بقبائح المرضىٰ والمنحرفين، بحيث لم يعد صالحاً للأفراد الآخرين، أو في العوائل التي تنتقل فيها الأحاسيس الجنسية إلىٰ الطفل نتيجة للتصرفات غير الواعية من الآباء والأمّهات تجاه بعضهم وتجاه الطفل، فمثل هؤلاء الأطفال يتعرّضون لمخاطر متعددة. ولا شك أن رؤية المشاهد المبتذلة أو استماع القصص المثيرة للغريزة تؤدي بالنتيجة إلىٰ تهيئة دواعي الإثارة الجنسية أو أنها تترك آثاراً سلبية عميقة علىٰ نفسيّاتهم.

٨ ـ النزعات والخصومات:

وهذا موضوع عام وشامل حيث إن المشاجرات والخصومة سواءً كانت في البيت من قبل الأب والأم، أو في المجتمع عن طريق مشاهدة الأفلام في التلفزيون والسينما، تخلق اضطراباً في نفس الطفل والمراهق، وينبغي الحذر في هذا الجانب التربوي. إذ أن من غير الصالح أن يشاهد الأطفال والمراهقون مثل هذه المشاهد.

فوجود هذه المشاهد وما تحمله من مضامين سيّئة يُثير الاضطراب في نفس الطفل أو المراهق، وتدفعه إلىٰ الانزواء من أجل تخفيف حالة الاضطراب، ومن ثم يتّبعها الالتجاء إلىٰ حالة الإشباع الذاتي. وهذا الأمر أكثر ما يصدق علىٰ المصابين بحالات سابقة من التلوّث والانحراف.

وعلىٰ كل حال يجب أن تخضع تصرفات الأبوين غير المعهودة تجاه بعضهم إلىٰ بعض المعايير. فالعلاقات العدوانية المليئة بالمصادمات والمشاحنات والتي يرىٰ الطفل نفسه فيها مهدداً من الناحية الأمنية، تعتبر ذات خطورة كبيرة عليه. وكذلك الحال بالنسبة لتصرفات الوالدين في ملاحقة عيوب الطفل؛ لأنها تخلق له ظروفاً سلبية وتُعتبر تهديداً لأمنه.

٩ ـ التقليد والمحاكاة:

يرغب الأطفال الذين تقع أبصارهم علىٰ المشاهد الجنسية بتطبيق تلك المشاهد عملياً. فالمزاح المبتذل والبذيء واللمس والاحتضان والتقبيل والمعانقة المصحوبة بالغنج، وإن كانت بعيدة عن المعاني الجنسية في نظر الأطفال أو حتىٰ المراهقين أحياناً، إلاّ أنّها مع ذلك تتضمن جانباً سلبياً. وهو أنهم يحتفظون في ذاكرتهم بلقطات من هذه المشاهد، ويقومون أحياناً بتقليد تلك الأدوار.

وقد تنفرز جَرّاء هذا التقليد قضية أخرىٰ وهي بالإضافة إلى شعورهم باللذة التي تحصل لهم وتغريهم بمعاودة تكرار ذلك العمل، فإن تلك

الممارسة غير الجنسية تتحول لديهم تدريجياً إلىٰ ممارسة جنسية ورغبة في الوصول إلىٰ الأهداف الجنسية، ولا يخفىٰ أن عاقبة ذلك هي الانزلاق في مهاوي الانحراف.

١٠ ـ العوامل البيئيّة الأخرىٰ:

وفي هذا السياق يجب الإشارة إلىٰ عوامل متعددة أخرىٰ أهمّها: وجود الإصابات والانحرافات الجنسيّة بين أعضاء العائلة كالأب والأم والأخ والأخت أو الأقارب، ومنها أيضاً فقدان التعليم والتربية الصحيحة بين أعضاء العائلة واضطراب أسلوب الحياة كالنوم والاستراحة، بالإضافة إلىٰ المنام المشترك واللمس غير المشروع والمثير للشك، ورؤية الاتصال الجنسي بين الحيوانات و . . .

الفصل الثالث
الظروف والعوامل الاجتماعية - النفسية

الطفل يصبو إلىٰ المعرفة بحكم طبيعته وخلقته، وهو في سيرٍ حثيث ومتواصل من أجل تهيئة الظروف والإمكانات التي تُتيح له نيل هذه المعرفة. وفي جانب آخر فقد سبقت منّا الإشارة إلىٰ أن الميل الجنسي وحتّىٰ الحياة الجنسية في رأي بعض المتخصصين موجود بشكله الطبيعي أو المنحرف لدىٰ الأطفال. ويمكن ملاحظة ظواهره في سنين متقدمة جداً من عمر الطفل. ولكن يبدو أن ماهية هذا الميل في الطفل غير محدّدة بشكل دقيق، ومع ذلك فلا يمكن التنكر لوجودها ببساطة.

فمن الطبيعي - في حالة وجود أي رغبة أو ميل لدىٰ الشخص - أن يحاول العثور علىٰ أساليب وطرق إشباعه. تتهيأ للطفل أحياناً فرصة يتمكن فيها من الشعور باللذة واكتشاف مواطنها. ومثل هذا الشعور يحفّزه للبحث عن مثل تلك الظروف، وكلّما عثر علىٰ مشهد مطابق لرغبته ولذّته تحصل لديه الإثارة الجنسية. فمثل هذه الإثارة تمّت بواسطته هو شخصياً، وقد تتم أحياناً بواسطة الآخرين، وفي أحيان أخرىٰ قد تكون الظروف المحيطة هي السبب في حصول الإثارة.

وينبغي التركيز في تربية الطفل علىٰ حثّ الوالدين علىٰ ضرورة تشديد الرقابة في هذا الجانب لكي لا يتعرّض حاضر الطفل ومستقبله لضربات بمثل هذه الشدّة والقسوة.

الظروف الاجتماعية ـ النفسية:

الإثارة الجنسية تمتد على مدىٰ اتساع حياة الطفل، حتّىٰ أن معالمها ـ وكما قلنا سابقاً ـ تظهر للعيان منذ فترة الطفولة، رغم أن قوّتها لا تقارن بقوّتها عند البلوغ. إن وجدت هذه الإثارات ظروفاً مناسبة، فإنّها تتجسد وتبرز بشكل كامل ومن واجب المربين الانتباه إلىٰ هذه الجوانب ومراقبتها. أما تلك الظروف فهي كثيرة، ولكن يمكن الإشارة إلىٰ أهمّها بالصورة التالية:

أ ـ الظروف النفسية:

الجوانب النفسية الموجودة لدىٰ الشخص أو التي تطرأ عليه، هي التي تسبب له الإثارة وتدفعه نحو إشباع حاجته، وتكون في كثير من الحالات سبباً للانحراف. ويمكننا في هذا السياق الإشارة إلىٰ جوانب متعددة يمكن تلخيصها بما يلي:

١ ـ الخوف والقلق:

وهو رد فعل قوي مصحوب في كثير من الأحيان بالإثارة الجنسية. فالأطفال والمراهقون الذين يتعرّضون للخوف ينتابهم القلق والتأثر، فيلجأون إلىٰ البحث عن ملاذ ينقذون به أنفسهم من أوضاعٍ كهذه، وهذا ما يمهّد فيهم الأرضية للإثارة والالتفات إلىٰ القضية الجنسية.

٢ ـ الاضطراب:

وهو في حقيقة الأمر خوف متأصل في أعماق نفس الإنسان، ولا يظهر للعيان. نرىٰ بعض الأطفال والمراهقين يتّجهون نحو ذاتهم من أجل تسكينها وتهدأتها من عوامل الاضطراب التي تعتمل في داخلها، فيحاولون إشباعها ذاتياً أو عن طريق الآخرين، ليوفّروا لها مستلزمات السكينة والاستقرار.

٣ ـ الحرمان:

إن حرمان الإنسان من الإمكانات والظروف التي يحتاج إليها جسمياً

ونفسياً وبشتىٰ الصور، سيكون سبباً في فساد واختلال شخصية الإنسان. فالأطفال والشباب الذين يشعرون بالحرمان في النواحي التي يحبّونها كثيراً، سيلجأون إلىٰ العوامل والظروف التي يرون فيها تعويضاً عن حرمانهم، وهذا الالتجاء يُعتبر سبباً في بعض الأحيان لحصول الانحراف أو اكتشاف مواطن اللذّة.

٤ ـ التفكير والدقّة المتناهية:

وكذلك الأمور التي تشغل الذهن بشدّة وتجعله يدقق التفكير فيها، ينتج عنها نوع من الإثارة الجنسية. فعندما يغور الطفل في التفكير حول مسألةٍ ما، ويطيل التأمل فيها، فإن عدم توصله إلىٰ نتيجة بشأنها من جهة، ورغبته الملحّة في الوصول إلىٰ النتيجة المطلوبة بشأنها من جهة أخرىٰ، قد يؤدي إلىٰ حصول تغيير مفاجىء في مساره الذهني، فيقوم بالمداعبة الذاتية، ونلاحظ مظاهر ذلك لدىٰ التلاميذ أثناء الامتحانات المدرسية أو المسائل الفكرية. فالاضطراب والقلق إذا اقترن بالدقّة سيكون سبباً لإثارتهم في الجانب الجنسي.

٥ ـ وجود الضغوط النفسية:

كالاستبداد وأجواء الرعب التي أشرنا إليها في البحث السابق، وكذلك الأجواء المحدودة التي يرىٰ الطفل نفسه مقيّداً في نطاقها، مع انعدام التنوّع في أساليب الحياة، قد يؤدي بهم إلىٰ التفكير في ذاتهم، وما ينتج عن ذلك من إثارة وانزلاق.

٦ ـ أمنية الحصول علىٰ الملاذ والاستقرار:

قد تحصل الإثارة الجنسية لدىٰ الأطفال ولا سيّما المراهقون منهم بلا وجود سبب أصلي، سوىٰ الشعور بالحاجة إلىٰ ملجأ ومكان أمين يحصل فيه علىٰ الاستقرار النفسي والهروب من العوامل التي تثير في نفسه الاضطراب والألم. فالانشغال مع الذات والتسلية الذاتية قد يوفّر له جواً من الاطمئنان ولو لمدّة ساعة، حتّىٰ وإن كان ذلك الاطمئنان كاذباً وغير دائم.

٧ ـ الغضب:

وهو من عوامل الإثارة، وأساسه كما ذكرنا سابقاً تغلب الدم وسرعة جريانه في البدن وإيجاد الحرارة، وهذا يؤدي في النهاية إلىٰ إثارة المركز العصبي، وهذا بذاته من عوامل الهيجان، ولو أستمرّ علىٰ هذه الشاكلة فإنّه يؤدي إلىٰ الانحراف. مثل هذا الوضع يظهر في أغلب الأحوال عند مَن تتوفر فيهم أرضية الانحراف.

٨ ـ القبول عند الآخرين:

الأطفال والمراهقون الذين يشعرون بأنهم غير مقبولين في المجتمع لسبب أو آخر، ويتمنون أن يكونوا موضع قبول، فإنهم يُستثارون لرؤية سلوك وأوضاع وحركات الشخص الذي يرغبون في كسب ودّه، وهذا إفصاح عما يدور في خواطرهم، حتىٰ أنه قد لوحظ استعدادهم أحياناً للاستسلام أمام رغباته بلا قيد أو شرط لمجرد كسب رضاه.

٩ ـ التعويض عن التحقير الاجتماعي:

الأطفال والمراهقون الذين تتعرض شخصيتهم للإهانة والتحقير، ويشعرون بالخجل بسبب كونهم إناثاً أو ذكوراً يحاولون التعويض عن هذا الشعور، وذلك بانتهاج سلوك الجنس الآخر، وكذلك تثيرهم تصرفات وسلوك الجنس الآخر، ويستدرجهم إلىٰ دخول عالم آخر، نلاحظ مظاهره في قبول سلوكية الجنس الآخر، المتمثّلة في التسلط أو الخضوع.

١٠ ـ الاضطرابات النفسية:

تنشأ الإثارة أحياناً من الاضطرابات النفسية. فهناك تغييرات نفسية تحصل للأشخاص وتدفعهم نحو وادٍ آخر، وتكون سبباً في انحرافهم، ونحن نرىٰ مظاهر ذلك لدىٰ الأشخاص المصابين باختلال الشخصية، وبالأمراض النفسية، أو لديهم نواقص بأي شكل كانت.

ب ـ العوامل الاجتماعية:

وفي هذا المضمار ينبغي التطرق إلىٰ مجموعة من الظروف والعوامل

ذات البعد الاجتماعي، لكنها وفي نفس الوقت لها صفة نفسية أيضاً. (كما أن الظروف النفسية المذكورة أعلاه غير منفصلة عن البعد الاجتماعي)، يجب أن نتحدث في هذا المضمار عن جملة من الأسباب وأهمّها ما يلي:

١ ـ مؤثّرات الصداقة:

نحن مضطرون هنا إلىٰ التحدث عن هذا الموضوع بشكل أكثر تفصيلاً. مبدئياً علينا أخذ هذه النقطة بنظر الاعتبار وهي أن الرغبة في الصداقة واتخاذ الرفيق هي من الأمور العاطفية والاجتماعية، ولها وجود عند جميع الناس وتصل إلىٰ أوجها بين سن ٦ ـ ٨ سنوات، ثم تتأصل وتقوىٰ فيهم بالتدريج، حتّىٰ أن سن ١١ و١٣ عاماً، تُعتبر ضمن سنوات البحث عن الأصدقاء ومصادقة الأتراب، وبعد الخامسة عشرة من العمر، تبدأ مرحلة تثبيت وأستقرار الصداقة والأصدقاء.

لا علاقة لمسألة الصداقة والأصدقاء بالقضية الجنسية، ولا هي انعكاس لحالة من الانحراف. ولكن إذا لم تتخذ إجراءات الرقابة والسيطرة بشأنها فقد تؤدي إلىٰ الانحراف والشذوذ. وتوضيح هذه المسألة يتلخص في أن الصديق يتمثّل بالنسبة لهم فيمن يحفظ سرّهم ويسدّ حاجتهم، ويكون سبباً في توطيد أمنهم ونضوجهم العاطفي. ومن هذا المنطلق فقد تكون العلاقات الخفيّة مع الأصدقاء سبباً لسلوكهم مسلكاً يؤدّي بهم إلىٰ الانحراف، وهذا يحصل علىٰ شكل تبادل العواطف، وعلىٰ هذا فما دامت علاقات الصداقة لا تشكل سبباً للانحراف يجب عدم قطعها، والإجراءات الوقائية في هذا المجال مفيدة طبعاً، ومن الضروري التعرف علىٰ أصدقاء الأبناء فذلك يُعتبر أمراً بنّاءً ومفيداً.

٣ ـ الصداقة في مرحلة المراهقة:

في فترة المراهقة تشتد الحاجة إلىٰ الأصدقاء، بسبب كون الصديق هو الشخص الذي نأتمنه علىٰ أسرارنا، وأيضاً لكون الأصدقاء سبباً لحصول الاطمئنان النفسي، وذلك لأنّهم يُعتبرون المعين في حل الكثير من المشاكل

الاجتماعية.

والأمر المهم في الصداقة هو تبادل المعلومات والائتمان علىٰ الأسرار والارتياح والسكون لدىٰ بعضهما الآخر، كما تفعل الفتيات أحياناً عندما يضمن رؤوسهن لا إرادياً علىٰ كتف صديقاتهن، وذلك للتعبير عن شعورهن بالاستقرار والسكينة، ولو بشكل مؤقت بالإضافة إلىٰ ما يدل عليه من حاجتهن للمحبّة والحنان.

والخطر الموجود في هذه السن، يتمثل في كون الإنسان عرضة لدوافع عجيبة ومشاعر وعواطف غامضة، وألغاز خفيّة، وبأشكال متعددة. وهو بحاجة شديدة لشخص يثق به، ويفتح له نافذة قلبه، ويفشي له أسراره التي تمثل في نفس الوقت جزءاً من اهتماماتهما المشتركة.

في مرحلة المراهقة يُخفي التظاهر بالصداقة خلفه دوافع جنسية، وتصل الصداقة إلىٰ درجة من الشدّة بحيث تدفع الفرد إلىٰ الإعجاب بأفراد جنسه، وسنتحدث عن هذا الموضوع أيضاً في الباب السابع من هذا الكتاب. ان استيقاظ ميولهم الجنسية سيعرضهم لشتّىٰ المتاعب، وحاجتهم الشديدة إلىٰ الاختبار والسكينة والبوح بالسر، سيؤدي بهم ـ في حالات متعددة ـ إلىٰ الانحراف، ولهذا فمن الضروري القيام بالرقابة الصارمة علىٰ مختلف علاقاتهم وصداقاتهم.

٣ ـ الحصول علىٰ المعلومات من الأصدقاء:

من المسائل المثيرة في مثل هذه السن هي المعلومات المتناثرة التي يحصلون عليها من الأصدقاء.. لا شك أن الأطفال والمراهقين في أغلب العوائل يرون طريق الحصول علىٰ المعلومات قد أُغلق أمامهم بالمرّة وأنّ جميع ما يعرفونه في هذا المضمار لا يعدو كونه أشياء حصلوا عليها من المدرسة ضمن تعلمهم للدروس المختلفة، كالمعلومات الحياتية، ودرس الحيوان، وعن طريق الأصدقاء خلال الأسئلة وتبادل الأسرار، وحتىٰ المعلومات التي حصلوا عليها بالمشاهدة العينية.

جميع المعلومات التي يمتلكونها ناقصة ووهمية وأغلبها غير واقعيّة، لكنها مع ذلك تثير فيهم استيقاظ الغريزة وانبثاق الأحاسيس الجيّاشة والتي يحتمل أن تكون خطيرة وذات انعكاسات تربوية سلبيّة علىٰ الطفل والمراهق. وأولئك الذين تعرضوا لسوابق سيّئة في هذا المضمار أكثر عرضة من غيرهم لهذه المخاطر.

٤ ـ الشباب والشتائم البذيئة:

في الحالات التي لا يمتلك فيها الطفل والمراهق أية معلومات في هذا المجال، فالعبارات الفاحشة لا تعني شيئاً بالنسبة لهم، ومن الطبيعي أن لا تثير فيهم الشتائم المبتذلة أيّة مشاعر. لكن الخطورة سوف تتجسد فيما لو أصبح لديهم وعي بقضيّة ما، أو علىٰ أقل تقدير أصبح لديهم شك في معناها، إذ سيحاولون حينذاك ترجمتها كلمة كلمة وفهم معناها.

أما الشخص الذي له انحراف سابق، فالكلمات الفاحشة تُعتبر ذات معنىً بالنسبة له، وتثيره بشكل يهيّج جميع أعضاءه عند سماعه لتلك الكلمات البذيئة. وعلىٰ كل حال، فالكلمات البذيئة ليست قبيحة ومستهجنة فحسب، بل إنها أيضاً توجد لدىٰ السامعين أعراضاً ذات مخاطر لا يُستهان بها.

٥ ـ النماذج المنحرفة:

يوجد في كل مجتمع نماذج وأمثلة يتعلم منها الأفراد دروساً عملية. فإن كانت النماذج في المجتمع جيّدة فالدروس التي يأخذها عنهم الناس تكون جيّدة، وإن كانت النماذج قبيحة وتؤدّي إلىٰ الانحراف، فسوف تتمخّض عنها نتائج سلبية وكريهة.

وفي المجتمع الملوّث؛ يتّجه أولئك الذين في قلوبهم مرض والذين اعتادت نفوسهم علىٰ ارتكاب الذنوب نحو النماذج الفاسدة، النماذج التي تعطي الدروس السيّئة وتشيع التلوّث، ولا شك أن تصرفات وسلوك هذه النماذج مؤثر جدّاً في نشر الانحراف والشذوذ وأعمالهم القبيحة تتخذ أمثلة من

قبل الآخرين، فتنتشر بينهم الإثارة والفساد، ومن البديهي أن علىٰ الوالدين والمربين إبعاد أبنائهم، وخاصة أولئك الذين هم في سن البلوغ والمراهقة، بل وحتّىٰ الأطفال المميّزين عن تلك النماذج وزرع كراهيّتهم في قلوب الأجيال الناشئة.

ج ـ العوامل الأخرىٰ:

بالإضافة إلىٰ ما سبقت الإشارة إليه في هذا الصدد، توجد هناك عوامل ومسائل أخرىٰ، تؤدي إلىٰ حصول الإثارة الجنسية وهي:

١ ـ العوامل الجوية والمناخ والتي تلعب دوراً كبيراً في تأخير أو تقديم البلوغ وتثير الاختلال في الاتّزان الجسماني.

٢ ـ الأجواء التي ترتكب فيها الذنوب مثل مجالس الشراب واللهو والبذخ والتي يؤدي مجرد التفرج عليها أو قضاء الوقت فيها، إلىٰ الانحراف، والإسلام لا يبيح لنا العيش في مثل هذه الأجواء إلاّ عندما يكون قصدنا وهدفنا إلغائها والقضاء عليها.

٣ ـ جموح الرغبات والميول لأسباب بيئية ونفسية أو بسبب الملامسة و. . . والتي ينبغي معالجتها وتقويمها.

٤ ـ الحياة الجماعية المتواصلة ليلاً ونهاراً، والطاعة العمياء لآمري المجاميع والتي لها تأثير علىٰ نفسية الطفل والمراهق، وقد يحصل الانحراف أحياناً تحت ذريعة الطاعة.

الباب الخامس

الأسئلة الجنسية للأطفال والمراهقين

نتناول في هذا الباب البحث عن الأسئلة التي يطرحها الأطفال والفتيان، والتي تتعلق بالقضايا الجنسية، وتوجد موانع أخلاقية أو ثقافية تحول شرحها ودراستها. وتتحاشىٰ العوائل والأجهزة التربوية الخوض فيها؛ لما يحيط بها من موانع أخلاقية وخجل وحياء أو أنها تعتبر الدخول فيها من الممنوعات.

فالاهتمام بأسئلة الأطفال يكتسب أهميته من كون الفتيان ـ بسبب نضجهم وفهمهم وإدراكهم الخاص ـ يحاولون الحصول علىٰ أجوبةٍ لأسئلتِهم من مصادر أخرىٰ. فالذي يسترعي الاهتمام هم الأطفال الصغار الذين يعيشون في أجواء ضيّقة، ويعتبرون والديهم هم كل دنياهم. فإن لم يسارع الأبَوَان والمربّون للإجابة عن أسئلتهم، فهناك خطر أن يتّجهوا إلىٰ جهات أخرىٰ للحصول علىٰ الإجابات المقنعة.

قدّمنا في أحد فصول هذا الباب بحثاً عن أسئلة الأطفال، وسوف نطرح فيه بعض المواضيع العامّة. وسنتناول أيضاً ـ ضمن تبيان السن الذي تُطرح فيه هذه الأسئلة ـ العلل والدوافع لأسئلة الأطفال.

الفصل الآخر من هذا الباب يتعلق بنوع الأسئلة التي تعرض من قبل الأطفال. لدىٰ الأطفال أسئلة كثيرة يدور بعضها حول خِلقتهم، وكيفية ولادتهم، والفارق بين الجنسين واستعمالات أعضاء البدن؛ إذ ينبغي تقديم الأجوبة بذكاء وفطنة وبشكل مباشر وغير مباشر، لكن التركيز يجب أن ينصب علىٰ تهيئة الأرضية لغرض الحصول علىٰ المعلومات والحذر من تقديم

الأجوبة غير المحبّذة.

وفي الفصل الثالث من هذا الباب سنبحث في الأسس التي يجب مراعاتها في الإجابة عن أسئلة الأطفال والفتيان. وسنتطرق أيضاً إلىٰ المشاكل التي تعترض الأبوين والمربين في الإجابة علىٰ الأسئلة، بالإضافة إلىٰ الشروط المفترض توفّرها في الشخص الذي يتولّىٰ الإجابة، ونوع الجواب الذي يجب أن يقدّم، وسنشير أيضاً إلىٰ ما ينبغي اجتنابه في هذا المضمار.

الفصل الأول
أسئلة الأطفال الجنسية

يقول الخواجة نصير الدين الطوسي: الإنسان جاهل في أصل خلقته، وليس لديه أية معلومات عن العالم وظواهره، ولا عن كيفية سيره وتطوّره، فهو كالمعصوب العينين الذي يدخل دار ضيافة جديدة، فهو لا يعلم شيئاً حتّىٰ عن المستلزمات الحياتية الأساسية في هذه الدار، ولا يعرف كيف يتعامل أو يستفاد من هذه الوسائل.

إن الرغبة في المعرفة وفهم أسرار الظواهر والأشياء وأسلوب الاستفادة منها في الحياة، هي من الدوافع الفطرية عند كل إنسان، والطفل أيضاً يحب اتّخاذ المواقف الصحيحة والواعية تجاه الأشياء والظروف المختلفة، لذا فهو ينصت بدقّة إلىٰ أحاديث الآخرين، ويبادر هو شخصياً في بعض الحالات إلىٰ لمس وتحليل الأشياء. وتصبح لديه رغبة عميقة لفهم واستطلاع تصرفات وأعمال الآخرين. فهو يسأل عن خصائص الأشياء أيضاً، وعن كيفية الاستفادة منها.

ضرورة أسئلة الأطفال:

أسئلة الأطفال عن أسرار وخواص الظواهر الموجودة في هذا العالم أمرٌ طبيعي جداً. فلا يجوز الاستهانة بالطفل أو ردعه بعنف من أجل الأسئلة التي طرحها، وذلك لأنّه يرىٰ ضرورة عدم إخفاء أي شيء عن أبيه وأمّه، وأن عليه أن يسأل من أجل أن يتعلّم. وربّما يخطىء بعض الوالدين والمربين فهم أسئلة

الأطفال وينظرون إليها بعين الشك، متوهّمين أنّه يُخفي وراء ذلك مقاصد سيّئة. بينما لو أننا تأملناها جيّداً، لوجدنا أن الطفل لا يرمي إلىٰ هذه المقاصد. فقد صادفه أمرٌ ما وهو يريد الاطلاع علىٰ ماهيّته وحقيقته، وذلك نابع من صفاء نيّته وطهارة باطنه.

نريد طمأنة الآباء الكرام بأن أسئلة الأطفال حول المواضيع الجنسية والمسائل المتعلقة بالولادة والإنجاب لا تدل بأي شكل من الأشكال علىٰ انحرافهم، بل إنها قضية تستوجب أن تعار الاهتمام الكافي. فإن كنتم تصرّون علىٰ ضرورة عدم اطلاع الطفل علىٰ مثل هذه المسائل، فالمفترض عدم تمهيد السبيل أمامه للاطلاع عليها منذ البداية.

نعم، الأطفال الأكبر سِنّاً والذين ثبت أنحرافهم، قد تكون بعض أسئلتهم معبّرة عن انحرافهم، وعلىٰ كل حال فيجب أن لا يُنظر إلىٰ هذا الجانب علىٰ أنه قضية غير طبيعية. ويجب أن لا يكون جوابكم عن تلك الأسئلة مقروناً بالغضب والعبوس. ولا ننسىٰ أن الأسئلة التي تُطرح حتّىٰ من قبل المنحرفين، تعتبر بمثابة الإنذار بالنسبة لكم، لأنها جعلتكم تعرفونهم جيّداً، وتطّلعون علىٰ حقيقتهم من أجل اتّخاذ الموقف الصحيح إزاءهم.

الطفل وكثرة الأسئلة:

كلّما ازداد معدّل الذكاء لدىٰ الأطفال، وكلما رأوا الظروف متاحة أمامهم أكثر؛ كلما أكثروا من طرح الأسئلة. فالأسئلة تنهال كالسيل من أفواه الأطفال في سن ٣ ـ ٤ سنوات، وهم يسألون من الأب والأم والآخرين بصورة متواصلة عن المواضيع والقضايا المختلفة، وإن كانت هذه الأسئلة ليست ذات أهمية بالنسبة للمربّين.

فهم لا يتمكّنون من التأمل والتفكير في موضوعٍ ما، ولا قابلية لهم علىٰ كتمانه. فهم يحبّون الإسراع في الإستفسار من أبيهم وأمّهم عن كل قضية تعرضُ لهم، والحصول علىٰ جوابها فوراً. ولا يتحمّلون التأخير فيها، ومن

الطريف أن هذه القضيّة تعتبر إيجابية بحد ذاتها. لأنه لو أجّل سؤاله إلىٰ الغد، فهناك احتمال واردٌ بأنه سوف ينساه ويُحرم من فرصة لكسب المعرفة، أو أنه قد يعرض سؤاله غداً علىٰ الشخص غير المناسب فيقع في الفخ.

فالطفل إذا لم يكن لديه سؤال يعرضه عليكم، فليس ذلك دليلاً علىٰ حسن خلقه. بل يبيّن أنه طفل خامل ومتخلّف، أو أنه يتمتع بذكاء استثنائي، بحيث يرىٰ الظرف غير مناسب للسؤال؛ لأن بعض الأبوين قد جعل الأجواء المنزلية خانقة ومكبوتة بحيث لا يتجرأ فيها الطفل علىٰ طرح أي سؤال، أو أنه يرىٰ الأوضاع لا تساعد علىٰ الاستفسار عن أي موضوع.

نرىٰ من الضروري هنا الإشارة إلىٰ هذه النقطة، وهي أن أسئلة الأطفال لا تعبّر دائماً دليلاً علىٰ ذكائهم. فهو قد يرىٰ مشهداً أو موقفاً فيطرح أسئلته وفقاً لذلك. فقد أظهرت بعض الدراسات أن الأطفال الأكثر ذكاءً هم الأقل أسئلةً في الحقل الجنسي. لأنهم يحصلون علىٰ الأجوبة من بين ثنايا الأحاديث والعلاقات. أما الأطفال الأقل ذكاءً، فيكونون أكثر دقّة في هذه الجوانب، ويريدون الحصول علىٰ الإجابات من أفواه الآخرين.

اضرار منع السؤال:

نرىٰ من الخطأ أن يجعل الوالدين الجو العائليّ مليئاً بالرعب، بحيث لا يتجرأ الطفل معه علىٰ طرح أسئلته في البيت. يجب أن تُتاح للطفل حريّة السؤال عمّا يجهل بدون الشعور بأيّة قيود، وإذا طرح الطفل سؤاله فيجب علىٰ الأب والأم أن يُجيبا بصورة وافية وإقناعه بالأسلوب الذي يرتضيه الشرع.

فالطفل، وضمن عالمه النقي الخالص، من حقّه أن يسأل عمّا بدا له، من غير وجل أو حياء أو خوف من الاستهانة به ومعاقبته، ومن حقّه أيضاً الحصول علىٰ الأجوبة الشافية. فإن أوجدتم حائلاً من المنع والخوف الذي يزجره عن طرح أسئلته فستصبح لديه رغبة أعمق في الحصول علىٰ الجواب، وسيزداد إصراراً للحصول علىٰ مبتغاه. فيطرأ علىٰ ذهنه هذا الخاطر، وهو ما

هو السر الكامن في هذا الأمر بحيث يمتنعون من الإجابة علىٰ سؤالي، وسيضطر إلىٰ طرح سؤاله هذا علىٰ بقية الأطفال من أترابه.

يجب أن يكون موقفكم إزاء أسئلة الأطفال بشكل بحيث ينظرون إليها علىٰ أنها أمر عادي ولا يعتبرونها قضية غير طبيعية، هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ يجب أن تكون الأجوبة بشكل لا يضطر معه الأطفال إلىٰ تعلّمها من الأصدقاء الفاسدين. بعض الأطفال لا يطرحون أي سؤال في هذا الحقل، فيظنهم الوالدان منزّهين عنها، غافلين عن أن السبب قد يكمن في انعدام الأجواء المناسبة أو أنهم قد يكونون أذكياء جداً كما أشرنا إلىٰ ذلك سابقاً.

السن التي تُطرح فيها الأسئلة الجنسية:

تبدأ أسئلة الأطفال الجنسية علىٰ الأغلب في سن ٣ ـ ٤ سنوات، وأكثر ما تكون عندما يرىٰ الطفل أمّه فارغة البال أو مشغولة بالأعمال اليدوية والبدنية. فهو عندما يرىٰ أمه وحدها وفارغة البال أيضاً وقادرة علىٰ الالتفات إليه، يبدأ بطرح الأسئلة عليها، والتي تتلخص فيما يلي:

من أين أتيتِ بي؟ أين كنتُ في البداية؟ عندما كنت صغيراً جداً أين كان موضعي ومكاني؟ ماما... ماذا يعني الزواج؟ لماذا بطنك كبيرة؟ ماذا أكلتِ بحيث انتفخ بطنك وكبُر؟ هذا الصغير أين كان؟ و....

أسئلة الأطفال من هذا الطراز كثيرة جداً، وهي ليست دليلاً علىٰ الانحراف الجنسي، وإن كان الأبوان يتصوران أنّها أمر قبيح أو أنّهما لا يتوقّعان صدور مثل هذه الأسئلة من طفلهما. فإذا أجبنا علىٰ أسئلة الطفل باحترام وإخلاص وعلىٰ قدر فهمه وإدراكه، فإننا نكون قد جعلناه يسكت علىٰ الدوام. وإن واجهناه بالضرب والصفع، ومنعناه من تكرارها فسيشعر أن في القضيّة سراً لا نحبّ أن يطلع عليه، وإلاّ فلماذا هذه العقوبة؟ وعلىٰ هذا فستزداد حساسيّته ويزداد إصراراً علىٰ متابعة الموضوع وتقصّي حقيقته، ولا يستبعد أن يكون ذلك سبباً لانحرافات جديدة لديه.

أسباب ودوافع السؤال:

لا بأس بالإشارة إلىٰ الأسباب والدوافع الكامنة وراء أسئلة الطفل، لكي يكون لدىٰ الأبوين والمربين الكرام تصوّر صحيح عن أسئلة الأطفال، ولا ينظرون إليها جميعها نظرة واحدة، ويستشفّون منها معنىً واحداً فقط. فأسئلة الأطفال وفي أي حقل كانت إنما تصدر لأحد الأسباب والدوافع التالية:

١ ـ التقصّي والاستطلاع:

حب الاستطلاع عند الأطفال أمر ذاتي وفطري، منشؤه ومبناه موجود عند الحيوانات أيضاً ولكن بشكل محدود وغير ناضج. نطاقه لدىٰ الإنسان واسع ويشتمل بين زواياه علىٰ جميع جوانب وأبعاد الحياة.

الطفل يريد أن يعرف ما هي الخواص التي تمتاز بها الأشياء؟ ومن أين تأتي؟ وما فائدتها؟ وإن حدث العمل الفلاني فما هي النتائج التي سيخلّفها وراءه؟ لماذا قام الأب والأم بالحركة الفلانية في البيت؟ لماذا قام الأب بكذا وكذا في الغرفة؟

حب الاستطلاع هذا يقود الطفل نحو المعرفة وكسب المعلومات الضرورية للحياة. ولذلك إذا عرض عليكم أي سؤال فيجب أن تحتملوا أيضاً أنه صادر عن حب الاستطلاع من أجل اكتساب المعرفة.

٢ ـ التأكد من صحة المعلومات:

في بعض الموارد يتعلم الطفل شيئاً أو يجرّب شيئاً علىٰ أساس إدراكه ونظرته، ويريد التأكد هل أن ما تعلّمه صحيح أم لا؟ وهل أن ما قام به يُعتبر أمراً جائزاً أم غير جائز؟ وهل أن ما سمعه بشأن الموضوع الفلاني سمعه بشكل صحيح أم لا؟ وهل أن ما استشفّه من الأمر الفلاني كان صواباً أم خطأً؟ ومن هذا المنطلق فإنه يسأل والديه للتيقّن من مكتسباته والمعلومات التي حصل عليها. ومن البديهي أن الأبوين ومن خلال تقديم الإجابة الصحيحة

علىٰ أسئلته، يساعدانه في الحصول علىٰ مثل هذا اليقين. فيشيران إلىٰ أنَّ ما كان في ذهنه صحيح أو غير صحيح، ناقص أم كامل، و. . .

٣ ـ جذب انتباه الآخرين:

يكون غرض الأطفال من الأسئلة أحياناً جذب انتباه الآخرين. استحضروا في أذهانكم صورة للأب والأم وهما منهمكان في العمل، أو في الحديث والنقاش أحياناً، أو في التحدث مع الآخرين، أو أنهما قد انغمرا في قضيّة ما وانشغلا بها، فإن الطفل يشعر بالوحدة والعزلة.

ففي مثل هذه الحالات، ولغرض أن يتخلص الطفل من الضيق والوحدة التي يشعر بها، فهو يحاول استقطاب أنظار الأب والأم نحوه، لذلك يبدأ بطرح الأسئلة. وفي بعض الأحيان يعاود الطفل السؤال مرّة أخرىٰ لأنه قد سبق له وأن طرح سؤالاً وقد نال التشجيع الكافي لدفعه الآن إلىٰ تكرار تلك الذكرىٰ الجميلة، والحصول علىٰ ذلك التشجيع، فيحاول الآن طرح سؤال جديد وإن كان بلا رأس ولا أساس. وتلاحظون هنا أن نفس العلم أو المعرفة ليس مهماً بالنسبة له، وإنما المهم هو إثبات وجوده في ذلك الظرف.

٤ ـ الهوس والبطالة:

وفي بعض الحالات لا يُلحظ أيّ من الموارد المذكورة سابقاً. فإن الطفل يبادر إلىٰ طرح الأسئلة قضاءً للوقت؛ لأنه يعاني من البطالة وفقدان وسائل التسلية. ويثير أسئلة سطحية وتافهة، ولا يظهر منه أي إصرار علىٰ فهم الإجابة عنها. ويكفيه أن يتكلم أبوه وأمّه وأن يقولا أيَّ شيء.

علامة مثل هذه الأسئلة، أنكم لو هيّأتم له الأرضية لسرد قصّة أو أي نوع من اللعب والتسلية في تلك اللحظة، فلن يكون مستعداً بتاتاً لاستماع الجواب، ويغير هدفه ويصرّ علىٰ أن تسردوا له قِصّة، والعلامة الثانية أيضاً هي عدم انتظام واتّساق الأسئلة، إذ تبدو وكأنّها من كل قطر أغنية.

امتناع الطفل عن السؤال:

يتم أحياناً التعامل مع الطفل بالشكل الذي يمنعه من سؤال أبيه وأمّه عن الأمور الجنسية. فيتصور الوالدان أن طفلهما لا يعرف شيئاً عن هذه المسائل وربّما يصدق ذلك في بعض الموارد. لكن التجارب قد بيّنت أن الحقيقة ليست هكذا بالنسبة لكثير من الأطفال.

فهناك عدد كبير من الأطفال يجدون أجوبة عن أسئلتهم بشكل غير مباشر، أو يظنون أن طرح السؤال الفلاني من سوء الأدب، لذا فهم يحجمون عن الإدلاء به. ويحصلون علىٰ المعلومات في كثير من الأحيان من الأصدقاء والزملاء، أو أنهم قد فهموا مغزىٰ الأمر الفلاني سراً، ولا حاجة لسؤال الأب والأم.

ولا يفوتنا الإشارة إلىٰ هذه النقطة، وهي أن الأسئلة الجنسيّة ينخفض معدّلها اعتباراً من سن السادسة وحتىٰ سن البلوغ، والسبب في ذلك هو أنهم قد حصلوا علىٰ الإجابات المطلوبة وهي منطوية الآن في أعماق نفوسهم، وأن وضعهم الحالي ينتظر حصول الإثارة والتهييج الجنسي لكي يبرزوها إلىٰ الوجود. وفي الوقت نفسه يحتمل أيضاً أن الطفل لم يدرك لحد الآن شيئاً من هذه المسائل، وحينها يجب علينا اتّخاذ موقف آخر.

إعطاء المعلومات اللازمة:

طبعاً لا يفترض أن يُبادر الأبوان والمربّون ـ وبشكل تدريجي ـ إلىٰ تزويد الطفل بالمعلومات عن الحياة العائلية وتكوين العائلة وإيجاد الإثارة لديه من أمر عادي ووضع طبيعي. الصورة الصحيحة تتمثل في وجود سؤال في ذهن الطفل، فيبادر هو إلىٰ طرحه عليكم. وإلاّ فلا نقوم نحن بأيّة خطوة في هذا الصدد.

وفي الوقت نفسه يجب إعطاء بعض المعلومات المبسّطة حتّىٰ للأطفال

الذين ليس لديهم أسئلة جنسية، وذلك من خلال صياغتها في قالب قصّة، أو في قالب شرح قضية زواج، لكي يفهم الطفل أن الإنسان عندما يكبر سيتزوّج ويبني بيتاً ثم يصبح لديه أطفال و. . .

إعطاء هذه المعلومات دفعة واحدة وبشكل إجمالي لا يخلو من فائدة، وذلك لأنَّ الطفل لو طرق سمعه موضوع كهذا علىٰ يد الأصدقاء والزملاء والأتراب، فلن يكون لديه شعور بغرابة هذا الموضوع أو يظهر عجزه أمامه، أو تظهر منه بوادر الانحراف، لا سيما وأن أطفالنا يجتازون مرحلة المراهقة، ويدخلون مرحلة البلوغ في أقل فاصلة زمنية ممكنة، ويجب أن يفهموا القضايا التي تخص هذا الموضوع كالاحتلام والعادة الشهرية لكي يكون لهم علم بواجباتهم المستقبلية.

وصايا مهمّة:

وأخيراً نلفت أنتباه الوالدين والمربين الأفاضل إلىٰ النقاط التالية:

١ ـ يسأل الطفل أباه وأمه أحياناً وبلا أي خجل أو حياء ويكون سؤال مثلاً عن موضوع الاتصال الجنسي. فينزعج الأب والأم لعدم حياء طفلهما، ويقدمان جواباً مقلوباً، بأن إذهب إلىٰ الزقاق وأنظر القطة والكلب ماذا يفعلان و. . . ،نعتقد أن مثل هذه الأجوبة لا جدوىٰ منها ولا هي أجوبة بنّاءة. من الأفضل آن يحاولا اكتشاف جذور هذا السؤال فيه، وإن كان من المقرر أن يتعلم شيئاً من الحيوانات حقيقةً، فيجب توفير ظروف ومستلزمات ذلك، وأن لا يتكرر مثل هذا الحديث ثانية بشكل مباشر؛ لأنه من محفّزات الوقاحة.

٢ ـ يحدث أحياناً أن يعرض عليكم الطفل سؤالاً حيث يبدو فهم الموضوع صعباً عليه في رأيكم، ولن يتمكن من استيعابه بسهولة. لا تتصوروا أن تفكير إبنكم قد أضحىٰ عميقاً جداً وهو يطرح أسئلة عميقة الغور، فلربما يكون قد سمع هذا السؤال من شخص آخر، أو أنه طرأ علىٰ ذهنه عرضاً، وهذا لا يستلزم التعمّق في الإجابة عن سؤاله.

٣ ـ يجب أن لا تنسوا في جميع الأحوال أن الطفل لو يسمع الجواب منكم لَهُوَ أفضل له بكثير من الحصول عليه من الآخرين، وذلك لأنكم أحرص عليه، وأكثر فهماً لنفسيّته.

٤ ـ منع الطفل من طرح أسئلته أو إعطائه إجابات مقلوبة وتخويفه وزجره بسبب طرحه لهذه الأسئلة، سيدفع الطفل للانطواء على ذاته، وفقدان الثقة بالأب والأم، وحينما لا ترون الضرورة تستدعي الإجابة عن سؤاله، فيجب إخباره بهذا الواقع بكل صراحة، وذلك لا يستلزم طرده وزجره.

الفصل الثاني
نوع الأسئلة والأجوبة للأطفال والأحداث

إن سؤال الطفل من أمّه وأبيه أو من أي شخص آخر يرتاح إليه يُعتبر أمراً طبيعياً وعادياً جدًّا، وخاصة بعد سن الثالثة، حيث يكون الطفل في حالة تأهّب لاصطياد الكلمات وتلقّف المعلومات التي يرغب فيها. فهو كثيراً ما يسأل مَن أبيه وأمّه، وأسئلته متنوّعة عادة وتتبادر إلىٰ ذهنه فجأة.

تنوع الأسئلة ناتج عن عدم محدودية الأرضية والمواضيع التي تُطرح الأسئلة بشأنها. فهو يسأل عن الطعام أحياناً، وعن الثياب حيناً آخراً، ويسأل عن الأشياء والظواهر، ويسأل أحياناً عن كيفية عمل الأشياء والأعضاء والظواهر المحيطة به، ويسأل في بعض الأحيان عن الغريزة وما يتعلق بها. هدفه من بعض الأسئلة الحصول علىٰ المعلومات التي يستفيد منها في حياته، بينما يهدف من وراء بعض الأسئلة إلىٰ مجرّد إشباع غريزة حب الاستطلاع.

وفي نفس الوقت تكون أسئلته فورية، بمعنىٰ أن الطفل عندما تعرُض أمام ناظريه مشاهد أو ظواهر جديدة، فهو يبادر إلىٰ التساؤل فوراً عن خصائصها والحكمة منها، ويطمح إلىٰ فهم كمّها وكيفيّتها وأسرارها. ويتواصل الحال علىٰ هذه الشاكلة إلىٰ أن يصل اليوم الذي يشعر فيه الطفل بالاقتناع النسبي في هذا المجال، أو أنه يصل مرحلة من النضوج يتمكن معها من الحصول علىٰ أجوبة لأسئلته من الكتب أو المصادر الأخرىٰ.

نوع الأسئلة في الأعمار المختلفة:

هذه النقطة جديرة بالذكر: أن هناك نوعاً من الأسئلة التي تُطرح أكثر من غيرها في كل مرحلة من مراحل العمر. مثلاً إلىٰ ما قبل الخامسة من العمر تتركز أغلب الأسئلة علىٰ مبدأ الأشياء ومصدرها بمعنىٰ أنه يسأل من أين أتىٰ هذا الشيء؟ مَن الذي اشتراه؟ أين كان؟ مَن الذي جلب هذه المنضدة إلىٰ هنا؟ و. . . وكأن ذهن الطفل لا يمكنه التصديق بأنَّ شيئاً ما كان موجوداً بذاته، أو أنه لا مصدر ولا منشأ له.

في مثل هذه السن وفي السنوات اللاحقة تصبح لديه أسئلة أخرىٰ في هذا الشأن وهي: مَن الذي صنعني؟ كيف أتيتُ إلىٰ الدنيا؟ في تلك السنة التي سافرتم فيها أين كنت أنا؟ قبل ٧ سنوات لم أكن موجوداً، ما معنىٰ هذا؟ أين كنت إذن؟ و. . . وتمتد مساحة هذا النوع من الأسئلة من سن الرابعة تقريباً إلىٰ سن السابعة.

ونحن نعرف من بين الأطفال أفراداً يسألون أكثر من غيرهم من الأطفال عن القضية الجنسية ويهتمون بها أكثر من غيرهم، ويتحدثون ويسألون عنها أكثر من غيرها من القضايا. مثلاً بعض الأطفال في سن السادسة يسألون عن الفوارق الجنسية بين البنت والولد. ويحاولون منذ البداية تجربة تلك المسائل شخصياً، وحتّىٰ أنّهم يحاولون الحصول علىٰ أجوبة عملية لأسئلتهم، وهذا يدل علىٰ حصولهم علىٰ بعض المقدّمات في هذا المضمار عن طريق المشاهدة العينية، أو الأحاديث أو نقل الأقوال، وأنهم يسألون عنها الآن لغرض التأكد من صحّة معلوماتهم أو سقمها لغرض تثبيتها والاعتماد عليها، فيطرحون الأسئلة علىٰ الأب والأم.

انواع الأسئلة:

نتناول فيما يلي، نماذج من أسئلة الأطفال مصحوبة بنوع الأجوبة التي يمكن تقديمها لهم، وتعلمون طبعاً أن كل أب وأم له من المعرفة بأسلوب

تفكير ومنطق ولغة طفله ما يتيح له إعداد أجوبة أفضل وأنسب وتقديمها للطفل. وفي جميع الأحوال ينبغي أن تفترضوا في جميع إجاباتكم عن أسئلته أنه طفل وليس طالب جامعيّ. فلا ينبغي مراعاة جميع الدقائق في إعطاء الجواب. فيكفي إعطاؤه الخطوط العامّة في الجواب، وسيقتنع هو بذلك.

١ ـ فيما يخص خَلْقَه:

فالطفل يتساءل من أين أتيتُ؟ أين كنت؟ هل كنت في بطنكِ؟ كيف خرجت منها؟ و. . . وبإمكان الأم إعطاء مثل هذا الجواب: لقد كنتُ أحبك كثيراً وقد كنتَ في بطني لأجل أن ترافقني دوماً، لقد كنت صغيراً جداً وأنت في بطني، فأراد الله أن تكبر، ثم خرجت بعد ذلك من بطني، كنت أحبّك وأعطيك الحليب وقد كبرت الآن و. . .

وعندما تكبر أكثر يمكنك أن تفهم كيف يخرج الطفل من بطن الأم. فالطفل ما دام في بطن أمّه فهو صغير جداً، وهو مرتاح هناك ويقضي كل أوقاته بالنوم، وعندما يكبر الأطفال يصبحون بقدر الأب والأم، ويمكنهم أن يكون لهم طفل آنذاك. وأنت أيضاً عندما تكبر ستفهم ذلك. . .

وكما لاحظتم فلا ضرورة للخوض في جميع التفاصيل. ومن غير الحتمي أن يصبح الطفل معقّداً! لو قلنا له ستفهم هذا فيما بعد. ولا إشكال في أن تكون بعض الإجابات مؤجلة، وحتّىٰ بعد تقديم الجواب الإجمالي، يمكن إحالة شرح وتفصيل القضية إلىٰ مواضيع أخرىٰ مثل عبارات: لقد كنت أحبّك كثيراً و. . . عندما تكبر. . .

٢ ـ عن كيفية وجوده:

فهو يتساءل: ماذا كنت في بداية أمري؟ وكيف كنت؟ كيف كبرت في بطنك؟ و. . . ويمكن هنا الاستشهاد بمثال من بذور النباتات فعندما نزرعها في الأرض تنمو وتكبر. فالطفل أيضاً كان في البداية مثل البذرة الصغيرة. فكبّره الله في بطن أمّه، ونمّاه. وعندما يكبر الإنسان ويصير مثل أمه وأبيه، سيتم عقد ويقام له حفل يقدّمون فيه الطعام وتنصب له الأضوية ويتزوج

ويرزقه الله بطفل يكون صغيراً جداً في بداية أمره. ولأن أمه تحبّه كثيراً فهي تفتح له قلبها وتضعه فيه، إلىٰ أن يكبر فيأتي إلىٰ الدنيا وتحتضنه أمّه. أنت أيضاً كنت في بداية الأمر مثل هذا البذر. فوهبك الله لنا فكبرت في قلبي إلىٰ أن أتيتَ إلىٰ الدنيا، وستكبر يوماً بعد يوم، وسيأتي اليوم الذي تتزوج فيه أنت أيضاً ويقيمون لك حفلاً ويُضيئونَ الأنوار والمصابيح و... وسيكون لك و...

٣ ـ عن كيفية المجيء إلىٰ الدنيا:

تدور أغلب الأسئلة حول كيفية المجيء إلىٰ الدنيا. والإجابة لا تتطلب شرح مسار ولادة الطفل. إذ يكفي القول أنه يكبر في بطن أمه ثم يأتي بعد ذلك إلىٰ الدنيا. ومن المستبعد أن يسأل الطفل: ومن أي طريق يأتي؟ حتّىٰ وإن سأل يمكن حينها إجابته بكل هدوء: إنك لا تعرف ذلك الآن. عندما تكبر ستفهم. ومن أجل عدم مواصلة السؤال يمكن تغيير مسار الحديث والانتقال إلىٰ موضوع الطفل حديث الولادة فهو كثير البكاء وأمّه تعطيه الحليب، وهو لا يستطيع الوقوف أو المشي و... أنت أيضاً كنت في بداية أمرك هكذا و...

٤ ـ عن اختلاف الجنسين:

يبدأ التساؤل عن الفوارق بين البنت والولد منذ سن الثالثة من العمر. وأغلبها ناتجة عن عدم مبالاة الوالدين في تعرية أحد الأطفال أمام أعين الآخرين، فتتبادر الأسئلة إلىٰ ذهن الطفل. ويجد الفرصة مؤاتية حينذاك لرؤية جسم أخيه أو أخته عارياً.

في مثل هذه الحالة يصبح من الضروري التحدث باختصار عن دور المرأة والرجل والقول: إن البنات عندما يكبرن يصبحن مثل ماما. يرضعن الطفل، ويطبخن الطعام اللذيذ في البيت و... والأولاد عندما يكبرون يصيرون مثل بابا. يعملون خارج البيت ويشترون الطعام للأطفال، ويجلبون لهم وسائل الألعاب و... وفي جميع الأحوال يجب القول: إن الله قد أراد

أن تكوني أنتِ بنتاً ويكون هو ولداً. فثيابكما تختلف وشعر رأسك يختلف عن شعر رأسه. و. . .

٥ ـ عن أوضاعه الذاتية:

يسأل الفتيان أحياناً عن الاحتلام والفتيات عن العادة الشهرية. فإن كان الطفل صغير السن جدّاً، ويحتمل حصول البلوغ المبكر لديه، يمكن هنا إعطاء الجواب جملة واحدة إلىٰ أن تحين فرصة تبيانه بالكامل. وإن كانت المسألة خلاف ذلك فلا مانع من شرحها وبيانها بالتفصيل.

ومنذ ابتداء مرحلة المراهقة يجب علىٰ الآباء إفهام أبنائهم تدريجياً وبشكل مبطّن عن المسائل المتعلّقة بالبلوغ والاحتلام، وتزويدهم بالمعلومات اللازمة بشأن الغسل ومسائله. ونفس العمل يجب أن تقوم به الأمّهات إزاء بناتهن. ولو بادر المعلمون إلىٰ طرح هذه المسائل بشكل عام خلال الدروس فستكون النتائج أفضل. غير أن بإمكان الأب والأم أيضاً التحدّث بشكل انفرادي مع ابنهما أو بنتهما ويُعلمونهما ببعض الدلالات، والغرض من ذلك هو أن لو حدث لهم الاحتلام أو العادة، فإنّهم يُخبرون الأب أو الأم بذلك. ونعتقد نحن بضرورة توجيه مثل هذه التعليمات للأبناء وكذلك للبنات، وخاصة فيما يتعلق باستعدادهن للقيام بدور الأمومة. وحتّىٰ مسألة الغسل يجب تعليمها لهم قبل البلوغ بصورة غسل الجمعة، وعند حلول البلوغ ينبغي أن يتعلموا غسل الجنابة أو الحيض وذلك بتغيير نيّة وأسلوب الغسل.

٦ ـ الاستفسار عن الأعضاء:

الطفلة الصغيرة تسأل عن وظيفة ثدي الأم. والطفل يسأل عن وظيفة عضوه التناسلي. وهنا يمكن إجابتهم بصراحة بأن الله قد خلق الثدي ليرضع منه الطفل ويكبر، كما كنتِ أنتِ ترضعين من ثديي، عندما كنتِ صغيرة، إن الله يحب الأطفال وقد جعل الثدي من أجل تغذيتهم.

أما بشأن الجهاز التناسلي فيمكن القول وبدون أي حياء أنه قد خلق من أجل أن يخرج من خلاله بعض القاذورات، بالإضافة إلىٰ الماء الزائد في

البدن. وينبغي أن لا تمسّه لكي لا تتنجّس يدك. ولا يجب أن يمسّه أي شخص آخر، لأن ذلك قبيح. والأم أيضاً فإنها تغسله فقط. وأنت أيضاً يمكنك مسّه من أجل تنظيفه فقط، وفي الأوقات الأخرىٰ يجب عدم مسه، فالأب والأم ينزعجان من هذا العمل.

السؤال عن بطن الأم:

يسأل الطفل أمه، لماذا بطنك ضخمة؟ ماذا فعلت حتّىٰ صارت هكذا؟ هل أكلتِ طعاماً كثيراً؟ و... فتقول الأم في معرض إجابتها: كلا. إن الله يريد أن يأتيك أخ لكي تلعب معه، وهو الآن صغير جداً، لا يمكنه الجلوس والمشي والتكلم، وهو الآن في بطني، ويكبر شيئاً فشيئاً. مثلما كنت أنت صغيراً، وكان لك حيّز في بطني.

فهو الآن صغير، لا يستطيع الجلوس في حجري أو حجرك. وعندما سيأتي به الله إلىٰ الدنيا سترىٰ كم هو صغير ولطيف، سوف تلعب معه وتحبّه، وهو سيحبّك أيضاً. وقد أراد الله أن يكون في بطني طفلٌ صغير، لكي يكون زميلك في اللعب فيما بعد و...

وهناك أمثلة كثيرة لهذه الأسئلة التي يمكن الإجابة عن كل واحد منها بأمثال هذه الأجوبة. وسوف تلاحظون عملياً عدم إصرار الطفل علىٰ معرفة التفاصيل كما يدّعي البعض. وحتّىٰ لو أنه أصرّ أيضاً علىٰ ذلك فبالإمكان إعطاء نصف الجواب بشكل مباشر والنصف الآخر بشكل غير مباشر. أو تأجيل الجواب إلىٰ المستقبل، كأن يُقال له: ستفهم ذلك فيما بعد.

أنواع الإجابات:

يمكن الإجابة عن بعض الأسئلة بشكل مباشر كما أوضحنا بعض الامثلة لذلك أو بشكل غير مباشر، عن طريق تعريف الطفل بحياة الحيوانات والنباتات والتزاوج والتناسل، أو أحياناً بالرؤية المفاجئة للعلاقات

أو طرق الولادة.

يحصل الأطفال أحياناً علىٰ بعض المعلومات عن طريق التواجد في بعض التجمّعات التي تُطرح فيها مثل هذه المواضيع بشكل مفاجىء. ويحصلون عليها في أحيان أخرىٰ عن طريق قراءة الكتب والكراسات التي تقع في أيديهم بشكل أو آخر، والتي تتحدث عن مثل هذه المواضيع. وحتىٰ أنهم يحصلون علىٰ المعلومات أحياناً من مشاهدة الصور والأفلام المبتذلة فيحصلون علىٰ معلومات في هذا المجال.

وعلىٰ كل حال يجب الأخذ بنظر الاعتبار أن الأطفال يحصلون علىٰ الإجابات التي يبغونها بصورة أسرع مما تتصوّرون. كما أن أغلبهم مطّلع علىٰ تفاصيل الأمور وهو في فترة المراهقة. ولهذا فلا يبقىٰ لديهم سؤال ليطرحوه علىٰ الأب والأم، ويحصلون أحياناً علىٰ الإجابات من أصدقائهم وزملائهم.

اضرار الإجابات غير الموجّهة:

تكون تصورات الطفل عن خلقه ووجوده مبهمة عادة. وقد تزيد الأجوبة التي يقدّمها الأب والأم من هذا الإبهام والغموض. فعندما يسأل الطفل ـ مثلاً ـ من أين جئتُ أنا؟ يقولون له: إن الغراب قد أتىٰ بك! أو إننا وجدناك بين الشجيرات! أو إنّك كنت معلّقاً في الدكّان فاشتريناك! أو كنا نائمين فلمّا استيقظنا وجدناك إلىٰ جانبنا! كنت في المستشفىٰ فعثرنا عليك وأتينا بك! وجدناك في الشارع!! و. . .

مثل هذه الإجابات تخلق فجوة في علاقة الطفل بوالديه، وتقلل ثقته بهما، كما [illegible] تجعل الطفل في حيرة من أمره. فإن كنتم لا تريدون إعطاءه جواباً مباشراً، فقولوا له ـ علىٰ أقل تقدير ـ إن الله قد وهبك لنا. كنت في بطن أمّك، فكبّرك الله و. . .

ولا بد من الإشارة إلىٰ هذه النقطة أيضاً، وهي ضرورة البحث والتنقيب

عمّن زرع مثل هذه البذرة في ذهن الطفل فدفعه إلىٰ مثل هذا السؤال، وهذا الجواب؟ هل أنه توصل إليه شخصياً، أم أنه قد واجه أسلوباً غير صحيح في الحياة، أدّىٰ إلىٰ بلورة مثل هذه الأسئلة في ذهنه. وعلىٰ هذا الأساس ينبغي إبعاده عن الانعكاسات التربوية السيّئة لكي لا تتسع لديه، ولكي لا ينصب اهتمام الطفل علىٰ مثل هذه المسائل اعتباطاً.

تمهيد ذهنية الطفل لاكتساب المعلومات:

وفي نفس الوقت لا نرىٰ بأساً بالإشارة إلىٰ ضرورة انتهاز الوالدين والمربين لفرصة الدقائق واللحظات المخصّصة للطفل ـ بدون انتظار صدور الأسئلة منه ـ والمبادرة إلىٰ سرد القصص التي تتحدث عن جوانب الحياة المختلفة كالزواج مثلاً والاحتفال الذي يُقام لأجله وتُضاء فيه المصابيح وأنواع الإنارة والزينة، وأن يتطرق ضمن حديثه إلىٰ مرحلة الرضاعة عند الطفل، وإذا كانت لديه صور للطفل في مرحلة الرضاعة، فلا بأس بعرضها عليه ليراها بعينه ويفهم الوضع الذي كان فيه، وكيف كان سابقاً، وكيف أصبح حالياً.

وكذلك بإمكان الأم أن تقول لطفلها: إنك كنت أصغر من هذا أيضاً (عندما تريه صورته مثلاً وهو يبلغ من العمر شهراً واحداً)، فإنك عندما كنت في بطني كنت بحجم الإصبع فأراد الله لك أن تكبر، ولأن الله كان يحبّك، فقد جاء بك إلىٰ الدنيا. كنت حينها تبكي، وكنت ترضع الحليب و. . .

ولا ننسىٰ اختصاص بعض هذه الأسئلة بأسلوب الحياة العائلية والعلاقات الاجتماعية وصِلات الأطفال ببعضهم. وإلاّ يوجد هنالك أطفال لم يسألوا طوال فترة الطفولة عن مثل هذٰه المواضيع، حتّىٰ إن كان لديهم سؤال فَهُم لا يُصِرّون علىٰ الكشف عن جميع أبعاده.

الفصل الثالث

أصول الإجابة عن الأسئلة

قلنا: إن الطفل يصر علىٰ الحصول علىٰ جواب لسؤاله، ليرفع بذلك مستوىٰ معلوماته ومعرفته. أما الإجابة عن أسئلة الأطفال فهي تستدعي الالتفات إلىٰ هذه النقطة وهي: أن الطفل الذي يطرح سؤالاً عن موضوع ما، فإن نضوجه الفكري ـ علىٰ الأقوىٰ ـ في المستوى الذي يؤهله لاستماع الجواب وفهمه، حسب ما يصرح بذلك علم النفس. ورغم عدم شمولية هذا المبدأ، وعدم مصداقيّته في جميع الأحوال إلاّ أنه يُعتبر بمثابة إنذار للأب والأم.

والنقطة الأخرىٰ هي إذا عمد الوالدان إلىٰ تجاوز سؤال الطفل وإهماله وعدم الإجابة عليه يجب أن يلاحظا هل أن الطفل سيتجاوزه ويتركه أيضاً؟ أم أنه سيحاول العثور علىٰ الجواب وفهمه عن طريق السبل الأخرىٰ؟ وإن صحّ الاحتمال الثاني؛ فَلِمن سيتّجه الطفل في سؤاله؟ ومَن الذي سيكون مصدر معلوماته؟ وهل ترضون له الاتصال بأشخاص آخرين غير حريصين عليه، وليس لهم معرفة بمصلحة الطفل، ليقيم معهم العلاقات ويكتسب منهم المعرفة؟ وهل من الصحيح أن يختلط ويتحدّث مع الناس السيّئين؟ وإن هو تعلّم خلال هذه العلاقات عادات قبيحة، فمَن هو المسؤول؟ وإن تعرّض للانحراف من خلال السؤال والجواب، فما العمل؟

ومن جهة ثالثة، ينبغي مراقبة البيئة التربوية للطفل، وأن تكون الإجابة عن سؤاله بالشكل الذي لا يعرّض الطفل للانعكاسات الخاطئة، ولا يمهّد له

أرضية الانحراف والشذوذ. وأن لا تكون البيئة ملوّثة ومثيرة، بحيث تدفع الطفل نحو حُب الاستطلاع، والبحث غير الموجّه، وتهيئة الأجواء أمامه لطرح ما لديه من أسئلة.

مشاكل الوالدين في الإجابة:

يتعرض الوالدان إلىٰ كثير من المشاكل خلال تقديم الجواب للطفل، ولا يستطيع الكثير منهم تجاوز هذه المشاكل، ولكن ليس أمامنا سوىٰ اتّخاذ الموقف الصحيح والمدروس في هذا المجال. أما المشاكل المطروحة في هذا السياق فهي كثيرة ومن جملتها:

- خجل الكثير من الآباء الذي يمنعهم من استخدام جميع الكلمات والاصطلاحات المستعملة في هذا الجانب.

- ليس من مصلحة الطفل معرفة جميع المسائل وفي أي سِنٍّ كان. والوالدان يعانيان لعدم معرفتهما بهذه المصلحة.

- بعض الآباء يرغب في طرح الحقائق علىٰ الطفل، ولكنه يجهل الأسلوب الصحيح في الطرح.

- يتخوّف بعضهم من الوقع السيّء الذي تتركه تلك الإجابات علىٰ الطفل، ولذا فهم يتهربون منها.

لكننا نعتقد أن الانتباه إلىٰ نوع السؤال والتعمق في دوافعه وأسبابه، يعين الوالدين والمربّين علىٰ معرفة كيفية اتّخاذ الموقف الصحيح. وإدراك هذه النقطة مهم في الإجابة عن الأسئلة وهي: ما هي الظروف التي خلقت مثل هذه الأرضية لدىٰ الطفل وولدت لديه مثل هذه الأسئلة؟ وفي هذه الحالة يمكننا طبعاً معرفة ما ينبغي قوله وما ينبغي الإحجام عنه.

الشروط اللازم توفّرها فيمن يجيب عن الأسئلة:

نظن أن ليس بوسع كل أحد الإجابة عن أسئلة الأطفال وخاصة الجنسيّة

منها. فهناك مجموعة من الشروط والقابليات الواجب توفّرها لدىٰ الشخص حتّىٰ تقع الأجوبة موقع التأثير. والشروط المتوخّاة تتمثل فيما يلي:

١ ـ يكون مستمعاً جيّداً، بمعنىٰ أن نسيطر علىٰ أنفسنا ونترك الطفل يكمل سؤاله، حتّىٰ وإن أشتمل السؤال علىٰ موضوع آخر يستوجب التبيان، فندع له فرصة الإدلاء به؛ لأن هذا يؤثر في التعرف علىٰ معلوماته، والدوافع من وراء سؤاله، والمصدر الذي أخذ عنه السؤال.

٢ ـ الاستعداد الفكري والعلمي للجواب عن الأسئلة وبالشكل الذي لا يخلق أثراً سلبياً لدىٰ الطفل، ويحدد له الطريق الصحيح لاتخاذ المواقف، وأن يأخذ التعاليم الإسلامية بنظر الاعتبار أيضاً في هذا السياق.

٣ ـ السيطرة علىٰ الذات، وبالشكل الذي لا يتلعثم معه في الكلام من جرّاء التردد أو الخجل. وأن ينقل الحقيقة كما ينبغي للطفل. فاصفرار الوجه أو احمراره لا فائدة من ورائه. والسلوك الذي يتبعه المجيب في الإجابة ينبغي أن يتطابق مع أوضاع وسلوك الطفل.

٤ ـ يكون الإلقاء بالشكل الذي يجعل الطفل يثق بصحة الأمر والمسألة، ويفهم أنه لا يسطر كلاماً من عنده، أو يتكلم عبثاً، أو أنه يقصد خداع الطفل. ويجب أن ينظر إلىٰ الإلقاء والنبرة في الكلام نظرة جِدّ ويقيم للجواب وزناً، ويشعر بأنه اقتنع تماماً.

شروط الجواب:

أما الشروط والخصائص المفترض أن يتحلى بها الجواب فهي بحاجة إلى قليل من التأمل وسنذكر فيما يلي بعضاً منها:

١ ـ يجب أن تكون الأجوبة صحيحة بحيث لا تكون ممزوجة بالأوهام والخرافات. وعلىٰ هذا الأساس نرىٰ من الضروري التروّي بشأن الجواب

الذي نريد إعطاءه للطفل، والتفكير فيه قليلاً. وإعطاء الجواب الصحيح يُعَدُّ بذاته حلاً لنصف المسائل اللاحقة.

٢ ـ بساطة الأجوبة بحيث تتسق مع منطق الطفل واللغة التي يفهمها، لكي يستطيع هضمها. واستعمال الكلمات العلمية من قبيل كلمة هورمون غير مفهومة بالنسبة للطفل.

٣ ـ أن لا تؤدي الإجابات إلىٰ إيجاد انحراف لدىٰ الطفل أو تترك في ذهنه مخلّفات سلبية، ولا تعلمه درساً سيّئاً، وأن لا تكون دليلاً سيّئاً لما يلحقها من أفعال الطفل، وهذه القضية تحتاج إلىٰ فن ومهارة طبعاً. ومراعاة الجوانب الدقيقة ضرورية طبعاً في الإجابة؛ لكي يتعلّم الطفل الإيجابيّات من الدروس وتُبعد عنه الجوانب السلبية.

٤ ـ تكون الأجوبة مقنعة بحيث لا يرىٰ الطفل نفسه بحاجة إلىٰ تكرار نفس السؤال علىٰ الآخرين ويطلب منهم إجابات أكثر توضيحاً، أو لا يضطر إلىٰ طرحه عليكم بصورة أخرىٰ أكثر اتساعاً، فلربما يقتنع الطفل بالجواب المختصر الذي تقدمونه له، وهنا لا ضرورة للتفصيل.

٥ ـ يراعىٰ العمر والإدراك والسن في إعطاء الجواب. فالأعمار الأكبر تستلزم أجوبة أكثر عمقاً وتفصيلاً، وأجوبة العام الحالي يجب أن تكون أفضل وأنضج من أجوبة العام الماضي ومكمّلة لها.

٦ ـ لا تكون الإجابة مصحوبة بالسُخرية والمزاح والعبث والإثارة، ولا تكون ترويجاً للجرأة والوقاحة بدل الأدب والأخلاق، ولا تكون سبباً لهتك السواتر والحجب الموجودة فيما بينكم وبين الطفل.

٧ ـ تكون الأجوبة في هذا المجال محدودة، وفي الحدود الكافية لتوجيه الطفل وإشباع حب الاستطلاع لديه، وأن لا يكون مستوىٰ المعلومات عالياً، أو يؤدي إلىٰ إيقاظ وتنبيه غرائز الطفل، فهذا له ظرف ووقت مناسب.

■ ما ينبغي اجتنابه:

هناك مسائل أخرىٰ ينبغي الالتفات إليها خلال الإجابة عن أسئلة الأطفال، لها دور مؤثر في بناء وإصلاح الطفل أو إشباع غريزة حب الاستطلاع لديه، ونشير فيما يلي إلىٰ بعض تلك المسائل:

١ ـ اجتناب ما لا ضرورة له من الشرح والإطالة والتفصيل:

خلال الإجابة عن أسئلة الأطفال الجنسية يتخذ بعض المربّين موقفاً مسانداً للطفل ويقولون بضرورة إجابته عن كل ما يسأل. ونحن نعتقد أن هؤلاء مخدوعون؛ لأن هؤلاء أنفسهم يقولون: لو أن طفلاً عمره ٦ سنوات سأل عن نظرية فيثاغورس أو مسألة الجبر والاختيار يجب عدم خلق المتاعب الذهنية له، ولا ينبغي إجهاد ذهنه وتوريطه في مثل هذه المسائل. ولكن عندما يأتي دور الكلام علىٰ موضوع الجنس يُصرّون علىٰ ضرورة إعطاء الجواب بكل تفاصيله. يبدو أن هؤلاء ترتاح أسماعهم ويلتذون لتبيان وتفصيل مثل هذه المواضيع وتسكن قلوبهم لذلك!!

ونحن نرىٰ لو أن الطفل تقدّم بسؤال من هذا النمط فلا ينبغي إجابته علىٰ شكل درس أصولي كدروس طلاّب الجامعة، وتفصيل الموضوع له كما يفصل للطالب الجامعي المتزوّج والعارف بكنه الأمور. فالطفل قليل التجربة ولا يحتاج لأن نغرقه بكثرة التوضيحات لنجعل منه أستاذاً في هذا المجال، فهو أستاذ في هذا المجال بالفطرة، ولا داعي لأن تذهب أنفسكم عليه حسرات، فهو إن جَهِل أمراً اليوم، فسيتعلمه غداً.

ومما يؤسف له أننا نرىٰ بعض أنصار فرويد يعتقدون بأن الطفل لو عرض أي سؤال في هذا الحقل يجب تقديم الجواب له بالتمام والكمال، ليس هذا فقط بل إنهم يدعون إلىٰ إيضاحها له بشكل عملي أيضاً. ولا شك أنهم يرون ضرورة إنشاء مختبر جنسي يتعلم فيه الأطفال كل شيء! وإن سأل طفلٌ من أين جاء؟ يكفي أن تقولوا له: إنك كنت في بطن أمّك وكنت صغيراً جداً وشاء الله لك أن تكبر، ثم جئت بعدها إلىٰ الدنيا، فرضعت الحليب وكبرت

و. . . وسيقتنع الطفل بهذا المقدار، ولا داعي لإتعاب أنفسكم والطفل بمزيد من الشرح والإطالة.

٢ ـ اجتناب الكذب:

يضطر بعض الآباء والمربّين إلىٰ الالتجاء إلىٰ الكذب تخلصاً من المتاعب التي تسببها لهم أسئلة الأطفال المتواصلة. فيقولون له ـ مثلاً ـ إن الطفل كان معلقاً علىٰ باب الدكّان فاشتريناه، أو أن الأب والأم يموتان ويأتي الطفل إلىٰ الدنيا و. . .

مثل هذه الأكاذيب كافية لإسكات الطفل حالياً، إلاّ أن آثارها ستظهر بعد فترة زمنية قصيرة. فالطفل بعد سن ٥ ـ ٦ سنوات من العمر فصاعداً يبدأ بالدخول في مرحلة المراهقة وسيطّلع علىٰ الأسرار والحقائق بصور أخرىٰ. وانظروا كم سيفقد الثقة بالأبوين والمربّين.

٣ ـ الابتعاد عن الغموض:

يجب أن تكون الأجوبة التي تقدّم للطفل خالية من الغموض والإبهام الذي يشوّش علىٰ ذهن الطفل ويُبقيه أسير الخرافات والأوهام. أنتم تقولون له: إن الطفل قد جلبه الغراب، فيبقىٰ يترقّب دوماً ليرىٰ غراباً قادماً وهو يحمل طفلاً، وإن ثبت له عكس ذلك، فسيشعر بالاستياء الشديد.

فالإجابات ينبغي أن تكون صحيحة، ولكن محدودة وتبعث علىٰ الثقة في نفس الوقت، وأن تؤدي إلىٰ حل مشكلة الطفل، لا أن تزيدها أو تؤدي إلىٰ تعقيدها أو تضيف لها مشكلة أخرىٰ، ويفترض في الإجابات الصحة أيضاً، فلا نضع بين يدي الطفل معلومات خاطئة؛ إذ أنه قد يبني عليها، ويجعلها قاعدة لبقية معلوماته.

٤ ـ عدم الإجابة:

وفي بعض الحالات يجب الامتناع عن الإجابة عن سؤال الطفل ونقول له بصراحة: سنجيب عن سؤالك هذا فيما بعد؛ فأنتِ صغير جداً الآن علىٰ

فهم هذا السؤال بتكير سريعاً وتفهمه. أما الآن فتعال لكي أسرد لك قصة و... وبهذا الأسلوب يمكن صرف ذهنه من ذلك الموضوع إلىٰ موضوع آخر.

ولا تقلقوا في هذا الجانب، ولا تصدقوا كلام الآخرين من أنّك إذا لم تُجب عن سؤال الطفل فسيصبح معقّداً، أو أنه سيُصدم، ويفقد سيطرته علىٰ شخصيته. فهذا الكلام غير صحيح. الأطفال أنفسهم يستوعبون هذه الحقيقة ويجب أن يدركوا أن كثيراً من المعلومات يجب أن يفهموها لاحقاً.

في بعض الأحيان يمكنكم أن تعدوا الطفل بأنكم ستُجيبون عن سؤاله في وقت آخر، وأن الوقت لا يسمح بالإجابة الآن، إلىٰ أن تتوفر الفرصة لإعداد المستلزمات الضرورية. واعلموا أيضاً أن الكثير يرون أو يسمعون اليوم كثيراً من المسائل، ولكنّهم سرعان ما ينسونها. والهدف من كلامنا هذا أن الضرورة لا تفرض الإجابة عن جميع أسئلة الأطفال بكل تفاصيلها.

نقاط أخرى:

وفي الخاتمة، توجد هناك أيضاً نقاط أخرىٰ ربما لا تخلو الإشارة إليها من الفائدة، وفيها منفعة في توجيه الآباء والمربّين ونشير فيما يلي إلىٰ بعضها:

١ ـ أن بعض الكتّاب يطرحون أسئلة غبيّة ويجيبون عنها ومثل تلك الأسئلة لا تُطرح في أيّة عائلة إلّا إذا كان الأب والأم غير ملتزمين بأية ضابطة أخلاقية، فهم يطرحون الأسئلة التالية ويفترضون أن الطفل يسأل عنها:

ـ لماذا العضو التناسلي عند أبي أكبر من الذي عندي؟ لماذا أخي عنده عضو وأنا ليس عندي؟ لماذا أبي عنده وأمي ليس عندها؟ لماذا عضوي علىٰ هذه الشاكلة والذي عند أختي علىٰ شاكلة أخرىٰ؟ و...

فهل أن الطفل يعيش في جزيرة العراة؟ ألا يستحي الأب والأم من التعرّي بهذه الصورة؟ وهل يشاهد الأخ والأخت بعضهما وهما عراة؟ ألا

يوجد في البيت ضبط وربط؟ وهل إن البيت غابة تقفز فيها الماعز علىٰ بعضها من غير قيود؟ و. . .

لو افترضنا الأبَ والأم علىٰ هذه الشاكلة، أفلا يوجد في هذا البيت تربية لكي يُطرح مثل هذا السؤال؟ فالأب والأم إذا كانا علىٰ هذا القدر من التحلل فعلىٰ مَ يخشيان من سؤال الطفل؟

٢ ـ التملص من السؤال هو أسلوب يمكّن الوالدين من توجيه ذهن الطفل إلىٰ وجهة أخرىٰ لغرض التهرب من الإجابة عن بعض الأسئلة التي تبدو غير مهذّبة. وكما ذكرنا في المثال، فمن المناسب الانتقال من موضوع إلىٰ آخر.

٢ ـ الاستماع إلىٰ جواب السؤال يستلزم التأنّي والكتمان والاعتماد لكي يُتاح للطفل التحدث مع والديه بما يشاء.

٤ ـ إذا كنتم لا تجيبون عن جميع الأسئلة، فحاذروا من الاستخفاف بالطفل والاستهزاء به والضحك علىٰ سذاجته.

٥ ـ يمكن تقديم بعض الإجابات بشكل مبطّن، بحيث يفهمها الطفل أيضاً. ولا داعي للتحدث بكل شيء صراحة وعلىٰ المكشوف.

٦ ـ طرح المسائل بشكل مثير للعجب، يُعتبر بذاته مؤثّراً في إقناع الطفل. فعندما يطرح الطفل سؤالاً ليس بوسعكم الإجابة عن جميع أبعاده، يمكنكم صياغة الجواب بالصورة التي تثير العجب والاستغراب. فهو يسأل ـ مثلاً ـ من أين يأتي الطفل؟ قولوا له: إن الطفل كان صغيراً جداً في البداية. وكان في بطن أمّه صغيراً جداً بحجم الإصبع، فكبر وجاء إلىٰ الدنيا. وهو يبكي (قلّدوا صوت بكاء الطفل)، والأم تُرضعه الحليب. أنت أيضاً كنت هكذا في البداية، كنت تبكي. فرضعت الحليب وكبرت. وستكبر أيضاً أكثر من هذا، نريد أن نرسلك إلىٰ المدرسة، لتدرس، وتصبح مهندساً. المهندس يستطيع أن يصنع سيّارة، ويصنع طائرة... (وبهذا الأسلوب نبتعد عن

أصل الموضوع).

٧ ـ لا يبدو عليكم الاضطراب حين الإجابة عن السؤال ولا تتلعثموا أمام حب الاستطلاع لدىٰ الطفل؛ لأن مضار ذلك كثيرة، وهو يثير أستغراب الطفل. وسيشعر بالحيرة عندما يرىٰ أباه وأمه يضطربان لسماع هذا الحديث، وسيحاول استقصاء سرّ ذلك من الآخرين. وهذا أول المشكلة.

الباب السادس

مسألة الإشباع الذاتي عند الأطفال والمراهقين

نتحدث في هذا الباب عن سلوكية الإشباع الذاتي لدىٰ الأطفال والمراهقين وهو ما يعتبر آفة خطيرة علىٰ نفس الشخص، وخطراً وضرراً علىٰ الأسرة والمجتمع.

يختص الفصل الأول من هذا الباب بأصل قضية الاستمناء، وماهيتها وعلاقتها بالسن والجنس. وتبيان ما هي الفئات التي تستشري فيها هذه الظاهرة، وسبب ذلك. ثم سنبحث في العوامل التي تؤدي إلىٰ انتشارها بين الأشخاص. والعلامات التي يمكن بواسطتها تمييز الأشخاص المبتلين بها عن غيرهم.

ويبحث الفصل الثاني في أسباب ودوافع الاستمناء، وسندرس فيه العوامل البيئية والنفسية والعاطفية والاجتماعية والعوامل الأخرىٰ ذات العلاقة. وسنشير أيضاً إلىٰ حالات حدّته وأسباب الإفراط في اللجوء إليه.

وسنتناول في الفصل الثالث أضرار وأعراض الاستمناء، مع إيضاح رأي الإسلام في ذلك. وسوف نسعىٰ أيضاً إلىٰ دراسة مخاطر هذه العادة من الناحية الحياتية والنفسية والاجتماعية، وتأثيراتها الفعلية علىٰ المخ والمراكز العصبية، وآثارها اللاحقة أيضاً.

وفي الفصل الرابع سنذكر بعض الموارد التي تساعد علىٰ الوقاية من الوقوع في هذه العادة السلبية. وهذا القسم سيطرح في جزئين: الأول هو إعمال الرقابة، والثاني هو التمسك بالوقاية.

وأخيراً يختص الفصل الخامس بالعلاج وأساليبه. حيث سنتطرق إلىٰ إمكانية المعالجة بالأساليب الطبيّة والنفسيّة، وما سواها من الطرق، ونختم الفصل بأستعراض ما ينبغي أجتنابه بالإضافة إلىٰ ذكر بعض التحذيرات، وما يتطلبه الحال من التوجيهات.

الفصل الأول

مسألة الاستمناء أو الإشباع الذاتي

قلنا: إن الكثير من علماء النفس يعتقدون بأن الحياة الجنسية عند الإنسان لا تبدأ عند مرحلة البلوغ، بل إن بعض حالاتها موجودة منذ فترة الطفولة، وهي موجودة لدىٰ الطفل بصورة التعلّق ببعض الجوانب من الغرائز واللذات. إلا أن السبب في اختفائها وعدم بروزها للعيان هو الرغبة في مماشاة المجتمع ومسايرته.

هناك شخصيات (مثل فرويد ممن نظروا إلىٰ القضية بمنظار كبير جداً) يعتقدون بأن غرائز الفرد وقبل وصولها إلىٰ مرحلة البلوغ تمر بهاتين المرحلتين وهما:

١ ـ مرحلة التعلّق بالذات:

وهي تمتد من الولادة حتّىٰ سن الثالثة، وتشمل مرحلة الفم والمخرج والأعضاء التناسلية.

٢ ـ مرحلة التعلق بالآخرين:

وتمتد من عمر ٣ سنوات حتىٰ البلوغ، وتشمل فترة عدم الثبات وفترة حُب الآخرين وفترة الحياة السرية والجنسية.

إذ يلجأ بعض الأطفال خلال المرحلتين ـ ولأسباب ودوافع مختلفة ـ إلىٰ أسلوب الإشباع الذاتي للحصول علىٰ اللذة والإفراغ الجنسي. وهذا الأسلوب يجلب لهم اللذة ويثير فيهم الهيجان مع ما ستجلبه عليهم من أعراض في حياتهم المستقبلية. السبب الفوري والدافع الآني لها هو الحصول

علىٰ الاستقرار والسكون وإزالة القلق، وهو مطلب لا يمكن أن يدوم.

ماهيّة الاستمناء:

هو نوع من الإثارة الميكانيكية في الجهاز التناسلي التي تحدث لدىٰ الصغار أو الكبار. حيث يقوم الشخص بعمل من شأنه تفريغ الهيجان الجنسي. وهو ليس بالصورة التي يقال عنها بأن الشخص غير واعٍ بذاته في بعض الأحيان. وحقيقة الأمر هو أن مقدّماتها تتم عن وعي وعلم.

الاستمناء عمل شاذ، وهو ردّ فعل من نوع إحلال سلوك محل سلوك آخر، وأكثر ما نجد مصاديقه لدىٰ المراهقين والشباب بسبب التجائهم إلىٰ هذا السلوك تعويضاً عن الزواج وإقامة العلاقات المشروعة. ويُعتبر هذا العمل بمثابة دليل علىٰ الرغبة فى الزواج.

فالشخص المصاب بهذه العادة يؤدي دورين عن ذاته. فهو ينطلق في عالم الخيال ليتصوّر لقاءه بالآخرين، ويسعىٰ من خلال التحليل الذاتي إلىٰ إرواء عطش الحرمان في ذاته. فالمسألة الأساسية وهي الرغبة في الاتصال بالآخرين بعيدة عن متناول يده. ولو كانت في متناول يده لسعىٰ إلىٰ حلّها بصورة مشروعة أو غير مشروعة، وعن طريق اللعب وإقامة العلاقات مع أفراد نفس الجنس. هذا الأمر غير ناتج عن الاستعداد الطبيعي الذي لا ضرر فيه، بل هو ناتج عن الضغط والإثارة الشديدة لمراكز النخاع.

دور الخيال في الاستمناء:

وعلىٰ هذا فالاستمناء نوع من إطفاء الشهوة يقوم به الشخص نفسه ولا يشاركه إنسان آخر في ذلك. وهو انغماس في الذات وخوض في العالم الذاتي. وأكثر ما يصل إليه هو أن يجسّد في ذهنه وتصوّره شخصاً أو جسداً من غير أن يكون قد أعدَّ في ذهنه فكرة سابقة للجماع أو الاتصال الجنسي.

وتصِلُ التخيلات إلىٰ أوجها عند الشروع بهذا العمل وحين ممارسته، وكأنما يظن أنه علىٰ اتصال بأشخاص متعددين وهم حاضرون لديه. ويجسد في ذهنه أحياناً شخصيات خيالية فالأشخاص الحاضرين في مكان معين غير موجودين، وما تعدو صورهم إلاّ أن تكون صنيعة تخيّلاته، ومع ذلك فإن هذه الوجوه الوهمية تكون سبباً للإثارة وبثّ الدفء فيه.

ينطبق مصداق هذه المسائل علىٰ المراهقين أكثر منه علىٰ الأطفال باستثناء أولئك الذين حدث لهم البلوغ المبكّر أو واجهوا مشاهد سلبية التأثير وعلاقات خاطئة وذاقوا طعم الانحرافات المذكورة.

قبل حدوث هذا الانحراف وتجذّره في نفوس المراهقين، كان في بداية الأمر علىٰ هيئة شعور، ثم تحوّل فيما بعد إلىٰ هيئة التخيّل، ثم تجسّد في نهاية المطاف علىٰ شكل نشاط جنسي واستمناء. وخلال هذه العملية يقوم الشخص المريض أحياناً بتسلية نفسه من خلال تصوّره وتخيّله للشخص الذي يرغب فيه، وفي بعض الأحيان من خلال تصوّره لشخصيّات يبتدعها ذهنه، ويتم ذلك أحياناً بواسطة الصور، أو عن طريق الأشياء الأخرىٰ...

الاستمناء فيما يتعلق بالذات:

من المحتمل أن يبدأ هذا العمل القبيح في السنة الثانية من العمر، وعلىٰ صورة اكتشاف الغريزة المستترة عند الأطفال. بمعنىٰ أنهم قد اكتشفوا هذه الظاهرة أثناء اللعب بالأجهزة الذاتية أو المداعبة أو اللمس والاحتكاك، والتذّوا بها. وهذا الشعور باللذة يُصبح فيما بعد قاعدة لتكرار هذا العمل ومن ثم الاعتياد عليه.

في حوالي السنة الثالثة أو الرابعة من العمر حيث يكون وجود الديدان سبباً لظهور حكّة في أطراف المجاري التناسلية، قد يؤدّي إلىٰ إيجاد الأرضية عند الأشخاص لممارسة هذا العمل إذ يصاب الطفل بمثل هذه المسائل بدون

إدراك منه لها، ومن ثم يعتاد عليها فيما بعد. الإصابات التي تنشأ في السنوات المبكّرة من العمر تصل أوجها فيما يقارب سن الخامسة أو السادسة من العمر. لقد أظهرت بعض الدراسات في العالم الغربي (أي التحقيقات التي قام بها سيرز ومساعدوه عام ١٩٥٧) أن ٦٠ ٪ من الأطفال في تلك المناطق قد تعرّضوا لمثل هذه الابتلاءات. وطبعاً نحن لم نحصل في مجتمعنا علىٰ مثل هذه الإحصائيات.

الاستمناء لدىٰ الأطفال يكون عادة غير مفهوم وغير مدروس، ومن غير إرادة، وقد يحصل أمام الآخرين وبلا حياء. وهو غير الاستمناء عند المراهقين والشباب إذ يحصل الأخير بشكل إرادي مع وجود العلم بقبح العمل وما يتبعه من أضرار محتملة، وهو نابع من إثارات نفسية. هذه الظاهرة قليلة الحدوث في مرحلة الطفولة وكثيرة في مرحلة المراهقة. وقد أظهرت بعض الدراسات العلمية والتجريبية التي أُجريت علىٰ المصابين بهذه العادة أن بعض المراهقين يتعرضون لهذه الحالة ٨ مرّات أسبوعياً. وذكرت دراسات بعض العلماء من أمثال (كينزي أوج) أن هذه الظاهرة تحدث بين سن ١٣ ـ ١٥ عاماً وتزداد اتّساعاً في مرحلة البلوغ وسنوات النضوج.

الاستمناء فيما يتعلق بالجنس:

هذه الظاهرة ـ وكما تشير التحقيقات العلمية ـ موجودة بين الفتيان والفتيات. لكن أكثر التحقيقات تدل علىٰ حدوثها بشكل مبكر وأكثر انتشاراً بين الفتيان. وبناءً علىٰ تحقيقات كينزي فإن كانت نسبة الاستمناء لدىٰ الفتيان بمعدل ٩٠ ٪ فهي لدىٰ الفتيات بمعدل ٦٠ ٪. ومواصفات حدوثها لدىٰ الفتيات هي نفس المواصفات لدىٰ الفتيان، وهي تهدف إلىٰ نفس الغاية، وهي التخلّص من حالة القلق والاضطراب والحصول علىٰ السكينة.

أما بالنسبة لقلّة شيوع هذه الظاهرة لدىٰ الفتيات حيث ذُكر أنّ نسبتها ٣٠ ٪، فالسبب ـ كما يقولون ـ يعود إلىٰ طبيعة الجهاز التناسلي لدىٰ الأنثىٰ إذ

يقع داخل الجسم ولا يتعرض لكثير من الإثارة، وكذلك تعتبر المداعبة الذاتية لدىٰ الإناث ـ ولأسباب مختلفة ـ قليلة جداً. وهذا هو السبب في قلّة تعرّض الفتيات للانحراف قبل سن البلوغ، ولو أنَّهنَّ تعرضن للانحراف أو وقعن ضحية للخداع فيجب البحث عن الأسباب الرئيسية لذلك في الجوانب العاطفية.

وفي نفس الوقت فإن هذه الظاهرة تتحدد في ضوء سلوكهن ونمط علاقاتهُنَّ خارج البيئة العائلية، ونضوجهن والمؤثرات الثقافية عليهن وأساليب التعامل معهن. فربّما يتعرضن للانحراف أكثر وخاصة في سنوات البلوغ، وذلك بسبب رقّة المشاعر وكثرة العاطفة التي يتميّزن بها. ولكن سريّة هذه الممارسات تحول دون ظهورها إلىٰ العلن. وبعبارة أخرىٰ: إن شيوع ظاهرة الاستمناء لدىٰ الفتيات أقل منها لدىٰ الفتيان، أما اللواتي اعتدن عليها من الفتيات فهُنَّ يمارسن هذه العادة أكثر من الفتيان.

مَن هم الذين تكثر لديهم هذه الظاهرة:

تكشف الدراسات أن هذه الظاهرة تكثر لدىٰ بعض الناس أكثر من غيرهم وبالشروط التالية:

ـ لدىٰ الأشخاص المصابين بالأمراض الجسمية والمعدية مثل وجود الديدان.

ـ في سنوات البلوغ والمراهقة حيث يتنبّه الإنسان لغرائزه وتزداد نسبة تأثّره واستثارته بواسطة العوامل المختلفة.

ـ لدىٰ الأشخاص المصابين بالاضطرابات النفسية والقلق وعدم الاستقرار أو المصابين بأمراض نفسية خاصة.

ـ لدىٰ الأشخاص الذين يمتازون بالخجل والحياء الاستثنائي، وهم في برود وعزلة دائمة من شدّة الخجل.

ـ لدىٰ أولئك يعكر الاتصال بالآخرين صفوهم، فيبتعدون عن الاختلاط بالآخرين.

ـ الأطفال والمراهقون الذين يرون أنفسهم مُهمَلين أو منسيين في البيت أو المدرسة ويعتبرون أنفسهم غير سعداء.

لدىٰ الأشخاص الذين يكثرون من الرؤىٰ ونسج الخيال، والأشخاص الأنطوائيين.

ـ الأشخاص الذين اعتادوا علىٰ هذه الممارسة، وإذا تعرّضوا لأيّة استثارة فإنهم يفقدون السيطرة علىٰ أنفسهم.

ـ كبار السن المصابون بضعف القوىٰ الجنسية، إذ أنهم يهدّئون أنفسهم عن طريق اللعب مع الآخرين.

ـ المتزوجين الذين لا يشعرون بالإشباع عن طريق الاتصال الجنسي.

ـ وأخيراً الأشخاص الذين اعتادوا علىٰ هذه الممارسة حتّىٰ وإن كانوا متزوّجين.

ماذا يعني وجودها لدىٰ الشخص:

وجود ظاهرة الاستمناء عند الشخص يدل علىٰ الاضطراب أو الخلل النفسي والشخص الذي يمارسها شخص مضطرب وغير متّزن. فهو لا يعرف الاستقرار والسكون، ويبحث عن سبب لتهدئة أضطرابه وتسكين هيجانه، ومن دواعي الأسف أن يعثر الشخص علىٰ هذا الأسلوب المنحرف.

وجود حالة الاستمناء عند الطفل ولأي سبب كانت تدل علىٰ حرمانه من وجود المربّين اللائقين، وإنّهم لم يعاملوه معاملة حسنة ولم يستطيعوا فهم آلامه ومعاناته وإن كان مصدرها جسدياً. الاستمناء المتكرر عند الشخص يدل أحياناً علىٰ وجود خلل عصبي يسمّىٰ بالنوروز، ويبدو أنه لا يمكن السيطرة

عليه، ويدل أحياناً على اضطراب الشخصية، ويدل أحياناً أخرىٰ علىٰ عدم الانسجام ووجود التصوّرات السلبية.

وقد لوحظ في كثير من الحالات أن الأشخاص الذين يمارسون هذه العادة يشعرون ـ قبل قيامهم بالعمل ـ بالاضطراب والقلق وانعدام الأمن، فيلجأون إلىٰ هذه الممارسة ويتشبّثون بهذا الأسلوب لإزالة تلك العوارض والحصول علىٰ السكينة والاستقرار بشكل مؤقّت. وبعد قيامهم بتلك العملية يحصل ارتخاء في أجسامهم ويغطّون في نوم عميق نسبياً، ويشعرون بالسكون النسبي، ومن بعد ذلك ينتابهم التفكير في عواقب ذلك العمل ومضارّه والذنب المترتّب عليه، فيشعرون بالاضطراب من جديد، فيتكرر ذلك العمل من جديد أيضاً.

العلامات الدالّة علىٰ وجوده لدىٰ الأشخاص:

هناك أدلة وعلامات يُشير وجودها إلىٰ أعتياد الأطفال والمراهقين علىٰ هذه الممارسة، وسنشير إليها بعد هذه الملاحظات: نذكر أولاً هذه الملاحظة وهي أن بعض هذه الصفات موجودة لدىٰ الأشخاص من الولادة، ويجب عدم احتسابها من علامات هذا المرض. والملاحظة الثانية هي أن بعض الأمراض الشديدة لدىٰ الأطفال وبعض أنواع الالتهابات ينتج عنها ظهور مثل هذه العلامات لذا يجب عدم الخلط بينها، أما تلك العلامات والأدلة فهي كما يلي:

١ ـ وجود حلقة سوداء فاتحة اللون أسفل العينين.
٢ ـ وجود الدموع في العينين وعدم ارتياحهما.
٣ ـ تعرّق راحة اليد في أغلب الأوقات.
٤ ـ النحول والتعب واضح ومشهود فيهم.
٥ ـ يبدو عليهم النعاس والأضطراب.
٦ ـ اصفرار الوجه.

٧ ـ يسودهم الضعف العام والارتخاء.

٨ ـ يبدو عليهم الحزن والغم والاضطراب.

٩ ـ الرغبة في القيام بردود فعل وهمية وخيالية، وظهور الأوهام علىٰ شكل شكوىٰ من أمراض في المعدة والبطن والقلب والجهاز السمعي والجهاز البصري و. . .

١٠ ـ تعب الجسم وهزاله.

١١ ـ أغلبهم كسولون ويميلون إلىٰ الراحة.

١٢ ـ حادّو الطبع وحساسون وسريعو الغضب.

١٣ ـ تراهم أحياناً مستغرقين في أفكارهم الذاتية.

١٤ ـ عدم الاتّزان من الناحية العصبية.

١٥ ـ تلاحظ تخرّشات علىٰ الجهاز التناسلي.

١٦ ـ لا يلحظ عليهم أي نشاط أو تحمّس للركض أو اللعب.

١٧ ـ يتّصفون بالأنانية والتكبّر والعبوس وافتقاد الجرأة.

١٨ ـ متشائمون من المجتمع، ويمتازون بضعف القابلية علىٰ مداراة ومجاملة الآخرين.

١٩ ـ يلحظ علىٰ الأطفال الصغار ارتجاف اليدين وضعف العينين.

٢٠ ـ ترعبهم رؤية الأحلام.

٢١ ـ ربما تخرج من الفتيات أحياناً ترشّحات تشبه القيح.

ضرورة المعالجة:

الاستمناء عمل غير طبيعي وسلوك غير عادي وتنتج عنه آثار سلبية قطعاً، وسوف نشير إليها في الفصول القادمة. فالشعور باللذة الذاتية لدىٰ الأطفال يدفعهم شيئاً فشيئاً إلىٰ الانفصال عن الأب والأم، والابتعاد عن المجتمع والانغماس في الذات. وهناك تصوّر خاطىء يدعو إلىٰ تركهم وشأنهم لكي يشفوا تلقائياً، أو أن مشكلتهم ستُحل بذاتها بعد الزواج.

فالتحقيقات العلمية تدعو إلىٰ المسارعة في معالجتهم، وإلاّ فإن الشخص المتورط في مثل هذه الممارسة، يقع وحتّىٰ زوجته أيضاً إلىٰ مصائب ومشاكل جمّة، وسيأتي عليه يوم يفقد فيه كل حياته.

وسنتحدث عن هذا الموضوع فيما بعد.

الفصل الثاني

أسباب ودوافع الاستمناء

تحدثنا في الأبواب السابقة وخاصة في الباب المتعلق بالطفل والمسائل الغريزية (البابين الثاني والثالث من الكتاب) عن أسباب ودوافع انحراف الأطفال والتي يتّصل قسم منها بحالة الإشباع الذاتي أو الاستمناء. وأشرنا إلىٰ العوامل المؤثرة في إيجاد مثل هذا الانحراف وتوسيع نطاقه.

وإن ما سنشير إليه في هذا الفصل هي فقط القضايا المرتبطة بعادة الاستمناء والعوامل التي توجدها. يجب أن نذكر أبتداءً أن الأسباب التي تدفع الطفل إلىٰ الاستمناء غير مكتشفة لحد الآن، وحتىٰ أسباب التظاهر الجنسي عند الأطفال فإنها غير واضحة الجذور. وطبعاً أسباب وجذور هذه الحالات عند المراهقين والشباب معروفة إلىٰ حد بعيد، ونعلم أنهم يمارسون هذه العادة عن وعي وعلم منهم.

وما يستشف من المشاهدات والتحقيقات التي أجريت علىٰ الأطفال هو أن الإشباع الذاتي يبدأ عند بعض الأطفال حتّىٰ منذ سنوات الرضاعة وبصورة لا شعورية وعلىٰ شكل المداعبة الذاتية، وهي مرحلة من مراحل هذه العادة. والمرحلة الثانية تبدأ في سن الرابعة تقريباً، وقد تستمر أحياناً حتّىٰ إلىٰ الثامنة أو التاسعة من العمر، وأخيراً المرحلة الثالثة التي تبدأ عادة فيما يقارب سن المراهقة والبلوغ والتي قد تستمر ـ إذا لم تعالج ـ حتّىٰ سن الشيخوخة.

العوامل التي تؤدي إلىٰ ظهورها:

لو بحثنا عن العوامل المؤثرة في ظهور هذه العادة، لوجدنا أن الكثير

من العوامل تتظافر فيما بينها لتوجد مثل هذه السلوكية. ونتناول كل واحدة منها فيما يلي ونشرحها باختصار:

أ ـ العوامل الحياتية: نتحدث في هذا المضمار عن الأسباب والعوامل التي يمكن اختصارها بما يلي:

١ ـ وجود الديدان في المعدة حيث تؤدي إلىٰ ظهور حَكّة في المخرج أو تورّم أطراف الجهاز التناسلي فيقوم الطفل بحك ذلك المكان من أجل إزالة العوامل المثيرة للحكة والشعور بالارتياح. وعملية الحك هذه قد تؤدي في بعض الحالات إلىٰ شعور الطفل باللذة، فيعمد إلىٰ تكرارها لاحِقاً، وبهذا تتحول بالتدريج إلىٰ عادة متأصلة فيه.

٢ ـ التعرض للبلوغ المبكّر والناتج عن عدم الاتّزان في إفرازات الهورمونات والخلل في عمل الغدد وخاصة الغدد الجنسية. ونحن مضطرون إلىٰ بحثها بشكل مفصل في أحد فصول الأبواب الآتية. لكننا يجب أن نذكر بشكل عام أن هذه العادة قد تبرز لدىٰ الأطفال منذ السنوات المبكّرة وليست المسألة هنا مسألة طفل وطفلة، فكلا الجنسين عرضة للابتلاء بها.

٣ ـ وجود نتوءات جلدية في مكان الخِتان وهذه تسبب الإثارة الجنسية بدون وجود الدواعي الحقيقية، أو وجود الأورام في أطراف الغشاء المخاطي للمهبل.

٤ ـ وجود أعراض كالقبض الذي قد يكون سبباً لهذه العادة، وكذلك الحال بالنسبة إلىٰ حبس الإدرار والغائط وهو ناتج عن النمط الخاطىء في التربية، حيث يجب تعويد الطفل علىٰ التخلّي منذ سن ١,٥ عاماً، لكي لا تكون لدىٰ الطفل ذكريات سيّئة فيما يتعلّق بصعوبة التخلّي.

٥ ـ وجود الأمراض الجلدية المختلفة المصحوبة بالحكّة الشديدة والمتواصلة.

٦ ـ انعدام الرعاية الصحية وخاصة في الجهاز التناسلي والتغوّط، إذ قد يكون ذلك من الأسباب الموجدة لهذه العادة، فقد تظهر الحكّة لدىٰ الطفل بسبب عدم الاهتمام الكافي بالنظافة.

٧ ـ وجود مرض خاص كالبواسير، يؤدي إلىٰ ظهور هذه الحالة.

٨ ـ نمو الجسم: نمو الجسم وخاصة الجهاز التناسلي ينتج عنه الاستثارة بالمحفّزات المختلفة، ففي مثل هذه الحالة يجب مراقبة ملابس الطفل وثيابه وخاصة الداخلية منها فلا يفترض فيها شدة الخشونة والصلابة ولا شدة النعومة؛ لأن ذلك من دواعي الإثارة لدىٰ المراهقين أكثر من غيرهم ولدىٰ الفتيان أكثر من الفتيات.

ب ـ العوامل الآلية (الميكانيكية) في الإثارة:

في هذا الجانب يمكن التطرق أيضاً إلىٰ مسائل عديدة، نذكر المهم منها فيما يلي:

١ ـ المداعبة التي يقوم بها الأطفال، ومعنىٰ ذلك أن بعض الأطفال يلعبون بأعضائهم بكثرة وأيديهم مشغولة دوماً بالمداعبة. فهم يمارسون هذه العادة القبيحة إذا كانوا لوحدهم، أو حتّىٰ أمام الآخرين. ترىٰ أحدهم واضعاً يده في جيب سرواله، يلعب بأعضائه التناسلية وتراه أيضاً مشغولاً بالمداعبة وهو في الحمام أو في حين التغوط في المرافق الصحية. وهذه العادة تخلق لديهم بالتدريج ممارسة الاستمناء.

٢ ـ الاحتكاك بالفراش والأعمدة والسلالم هي أسباب أخرىٰ في ظهور هذه العادة. في بداية الأمر يتّخذ هذا الأمر طابع التسلية واللعب، ولكن بمرور الزمن يصبح بمثابة الحجر الأساس لعادة مغلوطة، حيث يتعود عليها الطفل بالتدريج. ولهذا يتوجّب علىٰ الوالدين والمربّين إبعاد الطفل ونهيه عن مثل هذه الألعاب.

٣ ـ المبالغة في رعاية الطفل وتدليله من قبل الأمّهات أو المربّين، أو المصابين بضعف القوىٰ الجسدية، والذين يحاولون إفراغ طاقتهم الجنسية عن طريقة المداعبة للأطفال واللعب غير المشروع معهم. وهذا التدليل قد يتضمن المسح علىٰ باطن الفخذ أو إمرار اليد علىٰ آلته التناسلية.

٤ ـ المبالغة في غسل الطفل واقتران ذلك بمداعبته في الحمام أو في المرافق الصحية. ولا شك أن لهذا الفعل تأثيره البالغ علىٰ الطفل. فالأم أو المربية لا تقصد شيئاً طبعاً من وراء هذا العمل، لكن هذا التصرف يؤدي إلىٰ إيجاد مثل هذه الحالة لدىٰ الطفل، أو قد يؤدي إلىٰ غرس هذه الحالة فيه مدىٰ العمر.

وعلىٰ العموم فإن إثارة آلة التناسل لا تتطلب التقدم في السن. فقد أكدت بعض التحقيقات وجود هذه الإثارة عند الأطفال بين سن ٣ أسابيع إلىٰ ٣٠ أسبوعاً، وكلما كبر الطفل ازدادت نسبة الإثارة لديه.

ج ـ العوامل النفسية:

هناك عوامل كثيرة يمكن الإشارة إليها في هذا السياق، ونقتصر فيما يلي علىٰ ذكر بعض منها :

١ ـ الاضطرابات النفسية لدىٰ المراهقين والأطفال هي من العلل التي تجعلهم يتّجهون إلىٰ المداعبة الذاتية. وربما تكون هذه من الأسباب المهمة التي نراها لدىٰ المجانين والمختلّين عقلياً، والتي تسبب لهم التمسك بهذه العادة. فأنتم تعلمون بشيوع هذه العادة علىٰ نطاق واسع بين أفراد هذه الفئة.

٢ ـ حب الاستطلاع والاكتشاف عند الأطفال يؤدي أيضاً إلىٰ قيامهم بما من شأنه التعرف علىٰ الفوارق بين عالم وعالم الجنس الآخر، أو تصبح لديهم حساسيّة تجاه أعضائهم، وبعد قيامهم بالمداعبة يتوصّلون إلىٰ اكتشاف ما في هذا الحقل.

٣ ـ محاولة الطفل أو المراهق التأكد من عدم زوال أو تلف مصدر لذّته، وهذا غالباً ما يحدث ما يسمعه وما يراه الأطفال. فالطفل يسمع بكثير من المسائل بشأن حياة الرجال والنساء أو قد يرىٰ ذلك بعينه، فيقوم بعملية اختبار للتأكد من ذاته.

٤ ـ الرغبة في اللعب والانشغال من خصائص حياة الطفل. فلو توفّرت له فرصة التسلية الصحيحة لانشغل بها وإلا فسيتّجه إلىٰ الانشغال بذاته. وعلىٰ أيّة حال فمن المهم بالنسبة لهم أن تكون أيديهم وأعضاؤهم مشغولة علىٰ الدوام.

٥ ـ أساليب المنع والتهديد المتكررة عن أمر ما، تدفع الطفل إلىٰ الاهتمام به أكثر فأكثر ليدرك السر الكامن وراء ذلك، خاصة إذا كان منع الوالدين مصحوباً بالاضطراب والتحمّس والقلق الواضح.

٦ ـ شعور الطفل بالوحدة والعزلة، وعدم وجود مَن يهتم به، أو شعوره بأنّه خارج نطاق العائلة أو زائد عليها، وبالنتيجة يرىٰ نفسه محروماً من العطف والحنان حيث يكون للعاطفة دورها من أحد جوانب القضية، إذ تتهيّأ حينذاك مستلزمات الانحراف والشذوذ، ويدفع الطفل والمراهق إلىٰ التطلع في ذاته وممارسة العمل المنحرف مع ذاته.

د ـ العوامل العاطفية:

لا يمكن تصور الجانب العاطفي قضية سهلة أو ليس لها تلك الأهمية. فتأثير الجانب العاطفي مهم جداً في صياغة السلوك ومن جملة ذلك، تأثيرهُ في إيجاد الانحراف. ولو تمّت دراسة الاستمناء لدىٰ الأطفال من هذه الزاوية لما وجدناه إلا تعبيراً عن محاولة تحرير الذات من الصراعات الداخلية والاضطرابات النفسية، وسنشير فيما يلي إلىٰ بعض تلك الحالات:

١ ـ شعور الأطفال والمراهقين بالحرمان هو من أسباب اللجوء إلىٰ

الاستمناء والانحراف، وهذه الظاهرة موجودة خاصة عند المحرومين من العطف والحنان وبالخصوص حنان الأم.

٢ ـ القلق والاضطراب الذي يعاني منه الأطفال يُعتبر من الدوافع التي إذا تعرّض لها المرء فإنه يضطر إلىٰ البحث عمّا يسكّنها، خصوصاً إذا كانت له سابقة في اللجوء إلىٰ هذا العمل مسبقاً، فإنهم يتّجهون إليه ويفرطون في ممارسته.

٣ ـ أنواع المحبّة الخاطئة التي تمارسها المربّية أو الممرضة في اللعب بالجهاز التناسلي للطفل.

٤ ـ التخلص من العُقد التي يُعاني منها الإنسان ولا سيما عقدة الحقارة التي تدفع الإنسان للإقدام علىٰ هذا العمل للتعويض عن معاناته الداخلية وتقويمها، أو للتغلب علىٰ هذه العقدة في بعض الأحيان.

٥ ـ الانخداع بسبب هيمنة المشاعر والعواطف.

و ـ العوامل الاجتماعية:

هناك عوامل اجتماعية كثيرة تؤدي إلىٰ الاستمناء، نذكر هنا بعضاً منها كالآتي:

١ ـ بعض أنواع اللعب بين الأطفال تخلق عندهم حالة من الإثارة التي يعقبها حدوث الانحراف، مثل لعبة الحمل علىٰ الظهر حيث يصعد الأطفال بعضهم علىٰ أكتاف البعض و...

٢ ـ النظر إلىٰ علاقات الآخرين وحتّىٰ إلىٰ الحيوانات، فهذا يترك أثراً سلبياً لدىٰ الأشخاص. فمن الممكن أن يشتمل هذا الأمر علىٰ مخاطر كبيرة وخاصة لمن يدرك الفوارق الموجودة بين عالمي المرأة والرجل، ولا سيما المراهقين والبالغين حيث أنهم يحاولون تقليد ما يشاهدون.

٣ ـ رؤية الصور المبتذلة والمثيرة هي من عوامل الانحراف أيضاً، أو علىٰ أقل تقدير تكون سبباً في توجيه الأفراد نحو الأفعال الرديئة. ولذلك فمن الأفضل البحث عن أسباب الانحراف في المحيط بدل البحث عنها في الأشخاص.

٤ ـ سماع القصص ذات المؤثرات التربوية السيّئة والمحفّزة علىٰ الوقاحة وسوء الخلق لها تأثير أيضاً في هذا الجانب، كما يحصل عندما تقومون بتحليل التصرفات السيّئة لأحد الأشخاص، فإن المستمع سيتأثر بذلك بشكل غير مباشر.

ي ـ العوامل الأخرىٰ:

من العوامل الأخرىٰ في هذا المضمار يمكن الإشارة إلىٰ عدة أمور تلعب دوراً مباشراً أو غير مباشر في إيجاد الإثارة الجنسية مثل الاستحمام مع التعرّي الكامل وفي معزل عن الآخرين، والثياب غير المناسبة، وفراش النوم الناعم جداً، الغرف المزيّنة بالنسبة للمراهقين، امتلاء الأكياس المنوية للبالغ العادي أو البالغ المبكّر، الاستطلاع الكثير والتدقيق في الحياة الخاصّة للنساء والرجال و. . .

وفي بعض الحالات تحصل الإثارة من خلال: نوم الطفل بالسروال الداخلي فقط وهذا ينطبق أيضاً علىٰ المراهقين والبالغين حديثاً، إذ يؤدي ذلك إلىٰ احتكاك الرجلين مع بعضهما. وكذلك تشغيل ماكنة الخياطة بالرجل بالنسبة للفتيات المراهقات، وأنواع الاحتكاك الأخرىٰ المؤدية إلىٰ مثل هذه النتيجة.

حالات الإفراط والمبالغة:

يحدث أحياناً ازدياد في حدّة هذا العمل لدىٰ الأشخاص، أو يحدث

لديهم إفراط في استخدام هذه العادة، ويمكن تلخيص تلك الحالات بما يلي:

- في الحالات التي تضغط فيها المؤثرات النفسية علىٰ الطفل وتدفعه إلىٰ الإشباع الجنسي الفوري. وهذا ما يسمّيه فرويد بالاستمناء الاضطراري.

- في أوقات الامتحان حيث يزداد قلق الطفل فيلجأ إلىٰ إخماد قلقه.

- في الحالات التي يتصف فيها الأطفال بالخجل والحياء المفرط ولا يتفاعلون مع الآخرين.

- في الأوقات التي يتعرض فيها الشخص لحالة الهستريا (ينبغي مراجعة كتب علم النفس بهذا الخصوص).

- عندما يكون الشخص وحيداً، ويشعر بالعذاب والألم من جَرّاء هذه الوحدة.

- الخداع الجنسي الذي يقع فيه الأطفال قد يؤدي إلىٰ الاستمناء أيضاً، فالأطفال الذين يقعون فريسة للآخرين، يقومون فيما بعد بإشباع أنفسهم عن طريق أنفسهم.

- ينشأ الإفراط في الاستمناء أحياناً بسبب العادة، أو التلوّث البدني، والختان غير الصحيح، وشدة الحرمان و...، حيث ينبغي في مثل هذه الحالات رعاية الجوانب الوقائية والعلاجية.

الفصل الثالث

أضرار الاستمناء

مقـدّمـــة:

قلنا: إن المظاهر الجنسية تبرز في فترة الطفولة عند إثارة مواطن الشهوة، والهدف من ذلك نيل اللذة الجنسية. وهذه الرغبة تختلف كلياً مع ما هو موجود في سن البلوغ، بسبب ما لهذه الرغبة من صورة مستقلة وحقيقية في مرحلة البلوغ.

ظهور الميول الجنسية عند الأطفال يتبعه ظهور أعراض مختلفة من جملتها ظاهرة الإشباع الذاتي. وقد طرحت آراء ووجهات نظر مختلفة بشأن الآثار الناتجة عن هذه الظاهرة، نشير فيما يلي إلىٰ جزء منها:

يعتبر البعضُ استمناء الأطفال ظاهرة عادية لا ضرر فيها ولا تختلف كثيراً عن ظاهرة مص الأصابع، بل حتّىٰ أنهم اعتبروها ممهّداً أو شاهداً أو مؤشّراً علىٰ النضوج. ويعتقدون بأنها ستمر وتنتهي، شأنها في ذلك شأن بقية المراحل والظواهر، لذا فهم يعدّونها قضية عادية لا تخلف أيّة آثار سيّئة. ومن الناحية الأخلاقية أيضاً لا يحسبونها أمراً قبيحاً، ويشيرون فقط إلىٰ أنها لو تجاوزت حدّاً معيّناً، فإنّها تتخذ طابعاً غير عادي وتشير إلىٰ وجود آختلال نفسي عميق.

وطرح آخرون بشأنها آراءً مغايرة، وقالوا بضرورة إزالتها من الطفل والسعي لإصلاحه وتقويمه لأنها إن تُركت وشأنها فسوف تخلّف آثاراً شديدة

الضرر علىٰ الطفل، ويعتبرون استمناء الأطفال مسألة عير عادية ولا طبيعية، ووجودها يعكس حالة اضطراب داخلي شديد. ورغم تأكيدات الآخرين على عدم ضررها، فهم يؤكدون علىٰ خطورتها وفداحة الأضرار المترتبة عليها.

رأي الإسلام في هذا الصدد:

الشريعة الإسلامية المقدسة التي أنزلها ربّ العباد وصانع البشر أعتبرت الاستمناء حراماً واتخذت موقفاً معارضاً له. وقد عبّرت المفاهيم الإسلامية عن الاستمناء بأنه مثل نكاح النفس، وهو أمر منهي عنه. وقد أشار القرآن الكريم بأن كل مَن يقضي شهوته مع غير زوجته فهو من المعتدين. وقال رسول الله ﷺ: «إن كل مَن يقضي شهوته بيده فسيناله غضب الله» وقال أيضاً: «إن ذلك ذنب كبير».

وصفت بعض الروايات الاستمناء بأنّه ذنب مثل الزنا مع وجود الفارق وهو بأن للزنا حدّاً معلوماً، ومرتكب الاستمناء يستحق التعزير. قال الإمام الصادق (ع): إن مثل هذا الشخص لا ينظر الله إليه بعين الرحمة. والنقطة التي يجب الإشارة إليها هنا هي أن الله جل شأنه ما أراد بهذا النهي والتحريم منع الإنسان من لذّة مشروعة، وهذا الشعور باللذة لا حسد عليه!! بل إن الله حكيم ويريد بالناس خيراً، وفي هذا النهي مصلحة للإنسان ونفع للإنسانية، وإنما نهىٰ عن ذلك لعلمه بالأضرار التي يخلّفها هذا العمل الذي يبدو في ظاهره مصدراً للشعور باللذة، فالله الذي خلق اللذّات الأساسية أراد منها أن تتوجه إلىٰ العلاقات العائلية.

أضرار الاستمناء:

الاستمناء عند الطفل والمراهق وكذلك الشاب وكبير السن يسبب لهم أضراراً تعكسها لنا آثار وكتابات العلماء وحتّىٰ المدافعين عنه بشكل أو آخر من أولئك العلماء. ونحن نطرح فيما يلي مقاطع من تلك الآراء

ووجهات النظر.

أ ـ في الجانب الحياتي:

ذكرت في هذا الجانب أضرار ومخاطر نشير إلىٰ أكثرها أهمية فيما يلي:

ـ ظهور فقر الدم نتيجة الإثارة المصطنعة والمستمرّة للعضو التناسلي.

ـ بروز وتضخم غدد الوذي في الإنسان.

ـ تورّم قناة النطفة.

ـ تورم الجزء الأخير والخلفي من المجاري البولية.

ـ تحلل الكثير من خلايا فقرات الظهر، بسبب مواصلة هذه العادة، وهذا ما يجعل الشخص فيما بعد عرضة للعجز الجنسي.

ـ هبوط وضعف الطاقة الجسمية للشخص.

ـ توفير ظروف الشعور بالتعب لدىٰ الشخص وحصول الارتخاء بعد الانتهاء من ارتكاب الفعل.

ـ ارتخاء العضلات التناسلية بالشكل الذي يصعب معه السيطرة علىٰ المني والإدرار.

ـ إيجاد الذبول واصفرار اللون لدىٰ الإنسان بحيث يبدو شاحب الوجه.

ـ حصول تغييرات في مراكز العمود الفقري والأعضاء التي لم تكتمل إلىٰ الآن.

ـ حصول اضطراب في العادة الشهرية لدىٰ الفتيات في السنين اللاحقة وفترة البلوغ.

ـ شعور بالألم لدىٰ الفتيات في سنوات البلوغ أثناء حصول النزيف الدموي والعادة الشهرية.

- حصول إفرازات من القيح من الأجهزة التناسلية للفتيات.

- إيجاد كثرة الدم في العضو التناسلي بسبب كثرة الاستثارة وعدم الاهتمام بالصحة الجنسية.

- ظهور ألم في الرأس والشعور بالدوار، والشعور بوجود صفير في الأذنين و...

- خطورة زوال غشاء البكارة لدىٰ الفتيات بسبب كثرة المداعبة.

- الإجهاد العصبي وتلف الجهاز العصبي.

ب - في الجانب النفسي:

أشاروا أيضاً إلىٰ مضار الاستمناء في الجانب النفسي، ولا يمكننا التوسع في شرحها خلال بحثنا هذا، لذا فإننا نكتفي بالإشارة إلىٰ عدد من تلك النقاط رعاية للاختصار:

- الإثارة الجنسية الناتجة عن الاستمناء لا يمكن الاستهانة بها، فهي تترك آثاراً وخيمة علىٰ الأعصاب.

- إذا كان الاستمناء بدون إنزال - كما يحصل لبعض الأشخاص أحياناً - سيؤدّي إلىٰ الشعور بالحرمان الجسدي والروحي، وهذا يؤدي بدوره إلىٰ ظهور بعض الآثار الأخرىٰ.

- ينتج عن ممارسة هذه العادة انفعالات واضطرابات خلقية تحدث للشخص بصورة مستمرة مثل: الكآبة، والغم، وقلة النوم، وانسداد الشهية، وعدم القدرة علىٰ إنجاز الواجبات اليومية.

- الشعور بعدم الرضا، وما يتبعه من تشاؤم هي من الأعراض الأخرىٰ لتلك الآثار.

- ضعف الإرادة وعدم القدرة علىٰ اتّخاذ القرار بحيث يصبح الشخص

كالعبد المطيع» وكذلك يعتريه صراع داخلي عنيف.

ـ قلة التحمل، والخمول والضعف والحساسية الشديدة في قبال الضوء، والصوت وأمثال ذلك.

ـ الأطفال الذين يمارسون الاستمناء يتّصفون علىٰ الغالب بعدم المبالاة، وقلة الجرأة والجبن ويفضلون الانطوائية والعزلة.

ـ الرغبة في الاستمناء تؤدي إلىٰ إغماض الطفل عن لذّة أفضل وأدوم، والاقتناع بها وحدها.

ـ سرعة الغضب والحساسية وعدم الارتياح من أدنىٰ أشكال التعامل مع الآخرين، هي من المظاهر والانعكاسات الأخرىٰ لهذه العادة.

ـ يؤدي الاستمناء إلىٰ انعدام السيطرة علىٰ النفس، وفقدان زمام الاختيار بحيث لا يستطيع الشخص السيطرة علىٰ ذاته.

ـ ظهور ردود فعل وهمية وخيالية والشكوىٰ من آلام في المعدة وضعف في حاسة البصر، هي من الآثار الأخرىٰ لهذه العادة.

ـ الهلع والخوف الذي يسود الشخص حين ممارسته لهذه العادة خشية اكتشافه وافتضاح أمره، وهذا يؤدي إلىٰ قلّة الثقة بالنفس.

ـ توبيخ الذات بسبب ارتكابها للذنب هو عامل آخر يثير فيه القلق ويحطّم شخصيّته.

ـ الشعور باللذة والارتياح، وما يعقبه من شعور بالذنب يدفع الشخص نحو اللامبالاة والاستهانة بالأمور.

ـ خشية الفتيات من ذهابِ البكارة يثير فيهن الاضطراب، ويشعرن في الوقت نفسه بعدم القدرة علىٰ ترك هذه العادة والتخلّص منها.

ـ ممارسة الاستمناء في المرحلة الابتدائية وهي فترة الشبات الهورموني وحتّىٰ في مراحل المراهقة، تحدث تغييرات وأضرار علىٰ الوضع النفسي

للأفراد تبقىٰ ملازمة لهم لمدّة طويلة.

ج ـ الأضرار الاجتماعية:

يخلّف الاستمناء لدىٰ الأطفال والمراهقين آثاراً اجتماعية كثيرة، نشير فيما يلي إلىٰ عدد منها علىٰ سبيل المثال:

ـ يحدث الاستمناء لدىٰ الأشخاص شعوراً بالهروب من المجتمع، يتأصل فيه نتيجة التكرار والإفراط في هذا العمل. فيعتزل في زاوية يجتر الأفكار البعيدة والخيالات المبهمة ويفكر بعالم مجهول ومستقبل غامض.

ـ الابتعاد عن الهدف الأصلي من وجود الغريزة الجنسية ألا وهو الزواج، ويقتنع الأشخاص بما هُم منشغلين به حالياً. وهذا الأمر بالإضافة إلىٰ ما فيه من أضرار نفسية وجسدية يؤدي إلىٰ اختلال النظام الاجتماعي.

ـ الشعور بعدم الكفاءة في الحياة الاجتماعية، وسوء الظن بالآخرين، والشعور بالحسد إزاء أولئك الذين يمتازون بالحياة الاجتماعية النشطة. وهذه من السلبيات المريرة التي يعقبها نتائج وآثار سيّئة.

ـ البرود في العلاقات الزوجية اللاحقة، وعدم الشعور بالإشباع والقناعة، وهذا مصدر للكثير من اختلافات الزوجين. وهو أكثر ما يحدث بالنسبة للأشخاص الذين كانوا يمارسون هذه العادة قبل الزواج. وهذه الظاهرة أكثر انتشاراً في زماننا الحالي.

ـ الاهتمام باللذة الشخصية يسبب فتور وضعف العلاقات الاجتماعية، ويعرض الحياة الاجتماعية للخطر. فبالإضافة إلىٰ رغبة الشخص بالانزواء والعزلة، نراه قليل التفاعل أيضاً مع الناس في ميدان الحياة الاجتماعية، ولا يشعر بالارتياح واللذة في ظل الحياة الاجتماعية.

ـ الشخصية الاجتماعية والإنسانية لمثل هؤلاء الأشخاص تهتز تدريجياً، وتسوء يوماً بعد يوم، ولذا فأضرارها لا يستهان بها في هذا الجانب.

د ـ أضراره علىٰ المخ ومراكز الأعصاب:

لا نعتقد أن الاستمناء يؤدي إلىٰ الجنون أو الأمراض الخطيرة الأخرىٰ، بل نعتقد وكما يتوهم بعض المدّعين بأنّه أيضاً ليس بالأمر الطبيعي الذي لا يحمل أيّة خطورة. فهو يترك آثاراً وأعراضاً علىٰ الشخص لا بُد وأنكم شاهدتم بعضاً منها، أما آثاره علىٰ المخ والمراكز العصبية فهي واضحة للعيان أيضاً:

ـ الاستمناء يصيب المراكز العصبية بالحساسية والضعف، وهذا بذاته يسبب أضراراً لاحقة.

ـ البحث عن ذريعة أو فكرة للاستمناء يُتعب مراكز الإثارة ويضعفها ويؤدي إلىٰ ضعف الأعصاب (بالنسبة للمراهقين والشباب).

ـ الإشباع الجنسي غير التام ومن ثم الندم علىٰ العمل يسبب الضعف النفسي لدىٰ الأشخاص.

ـ المسكّنات الحالية تؤدي بالتدريج إلىٰ طلب المزيد في هذا الجانب، وتقلل من سعة الاستقرار النفسي، وبشكل عام يترك الاستمناء، وخاصة فيما يتعلق بالإثارة الشديدة، آثاراً سلبية علىٰ الجهاز العصبي ويعرضه للاختلال. هذا الضعف وهذه الآثار السلبية سيكون لها انعكاساتها السلبية علىٰ الجسم فيما بعد.

هـ ـ الآثار اللاحقة الأخرىٰ:

هناك آثار أخرىٰ تستوجب الإشارة إليها في هذا المجال، وهي كثيرة، لكننا نشير إلىٰ بعض منها ومن جملتها:

ـ فقدان لذّة الجماع أثناء الزواج.

ـ هيمنة الخمول والارتخاء علىٰ الأشخاص المفرطين في هذه العادة.

ـ الاحتلام المتكرر هو من مظاهر الاستمناء، وهو ما لا يلاحظ عند الشخص السالم والطبيعي.

ـ ظهور الإجهاد العصبي والعضلي بحيث لا يمكن تسكين الأعصاب، والظاهر علىٰ الشخص هو النحول الدائم.

ـ الإثارة الجنسية التي يوجدها الزواج لا تجد نفس الفاعلية لدىٰ الفتيات اللواتي يمارسن هذه العادة، ويظهر لديها برود ونفور من الزوج.

ـ التخيّلات الغرامية التي يتعرض لها الشخص أحياناً تُحدث لديه الإنزال بدون أن يكون قاصداً لذلك بنفسه.

ـ هناك اضطرابات تظهر علىٰ أثر الاستمناء وهي عبارة عن: ارتخاء الأعصاب، وخلل في حاسة السمع، وضعف في الجهاز البصري، ودوار.

ـ الإنزال المبكر والسريع حتىٰ إلىٰ جوار الزوجة وأثناء الجماع، وهذا ما يعرّض العلاقات الصحيحة للخطر.

ـ المصابين بعادة الاستمناء يفكّرون بذاتهم فقط ولا يفكّرون بإشباع الزوجة.

ـ فقدان القوة والطاقة التناسلية بالتدريج هي من المظاهر الأخرىٰ لهذه العادة الخطيرة.

ـ الاستثارة الشديدة للمراكز الجنسية في النخاع، تتم بالمؤثرات المهيّجة فقط بدون وجود الاستعداد الجنسي.

ـ بقاء الشخص بعيداً عن المسألة الأصلية بسبب وجود عامل يسهل الوصول إليه.

ووفقاً لما جاء في كتاب (العجز الجنسي)، فإن الاستمناء يصيب الأشخاص بضعف القوىٰ الشهوانية ويؤدي بهم إلىٰ الخمول ويوهِنُ فيهم قوّة العزيمة ويعرّضهم للإصابة بمرض جنون الاستمناء وهو ما يشبه الساديّة.

الإفراط في الاستمناء:

مما يتّفق عليه الجميع أن الإفراط في الاستمناء يؤدي إلىٰ الضعف والذبول والتشنّج. ويترك علىٰ القوىٰ النفسية آثاراً سلبية. الإفراط في ممارسة الاستمناء في مرحلة الطفولة يجعل الطفل مستعداً لممارسة الشذوذ الجنسي في المراحل اللاحقة، وهو ما يشكل خطراً آخر. ومن أعراضه الأخرىٰ ضعف الجهاز التناسلي إلىٰ الحد الذي يجعل الشخص غير قادر علىٰ الجماع في بعض الأحيان في الفترات اللاحقة. وهذه يخلق بدوره اختلافات ومشاكل متعددة. كوهن الإرادة، وازدياد الضغط النفسي، والصداع، والشعور بوجود الضوضاء والصفير في الأذنين، وذبول فيهما، هذه كلها من المظاهر البادية للعيان.

إن استمرار هذا الأسلوب، يوجد في الشخص رغبة لا يمكن إشباعها وظمأً لا يروىٰ بحيث لا يقر له قرار حتّىٰ إلىٰ جانب زوجته. ورغم أنّها تشكل لدىٰ الطفل عادة قذرة، إذ ليس لها أيّة صورة جنسية إلاّ أنها تخلّف ردود فعل سلبية عليهم فيما بعد.

الفصل الرابع

الوقاية

يجب أن يُوضع بناء حياة ونمو الطفل علىٰ أسس بحيث لا يتعرض معها إلىٰ أيّة ابتلاءات أو أمراض، وهذا مبدأ منطقي وعقلاني. فمن الخطأ جداً أن يتّبع بعض الناس أسلوباً يتركون فيه الطفل وشأنهُ كما تنمو الأعشاب الضارة، وعندما يظهر عليه التلوّث والفساد يبادرون حينذاك إلىٰ علاجه.

ونحن نواجه مع الأسف الشديد الكثير من العوائل والمسؤولين التربويين الذين ينتهجون مثل هذا الأسلوب. فهم ـ ونتيجة للتساهل أو الجهل ـ يسلكون سبيلاً نهايتها غير سارّة. فلو كانت التربية منذ بدايتها مصحوبة بالانتباه والمراقبة فستكون المشاكل اللاحقة أقل وأيسر.

فالقسم الأعظم من المجهود الطبيّ والصحيّ ينصب علىٰ الجانب الوقائي. وجميع التعاليم الإسلامية في الجانب التربوي والأخلاقي تؤكد علىٰ الأب والأم بضرورة رعاية تصرفاتهما وخاصّة أثناء حضور الأبناء، وتؤكد أيضاً أهمية وجود العلاقة السليمة للأبوين مع الطفل وضرورة مراقبته ومتابعته كالظل من أجل أن لا يتعرّض لمثل هذه المشاكل والابتلاءات.

الإجراءات الوقائية من الاستمناء:

تُعتبر مسألة الاستمناء من أحد جوانبها مسألة اكتشاف، وربما يبدو عدم وجود دور للوالدين في الوقاية منها، ولكنا لو تأمّلنا جيداً لوجدنا أنّها ترتبط إلىٰ حد بعيد بأسلوب وكيفية مراقبة الوالدين لأبنائهم. إذ أن حالات الاكتشاف

والتلوث تتم غالباً في الخفاء وبعيداً عن الأنظار، ولو أن الآباء والأمهات شدّدوا الرقابة علىٰ أماكن الخلوة، وكرروا عليها المداهمة والرصد فستُحل المسألة إلىٰ حد ما.

وبالإضافة إلىٰ قضية الاكتشاف والجوانب الحياتية الأخرىٰ، هناك مسائل أخرىٰ تتعلق بها ولها صفة اجتماعية وتربوية، ولهذا السبب يجب إخضاع عوامل التلوّث تلك للرقابة والإشراف. علينا مراقبة الطفل لو كان وحده ماذا يفعل؟ ومَن هم الذين يخالطهم؟ وفي أيّ مرحلة من العمر أولئك الأشخاص الذين يتعلّم منهم درس السلوك والأخلاق؟ ولمَن يبيح الطفل سرّه؟ ومَن الذي يبيح له بسرّه؟ وهل أن علاقة الزوجين معرّضة لأن يراها الطفل، أم أنها بعيدة عن ناظريه؟ و...

الرقابة اللازمة:

من الضروري قيام الوالدين والمربين بالرقابة اللازمة من أجل الحفاظ علىٰ سلامة الطفل ووقايته من المخاطر التي تهدده. ويشتمل القسم الأعظم من هذه الرقابة ـ وخاصّة فيما يتعلق بهذا الجانب ـ علىٰ الموارد التالية:

١ ـ مراقبة النظافة والجانب الصحّي:

تغسيل الأطفال بعد التغوّط، ومراقبة جوانبه الصحية في فترة الطفولة يُعتبر عاملاً مهماً وأساسياً في الوقاية من بروز وحدوث هذا الخطر. يجب غسل الطفل بالماء الدافىء وعدم ترك القاذورات علىٰ بدنه، لأن ذلك يسبب له الحكّة والالتهاب، والتي تؤدي بدورها إلىٰ حصول المداعبة. ومن المناسب هنا الإشارة إلىٰ ضرورة أن تكون وسائل النوم والاستراحة، والكيس والليفة والأسفنج والمنشفة الخاصة بالطفل معزولة عن أدوات غيره.

٢ ـ معالجة وجود الديدان:

قلنا إن وجود الحكّة في الجهاز التناسلي الناتجة عن وجود الديدان قد تكون سبباً في بعض الأحيان لحدوث انزلاقات من هذا القبيل. ولهذا فمن

الضروري أن يسارع الوالدان إلىٰ معالجتها عند ظهور أدنىٰ الآثار الدالة علىٰ ذلك. وفي الحالات التي تظهر فيها مؤشرات الاستمناء عند الطفل، يجب المبادرة إلىٰ تحليل غائطه للكشف عن احتمال وجود الديدان. وإذا شاهدنا عدم زوال الحكّة نراجع الطبيب لهذا الغرض.

٣ ـ الملاحظة المستمرة لثيابه:

وخاصة الألبسة الداخلية مثل السروال وثياب النوم: إذ يفترض ألّا تكون ضيّقة ولاصقة، ولا تكون شديدة النعومة والخشونة ولا من نوع الأقمشة المعالجة بالنِشاء، ولا تكون من الأقمشة التي إن تعرّق فيها الطفل تبتلُّ وتتيبّس و. . .

٤ ـ إشباع الطفل بالمحبّة والحنان:

أقيموا أساس حياة الطفل علىٰ المحبّة له. يجب أن يشعر الطفل بأنه موضع محبّة وحنان الوالدين، وأنّهما يحبّانه ولن يتخلّيا عنه بأي شكل من الأشكال. وينبغي أن يتلقىٰ الطفل هذه المحبّة ويشعر بها عن طريق الطعام والثياب واهتمامات الوالدين الأخرىٰ. يجب أن يمتلىء قلبه بمشاعر حب والديه له.

٥ ـ الشعور بالحماية:

يجب أن يشعر الطفل ـ من خلال حبكم له واهتمامكم به ـ بوجود مَن يحميه ويسانده. وإن هو تورّط في قضية ما، فإن أباه وأمه يدافعان عنه ويسندان ظهره. وإن ظلمه زميله فإنهما سيقفان إلىٰ جانبه. وهذا الاطمئنان القلبي سبب لاستقراره وسكونه وتكون النتيجة قلّة اهتمامه بالبحث عمّا يسكّن به اضطرابه كالمداعبة وغيرها.

٦ ـ مراقبة أماكن النوم والاستراحة:

يجب مراقبة نومه أيضاً بحيث يكون في الوقت المناسب، فما دام غير تعبان وغير مستعد للنوم يجب أن لا يذهب إلىٰ منامه. وحين النوم يجب عدم وضع رأسه تحت الغطاء، ويداه أيضاً ينبغي أن تكونا خارج الغطاء، ويكون

نومه علىٰ الظهر لا علىٰ الوجه، والنهوض من النوم حال اليقظة ولا يبقىٰ يتمرّغ فيه أو يبقىٰ متكئاً علىٰ الوسادة.

٧ ـ مراقبة تغوّطه وإدراره:

فلا يجب حبس الإدرار في بدنه وكذلك الغائط. فحبس الإدرار وخاصة لدىٰ البنات يؤدي إلىٰ إيجاد الإثارة بالإضافة إلىٰ التواء عنق الرحم، ويجب أن يعتاد علىٰ الذهاب إلىٰ المرافق حين إحساسه بالحاجة إلىٰ ذلك، ولا يتأخّر فيه طويلاً، وفي منتصف الليل إذا استيقظ الأب أو الأم يأخذانه إلىٰ المرافق الصحيّة أيضاً، خاصة إذا كان قد تناول في تلك الليلة طعاماً يحتوي علىٰ نسبة عالية من السوائل.

٨ ـ منعه من المداعبة:

يجب علىٰ الوالدين والمربين مراقبة الطفل لكي لا يقوم بمداعبة ذاته واللعب بأجهزته التناسلية. وإن كانت يده مشغولة باللعب يجب منعه عن ذلك بلطف وتذكيره بسوء هذا العمل، فيقولون له: إن بابا لا يحب أن تلمس أعضاءك، وماما تكره ذلك و. . .

٩ ـ الوقاية من اللمس:

اختلاط الأطفال ينبغي أن يخضع للرقابة والإشراف. ففي السنوات المبكّرة لا يُعزل الأولاد عن البنات. ولكن حين بلوغ سن التمييز يصبح من الضروري إجراء عملية العزل في الاختلاط والنوم في غير المحيط العائلي. وكذلك في اللمس فهناك قضية مهمة وهي أن لا ينام الطفل بسروال قصير لأن لمس فخذيه ورجليه العاريتين أمر غير صحيح.

١٠ ـ ملاحظة ملاعبة الأبوين للأطفال:

ملاعبة الأمهات ومناغاتهن لأطفالهن يجب أن تخضع للضوابط الصحيحة. فمداعبة جوانب الأجهزة التناسلية للطفل ـ حتّىٰ وإن كان صغيراً جداً ـ تشكل قضية ذات خطورة عليه. فهو اليوم يلتذ بها، وغداً يتورط بها، ويصبح أسيراً لها. وعندما تنغرس هذه اللذة في نفسه فمن غير الممكن بالنسبة

له تركها والتخلي عنها.

ب ـ ما ينبغي اجتنابه:

إن الوقاية من العوامل المؤدية إلىٰ الانحراف، تتطلب الامتناع بشدّة عن ممارسة بعض الأفعال والتصرّفات. وفي هذا السياق ينبغي الإشارة إلىٰ عدد من النقاط الأساسية وبالترتيب التالي:

١ ـ **الإثارة**: يجب إبعاد الطفل والمراهق عن جميع عوامل الإثارة؛ إذ قد يكون عامل الإثارة هو اللمس أو عامل المشاهدة أو السماع، قد سبق لنا وأن بحثنا ذلك بالتفصيل في الأبواب السابقة ومن الضروري مراجعتها.

٢ ـ **القلق والاضطراب**: عليكم بالمحافظة علىٰ الجو الذي يعيش فيه الطفل بعيداً عن جميع أنواع القلق والاضطراب والتشويش. ففي الأوقات التي يستولي فيها عليهم القلق نراهم ينطوون علىٰ ذاتهم وينشغلون بأنفسهم، ويبحثون عن طريق الخلاص في أنفسهم. وقد لاحظتم بعض الأطفال عندما يقلقون فإنهم يقومون باللعب بأيديهم أو بأعضائهم الأخرىٰ. وقد يكون ذلك مقدّمة للانزلاق.

٣ ـ **الأمان الفكري والنفسي**: لا تَدَعوا إبنكم ينام مطلقاً وهو مغموم. إن كنتم قد عاقبتموه، حاولوا من بعد ذلك إرضاءه وتهدءته. وإن كنتم قد وعدتموه بالعقوبة وبقيت معلّقة بين التنفيذ أو العفو عنه، فيجب طمأنة خاطره من هذا الباب لكي ينام وهو مرتاح. فانعدام الأمان الفكري والنفسي يترك آثاراً سلبية علىٰ الطفل، تتجلىٰ مظاهرها في هذا التلوث الذي نراه عند البعض منهم.

٤ ـ **مراقبة الطفل في الخلوات**: يبحث الأطفال عن أماكن خالية ومنعزلة ليلعبوا فيها. وهذا الأمر لا ضير فيه، لكن الأماكن الخالية يجب أن لا تبقىٰ بعيدة عن أنظاركم؛ إذ يتطلب الحال مروركم عليها، وتفقّدها بين الحين

والآخر، لكي تفوّتوا عليهم فرصة الاختلاء وبذرائع مختلفة، ويجب أن لا يتخذ عملكم، طبعاً، صورة التدخل لكي تشاهدوا الطفل ماذا يعمل في خلوته؟

٦ ـ ملاحظة أخلاق الأصدقاء: يجب تحذيره وإبعاده عن مخالطة الآخرين الذين لم يتضح وضعهم الأخلاقي والتربوي. لقد لاحظنا تلوّث بعض الأطفال بسبب علاقاتهم بأفراد مجهولي الحال. إننا نلاحظ في حياتنا اليومية بعض هؤلاء الملوّثين والسائبين في الشوارع والأزقة يلعبون مع بقية الأطفال من أجل إشباع شهوتهم ومن خلال ما يمارسونه معهم من الشذوذ الجنسي والاعتداء علىٰ الأطفال، فيزرعون في قلبه بذور الاستمناء، وهذه القضية علىٰ درجة من الخطورة لا يجوز معها التغاضي عنها.

٦ ـ مراقبة الغسل والاستحمام: ذكرنا وجوب غسل الطفل بعد التغوّط، إلّا أننا يجب أن ننتبه إلىٰ وجود فوارق بين الغسل والمداعبة. إذ يجب مراعاة الدقّة عند غسله وفركه بالصابون وعند تنشيف جسمه... فاستحمام الأطفال وخاصة المراهقين يجب أن لا يكون بمفردهم دائماً، لا سيما إذا كان هناك شعور بوجود الانحراف لديهم. فأجواء الوحدة والتعرّي والاختلاء مناسبة للانحراف.

جوانب اُخرىٰ تسترعي الاهتمام:

١ ـ تقوية إرادة الطفل: بحيث يسير في هذا الطريق ـ بل وأساساً في مسار حياته العامّة ـ بعزم ثابت ولا يسقط في المنزلقات. فبعض أنواع التلوّث تحدث للطفل بسبب عدم قدرة الطفل علىٰ تدبير نفسه وصيانة شرفه. وفقدان قوّة الإرادة يسلب الطفل القدرة علىٰ مواجهة الإغراءات.

٢ ـ التوعية: يجب توعية الطفل إلىٰ نوعية الأشخاص الذين يخالطهم. وكيف يكون في معاشرة الآخرين. وعلىٰ الطفل أن يفهم أيضاً قبح مداعبة أعضائه، وليس من حق الآخرين أيضاً أن يلعبوا معه بشكل غير لائق، وأن

عليه الابتعاد عن كثير من التصرفات، ويشعر بوجود شخصية له. وعليه أن يدرك كذلك أن الآخرين عند معاشرتهم له قد يقصدون خداعه، وعليه أن يعي ذلك ويفشل مقاصد الآخرين، ويطلع أبويه علىٰ ما يحدث.

٣ ـ **تقوية الوازع الديني والإيماني**: لأن للدين دوره البَنّاء وخاصة في مرحلة التمييز ومراحل المراهقة والشباب. فمَن يرىٰ الله رقيباً عليه لا يُقدم علىٰ العمل المنحرف. والتعاليم الدينية في هذا المضمار بنّاءة وتوجيهية. فالعلم برقابة الله وكونه شاهداً علىٰ السلوك والتصرفات، والإيمان بالمعاد والحساب والكتاب والجزاء يشكل عامل ردع للشخص ويثنيه عن الأفعال المنحرفة.

٤ ـ **تعليم الطفل حفظ شرفه**: علّموا الطفل درساً في الشرف. وصيغوا تربيته علىٰ الشخصية وعِزّة النفس، بحيث يرىٰ نفسه عزيزاً وذا أهمية. وأن يترفع عن فعل الرديئات والدنيئات من الأفعال. وأن يكون حافظاً ومدافعاً عن دينه وشرفه، وتكون له قابلية الدفاع عن نفسه، ويحافظ علىٰ حيثيته وحيثيّة عائلته، ويتحلّىٰ بالصلابة ولا يستسلم لكل أمر، ولا يقبل دعوة كل دنيء. و...

الفصل الخامس
علاج الاستمناء

من الواجبات الملقاة علىٰ عاتق الوالدين والمربين إزاء تعرض الأبناء لمثل هذا المرض هو المبادرة لمعالجته. فأبناؤنا هم أمانة الله في أعناقنا، ولا يمكننا الوقوف موقف عدم المبالاة تجاه مصيرهم.

فالاستمناء مرض وبلاء. يجب الإسراع في معالجته. فمن الخطأ ما يتصوره البعض بخصوص الاستمناء فيقولون: إنّه يشفىٰ ذاتيًا أو يحل محلّه الجماع بعد الزواج. فقد أظهرت التجارب أن الكثير من الأشخاص لم يُفلحوا في التخلّص منه، وبقي هذا الوباء ملازماً لهم حتّىٰ سنوات الشيخوخة، وقد ثبت في ضوء التحقيقات العلمية أيضاً أن هذا المرض إذا لم يُعالج في مرحلة الطفولة فإنه يخلّف آثاراً وخيمة علىٰ الجهاز العصبي ووظائف الجهاز التناسلي.

وفي نفس الوقت ينبغي القول بأن الاستمناء يمكن إزالته بالعلاج أو بالوسائل الأخرىٰ. وعندما نقول وسائل أخرىٰ فذلك تطابق تلك الوسيلة أوّلاً مع إرادة الشخص وما دام هو غير راغب فيها، فيمكن القطع بعدم إمكانية معالجته. ولهذا فمن الضروري بادىء ذي بدء تعريف الشخص بقبح عمله، إذ يجب أن يدرك الطفل أو المراهق أن عملهُ غير صحيح ويجب عليه الكفّ عنه، ويتوجب عليه هنا الاستجابة للوالدين والمربين، والاستفادة من تعليماتهم وتوجيهاتهم. ويكون مستعداً لقبول كلامهم ونصحهم.

ضرورة التوعية:

وعلىٰ هذا الأساس فمن الضروري توعية الطفل وإرشاده إلىٰ أن وضعه غير طبيعي، وهو بحاجة للعلاج. ويجب إفهامه أيضاً أن منع المربّين إيّاه من ممارسة هذا العمل إنما هو لمصلحته وحرصاً علىٰ سلامته ولكي لا تذهب قواه وطاقاته هدراً ولا تكون عاقبة أمره وبالاً عليه.

من الأفضل أن تكون توعية وإرشاد الطفل بشكل غير مباشر، لكي لا يتعلّم الوقاحة وقلّة الأدب، ومن أجل عدم زوال حاجز الخجل بينه وبين والديه. أما أولئك الداعين إلىٰ عدم وجود حجب الحياء بين الوالدين وأطفالهم فيبدو لنا أنّهم علىٰ خطأ؛ لأن معنىٰ ذلك أن تصبح الحياة العائلية وقحة لا حياء فيها ولن تبقىٰ هناك أية سيطرة، وما يطلبه الوالدان ويفعلانه سيطمح إليه الأطفال أيضاً، ومن الواضح كيف ستكون الحياة وحشية في مثل هذه الحالة.

ولهذا السبب نرىٰ من المصلحة أن يصبح الطفل تحت تأثير إيحاءات الآخرين، حيث يجب أن يتحدّث الوعّاظ والخطباء والمربّون عن هذه المواضيع في المناسبات المختلفة. وفي المدرسة وفي الصف يجب أن يشير المعلمون إلىٰ هذه القضايا بشكل خفي لا يثير المشاعر الجنسية الكامنة، وبأسلوب إيّاك أعني واسمعي يا جارة. وينبغي الالتفات أيضاً إلىٰ ضرورة معالجة الأطفال الصغار جداً بأسلوب غير مباشر، لكي تزول منه العادات الخاطئة تدريجياً، ويصبح بإمكان الشخص صيانة نفسه من المخاطر والأمراض التي يتعرض لها. ولا توجد أية مشكلة ـ في حالة عدم سماع الطفل للنصائح ـ في التحدث معه علىٰ حدة وإطلاعه علىٰ مواطن الخلل في سلوكه وتحذيره من عواقبها.

تفهّم الأسباب:

إن المهم في قضية العلاج هو معرفة الأسباب والدوافع. إذ ينبغي فهم

العوامل والعلل التي أوجدت هذه العادة لدىٰ الطفل. وهل أن هذا الانحراف ناتج من عوامل بيئية أم صادر عن اختلالات نفسية؟ وهل كان ظهوره نتيجة الاكتشاف أم حدث جَرّاء الاختلاط بالآخرين فاكتسب ذلك منهم؟ وهل برز نتيجة الشعور باللذة أم كان لردّة فعل معاكسة لوقوعه ضحية للآخرين؟ يجب الانتباه إلىٰ البيئة التي يعيش فيها. وكذلك من الواجب الاهتمام بالعوامل التي تثير قلقه. ويفترض أيضاً ملاحظة معاناته في الجانب العاطفي وما هي النواقص التي يعاني منها؟ وما نوعية الاختلافات والمشاكل الموجودة في عائلته؟ وما هي النقاط التي تسبب له الألم؟

بعد التعرف علىٰ الأسباب والدوافع يمكن اتخاذ القرار بمعالجته، ومن الطبيعي أن تختلف أساليب العلاج، وأسلوب معالجة كل حالة يجب أن يتناسب مع دوافعها وأسبابها، ونتطرق فيما يلي إلىٰ تبيان عدد من هذه الأساليب:

١ ـ العلاج الطبّي:

تفرض حالة الشخص المريض في بعض الأحيان مراجعة الطبيب، خاصة عند احمرار الجهاز التناسلي للفتاة وعند وجود إفرازات من المهبل وعندما تكون عادة الاستمناء ناتجة من وجود الديدان، وأيضاً عندما تبرز الآثار والأعراض الجسمية والنفسية علىٰ المريض بصورة علنية وواضحة و. . .

أساليب العلاج المتّبعة من قبل الأطبّاء في مثل هذه الحالات هي العلاج النفسي والعلاج النفسي الطبيعي. ومعالجة ضعف الأعصاب، وتقوية الجوانب الروحية والإرادية. والأدوية المستعملة في هذا المضمار هي عبارة عن المهدّئات النفسية، وأدوية تسكين الأعصاب، وعصارات باسيفلور، كروتاكوس والَريان، بلادن زوسكيام، ميروبامات، والاستفادة من التراكيب المقوّية والمحفّزات العصبية مثل تركيبات الفسفور، آرسنيك، الكالسيوم، نوآوميك، واستريكنين، كولا، كوكا، والفيتامينات المختلفة مثل ب[١] و ب ١٣ و أ و دِ و اِي و. . .

وفي بعض الحالات يصفون المضادات الحيوية (آنتي بيوتيك) لمعالجة الديدان، وفي أوقات أخرىٰ يستعملون الهورمونات وعصارات غدد البيضة، والبيوض، فوق الكلية وتيروئيد، وفي حالات أخرىٰ يستعملون الـ (هيبوفيز). وكذلك العلاج الكهربائي والعلاج الطبيعي، واستعمال المياه المعدنية المختلفة، وتقوية الطاقة التناسلية لمعالجة الاستمناء، وكذلك معالجة كثرة الاحتلام، ومنع الإنزال السريع، وكذلك لمعالجة تشنّج وأرتعاش اليد، وكل هذه الأساليب مفيدة ومؤثّرة. وكذلك ينبغي الإشارة إلىٰ العلاج الموضعي للعضو التناسلي، وتغيير وضعية النوم والاستراحة ومداواة إفرازات الغدد.

ملاحظة مهمة:

يجب عدم الاستفادة من أي واحدٍ من أساليب العلاج، وعدم تناول أي نوع من الأدوية حسب الاجتهاد الشخصي. وفي كل الأحوال يتم الاعتماد علىٰ رأي الطبيب. لا سيما وأن الطبيب قد يصدر أمراً في بعض الحالات بإدخال المريض إلىٰ المستشفىٰ.

٢ ـ العلاج النفسي:

العلاج النفسي عامل مهم في إصلاح وتقويم الأطفال والمراهقين المصابين. ومن الضروري في هذا الصدد تقوية الإرادة وشحذ الهمّة واستعادة الشخصية وخلق الثقة بالنفس لدىٰ الأشخاص، وتمهيد الأرضية أمامهم للنضوج والاعتزاز بالنفس.

يجب أن يفهم بأنه ارتكب ممارسة دنيئة، ولا ينبغي أن تصغر شخصيته في عينه. وعليه أن يدرك قيمته وأهميّته كإنسان، وهذه الأعمال سفالة وانحطاط. وهذه التوعية وهذا الإرشاد يجب أن يتم علىٰ شكل إيحاءات وخاصة علىٰ يد الشخصيات المعروفة.

وكذلك يتطلب الأمر إبعاده عن أيّة إثارة جسدية أو نفسية وتقليل

الضغوط النفسيّة عليه، ولا تكون ردود الفعل عنيفة تجاهه. وفي جميع الأحوال يجب تلقينه بأن هذا التداوي من أجله ولصالحه، لكي يكون ذا صحة جسمية ونفسية عالية، ولكي لا تذهب حياته وتنشل مقدّراته بلا طائل. ويفترض كذلك إبعاد المريض عن العوامل التي تدفعه إلىٰ اللجوء إلىٰ التسكين، وإزالة شعوره بالذنب عن طريق التوبة.

٣ ـ النصائح العامّة:

والغرض من ذلك إسداء النصائح العامّة التي تجعل كل شخص يعرف واجبه ويتّبع الطريق والأسلوب القويم في الحياة، ويترك كل عادة سيّئة مهما كانت لذّتها. الأطفال الصغار من اليسير جداً نصحهم وتوجيههم. وبإمكان الأشخاص الذين يحترمهم أولئك الأطفال أن يقولوا لهم: إننا لا نحب هذا العمل، ولا نرضىٰ بممارسته. وفي سنوات المراهقة يمكن القول بأن الله يكره هذا العمل، وأن جزاء المسيئين جهنم والعذاب الأليم.

ومع طرح النصائح والتوجيهات، يجب طرح القضايا الممنوعة أيضاً، حتّىٰ ولو أدّىٰ ذلك إلىٰ تعريض الطفل للخجل والحياء، لكي تكون له عبرة ويرتدع عن فعله. مبدئياً يجب أن لا نحاول مصارحته وجهاً لوجه، ولكنه لو فهم أنه هو المقصود من الكلام واستحيىٰ، فلا كلام في ذلك.

٤ ـ انشغال الأعضاء:

الأطفال الصغار إذا كانوا متعوّدين علىٰ اللعب بأعضائهم؛ من الضروري أن تنشغل أيديهم بعملٍ ما أو ببعض أدوات اللعب الأخرىٰ. فهم أطفال ولا يقصدون من وراء هذا الفعل أي هدفٍ قبيح. ويكفي أن نهيء لهم وسائل أخرىٰ، وخاصة أدوات اللعب التي يحبّونها حيث سيتوجّه اهتمامهم حينذاك إلىٰ أمر آخر. وتؤكد توصيات علماء النفس علىٰ ضرورة انشغال أيديهم. شجعوهم علىٰ عدم البقاء بلا عملٍ ما. واسمحوا للطفل باصطحاب وسائل لعبه إلىٰ مكان نومه ليبقىٰ ممسكاً بها حتّىٰ أثناء النوم لكي لا تمتد يده إلىٰ أماكن أخرىٰ. وفي البيت كلّفوه بالقيام ببعض الأعمال واطلبوا منه

مساعدتكم. سيروا معه خطوة خطوة، وشاركوه في اللعب، وأهتمّوا بما يهتم به، أخرجوه للنزهة، وعلّموه علىٰ الرياضة، دعوه يلعب حتىٰ يتعب و . . .

٥ ـ إبعادهم عن زملاء السوء:

هناك أشخاص تقوم بينهم وبين أطفالنا علاقة زمالة ومعاشرة. لكنهم زملاء سوء، وعملهم قبيح، ولا يحملون شيئاً من الأخلاق العالية والأدب الصحيح. علاقاتهم خاطئة ومرفوضة، يتحدّثون في مسائل وأسرار ذات مردودات سلبية. وقد يكونون منحرفين حتّىٰ في بعض أنواع اللمس التي لا يجيزها الإسلام و . . .

وعند معالجة الطفل أو المراهق من بعض السلبيات، يجب أن تؤخذ علاقاته بمثل هؤلاء الناس بنظر الاعتبار أيضاً. وطّدوا علاقاتكم العاطفية مع الأبناء لكي لا يأبهوا كثيراً بالآخرين. وفي بعض الأحيان قد تستدعي الضرورة أن يقطع إبنكم علاقته ببعض الأشخاص، أو حتّىٰ قد يتطلب الأمر رحيلكم من محلّة إلىٰ أخرىٰ لكي تتغيّر البيئة الاجتماعية والثقافية، ومثل هذه الأعمال إنما نقوم بها من أجل سعادة الأطفال.

٦ ـ النزهة السليمة:

هناك وصايا تستحق الاهتمام، وتؤكد وجوب وضع برامج للأطفال المعتادين علىٰ هذا السلوك. لتوفير أسباب التنوّع في حياتهم. هيّئوا لهم مستلزمات الاختلاط العائلي والتجمعات العائلية السليمة. أعدّوا لهم برنامجاً ترفيهياً. وبادروا بين الحين والآخر إلىٰ القيام بالسفرات والجولات إلىٰ القرىٰ أو المدن الأخرىٰ وخذوهم معكم. والهدف من كل ذلك هو إيجاد التنوّع في حياتهم ولكي يتمتعوا بتذوق الأجواء الأخرىٰ، والحصول علىٰ التسلية الملائمة والإشباع العاطفي، والعلاقات والأحاديث الطيّبة، ولكي يبتعدوا عن أجواء الانحراف ويطردوا الأفكار الانحرافية من ذهنهم، فلا ننسىٰ أن تغيير الجو يُعَدُّ من العوامل البنّاءة في هذا الصدد.

٧ ـ ما ينبغي أجتنابه في المعالجة:

هناك نقاط يجب مراعاتها فيما يخص إبعاد الشخص عن عوامل الانحراف أو علاجه منها، وهناك نقاط أيضاً ينبغي اجتنابها وأهمها ما يلي:

ـ اجتناب العقوبة الشديدة بحق الأطفال الذين لم يبلغوا سن التمييز لأن ذلك يترك عليهم آثاراً سلبية.

ـ عدم الإقدام علىٰ حل المشكلة أو إزالتها بدون معالجة العقد والأسباب والدوافع الكامنة وراءها.

ـ عدم تقديم النصائح بدون توفير الأجواء والمستلزمات المطلوبة.

ـ التهديد والوعيد الشديد الذي قد يؤدي أحياناً إلىٰ زيادة شدّة الحالة لديهم.

ـ تجنّب توثيق يدي الطفل، لأن ذلك ربما يؤدي إلىٰ زيادة حب الاستطلاع لديه، أو يدفعه لاكتشاف طرف وأساليب أخرىٰ للإشباع الذاتي.

ـ اجتناب التعنيف أو التوبيخ الشديد والمباشر، فإن ذلك يعكر العلاقة بين الطفل ووالديه أو مربّيه ويزيد حاله سوءاً.

تحذيرات وملاحظات:

النقاط التي نأمل أن تكون موضع اهتمام المربّين في سبيل معالجة الطفل بشكل صحيح، ونشير هنا إلىٰ بعضها كالآتي:

١ ـ الموقف الذي يتّخذه الوالدان يجب أن تؤخذ قضية السن بنظر الاعتبار، فالموقف إزاء الأطفال الصغار ينبغي أن يتّسم بطابع معيّن يختلف عن الموقف إزاء الطفل المميّز، ويكون أكثر جديّة في حال المراهقين. ففيما يتعلق بالعلاج يجب أن نعلم مثلاً أن صعوبة مكافحة الاستمناء في فترة الطفولة، تختلف كلياً عن فترة المراهقة والشباب.

٢ ـ بالنسبة لأولئك الذين مارسوا الانحراف حديثاً، وهم جاهلون بقبحه

وضرره، نحاول عدم الابتداء بالضرب في سبيل إصلاحهم. فيجب القيام بالتوعية أوّلاً ونقرنها بالنصح والإرشاد، فإن لم يُجدِ هذا الأسلوب نفعاً، يضطر حينها إلىٰ الأساليب الأشد قسوة.

٣ ـ إذا تعرّض الطفل الصغير للانحراف، وبدأ اللعب بجهازه التناسلي، فيجب علىٰ الأم تنبيهه إلىٰ ذلك، وإذا لم يؤثر التنبيه فيه، يمكن توجيه الإنذار له بواسطة الضرب علىٰ ظاهر يده.

٤ ـ اللجوء إلىٰ التدابير الوقائية المفيدة في منع حدوث الانحراف كالرياضة والمشاركة في الألعاب، والاستفادة من الهواء الطلق. وكذلك إشراكهم في النشاطات الاجتماعية والنشاطات الدراسية والجماعية و...

٥ ـ الاحتلام هو أنسب الطرق للعلاج بشرط الاقتران مع التوجيه والإرشاد.

٦ ـ المهم هو الاحتفاظ بالهدوء وبرود الأعصاب؛ إذ ينبغي عليكم التعامل مع الطفل كالطبيب الحاذق المسيطر علىٰ نفسه؛ لأن الغضب الاضطراب والصراخ لن يجدي نفعاً.

الباب السابع

الميول إلىٰ نفس الجنس (الشذوذ الجنسي)

من المخاطر الكبيرة التي يتعرض لها الأطفال والمراهقون أحياناً هي قضية الشذوذ الجنسي أو الميل إلىٰ نفس الجنس. نتناول في الفصل الأول من هذا الباب دراسة هذا الميل ونبحث في وجوده بين الفتيان والفتيات. وسنطالع الأعمار التي تبدأ فيها هذه الظاهرة ومراحل صعودها إلىٰ الذروة وخاصة في دور المراهقة.

ويتناول الفصل الثاني الجذور والدوافع الاجتماعية لها. ونشير ضمن بحثنا إلىٰ كيفية تأثير التربية العائلية السقيمة وخاصة عامل التمييز، في بروز هذه الظاهرة. وسندرس أيضاً التأثيرات الاجتماعية وما تنطوي عليه من خداع، إضافة إلىٰ عوامل الحاجة وقضية الفتيات، وكذلك التقاليد ذات الصلة بهذا الموضوع. وسنتحدث بعد ذلك عن اتساع هذا الانحراف وتأثيره علىٰ الحياة اليومية للأطفال والحالات الحادّة فيه.

وسنتطرق في الفصل الثالث إلىٰ الجذور والعوامل النفسية لهذا الانحراف، حيث سنبحث فيه عن الرغبة في توفير الحاجات النفسية، وحاجة الطفل إلىٰ الحماية، وعن تغيير مشاعر الطفل وعن حب الاستطلاع وعن ضعفه العام، ونتحدث كذلك عن بعض الأمراض مثل مرض جنون الارتياب، والكآبة، والخجل، ودورها في هذا الانحراف.

ويختص الفصل الرابع منه بالأشخاص الذين يقعون ضحيّة لأطماع الآخرين الجنسية. وعن أساليب الخداع والإغواء الموجودة في هذا المضمار.

وكذلك ندرس فيه خصائص مثل هؤلاء الأشخاص. ونتحدث بعد ذلك عن العلاقة بين الفاعل والمفعول، ومخاطر العلاقة بين الأطفال والكبار، وكذلك قضية السادية الجنسيّة.

وأخيراً يدور الفصل الخامس حول الوقاية والعلاج، وسنذكر فيه ما لهذه القضية من تأثير علىٰ التعايش الاجتماعي، وعلىٰ العلاقات العائلية، وفي الاضطرابات النفسية وكيفية الوقاية والعلاج. ومن بعده نبحث في ما ينبغي القيام به من المراقبة في هذا الحقل وأساليب العلاج الطبي والنفسي، وسنبين زوال هذه العادة، ونشير إلىٰ كل ذلك مع رعاية الاختصار طبعاً.

الفصل الأول

الميل إلىٰ نفس الجنس

الشذوذ الجنسي هو نوع من العلاقة الجنسية بين أبناء الجنس الواحد ويُنظر إليه في جميع الأديان، وفي أكثر المجتمعات البشرية، باعتباره انحرافاً خطيراً حتّىٰ أنهم حددوا له أنواع العقاب وسنّوا له أنواع الجزاء. وفي الدين الإسلامي أيضاً حُددت عقوبة صغار السن بالتعزير وكبار السن ممن يمارسون هذا العمل بالموت.

وقد تكون مقدمات هذه الظاهرة قد زرعت لدىٰ الشخص منذ مرحلة الطفولة وكانت تمارس بصورة غير واعية، وأدّت ـ في سنوات التمييز والمراهقة ـ إلىٰ إيجاد وتوسيع نطاق الانحراف وهذا ما يترك علىٰ الشخص آثاراً شديدة ومُقلقة. وفي حالة تكرارها ومواصلتها قد تؤدي إلىٰ خلق حالة نفسية لدىٰ الشخص تجعله يشعر بالنفور أو عدم الاهتمام بالجنس الآخر، وهذا ما يعرّض للخطر قضية الزواج وتشكيل العائلة، وهذا ما أشارت إليه بعض الأديان وذكرته في الأحكام والروايات.

وقد ذكرت هذه المسألة في موضوع فلسفة الأحكام وفي باب التحريم والنهي عن مثل هذه العلاقات، وأشارت إلىٰ أن مواصلة واستشراء هذه السلوكية يعرض النسل البشري للخطر، ولا تظهر لدىٰ مثل هؤلاء الأشخاص أيّة رغبة في العلاقات والحياة العائلية. كما ويصبح من المتيسّر حدوث إحباطات وانكسارات متعددة علىٰ أثر طول مدّة وجودها، وانتقال الكثير من الأمراض وظهور أنواع المصائب الأخرىٰ، في ظل وجودها.

جذور هذه الظاهرة:

لقد طُرحت آراء مختلفة حول منشأ هذه السلوكية المخالفة للشرع والأخلاق. فاعتبر البعضُ جذورها ذاتية، وهذا أمر لم يقم عليه دليل علمي، والأديان أيضاً لا ترتضي أسلوب تفكير كهذا، ومَرَدُّ ذلك هو أن الله جلّت عظمته لا يخلق كائناً خبيثاً ولوّاطاً.

وأشارت آراء أخرىٰ إلىٰ أن مصدرها هو حقارة المولد ودناءة العرق والتلوّث الوراثي، وهذه الآراء أيضاً ليس لها سند علمي أو ديني بالإضافة إلىٰ أن مفهوم حقارة ودناءة المولد يختلف من مجتمع إلىٰ آخر. ولا يمكن العثور علىٰ معيار علمي بشأنه يحظىٰ برضىٰ الجميع، والتحقيقات العلمية الأخرىٰ تشير إلىٰ عدم وجود أسباب وراثية لهذه الظاهرة ولا تصل إلىٰ الأولاد عن طريق الوراثة.

إن ما يمكن الإشارة إليه في هذا المجال هو أن هذه السلوكية صادرة علىٰ الأغلب من جذور ودوافع اجتماعية ونفسية، وفي بعض الأحيان بسبب وجود الاختلالات الجسدية. والنقطة الأساسية التي يستند عليها علماء النفس في هذا المضمار هي الجوانب العاطفية والنفسية. أما علماء الاجتماع، فيعزون أسبابها إلىٰ الظروف الاجتماعية وترتبط بنضج الشخصية والمحيط التربوي.

الشذوذ عند الفتيان:

يوجد هذا الانحراف عند الأولاد قبل سن العاشرة أيضاً، لكنه غير واضح بشكل جلي. ويتّخذ لديهم طابع التقليد في أغلب الأحيان. وقد يكون سببُه ناتجاً عن الوقوع ضحية للآخرين، أو عن السذاجة وسرعة التصديق بكلام الآخرين، وقد يكون أحياناً بسبب الخوف أو الانخداع بوسائل الألعاب أو أشياء أخرىٰ.

وهذه الرغبة موجودة لدىٰ المراهقين وهي ذات معنىً. ويعد العاشرة من العمر يصبح للانحراف معنىً وذلك لأسباب متعددة منها:

أوّلاً: إن التجارب الذميمة السابقة تعتبر مثيرة بالنسبة لهم.

وثانياً: يوفّر لهم ذلك مستلزمات البلوغ ويجعلهم يواجهون نوعاً من الاستيقاظ الجنسي.

وثالثاً: الصداقات والعلاقات الخاصة وتبادل الأسرار وما ينتج عن ذلك من انعكاسات سيّئة كلّها تزيد من شدّة المشكلة.

وفي نفس الوقت تكون هذه الميول موجودة عند الكثير من الأشخاص لكن التزامهم الشديد بالأصول الأخلاقية وحذرهم الفائق لا يتيح لأحد الاطلاع علىٰ انحرافهم. طبعاً مثل هؤلاء لا توجد لديهم رغبة في الاستقرار الجنسي، وسلوكهم الانحرافي مؤقت في الأغلب.

الشذوذ عند الفتيات:

مسألة الشذوذ موجودة عند الفتيات أيضاً. لكن غير المطلعين يطرحون هذه المسألة وكأنّها محصورة في نطاق الذكور فقط، التحقيقات التي أُجريت في المجتمعات الأخرىٰ تشير إلىٰ أن لدىٰ الفتيات أيضاً ـ وخاصة في سنوات المراهقة ـ مشاعر عميقة وبارزة في هذا المجال، ويسقطن أحياناً في شباك أترابهن أو الأكبر منهن سِنّاً، ويمارسن هذه العادة غير المشروعة.

تظهر التحقيقات أن مثل هذه الانحرافات أكثر شيوعاً بينهن مما هو لدىٰ الذكور أضعافاً مضاعفة، لكن عالمهن الخاص، وغلبة الحياء عليهن وحياتهن في السر، وقلة اشتهار انحرافهن في المجتمع أدّىٰ إلىٰ أن تطرح هذه المسائل حولهن أقل مما تُطرح بشأن الذكور، ولكن ينبغي أن نعلم أن الإثارة موجودة لديهن أيضاً إزاء المثيرات والمحفّزات المختلفة.

أساس الغريزة لديهن يدفعهُن طبعاً إلىٰ اجتذاب الجنس الآخر نحوهن، ومثل تلك الانحرافات لا تعدو أن تكون فرعية، ورغم فرعية هذا الانحراف وكونه أمراً جانبياً، إلاّ أنه مع ذلك يشكل رقماً كبيراً ويحظىٰ بأهميّة بالغة، والقيام بالرقابة بشأن تصرّفاتهن أمر لازم وضروري لا سيّما وأن هذا الشعور يستمر لديهن مدّة أطول.

السن التي يبدأ فيها هذا الانحراف:

تشير بعض التحقيقات غير الموثّقة إلىٰ أن الاهتمام بأبناء نفس الجنس (ليس تلوّثاً ولا هو عمل انحرافي) يبدأ منذ السنة الثانية من العمر، لكن الأغلبية الساحقة من علماء النفس تعتقد أن بذوره الأوليّة تنغرس بين سن الرابعة والخامسة؛ إذ يبرز خلال هذه الفترة إندفاع شديد، وفي بعض الحالات كرهٌ شديد لأفراد نفس الجنس الأكبر سِنّاً. ففي هذه السن قد يتعرض بعض الأطفال للانسياق إلىٰ الانحراف علىٰ يد أطفال آخرين أو علىٰ يد مراهقين أو حتىٰ علىٰ يد بالغين، وعندما تستوطن أسس هذه العادة في أنفسهم سيصبح من الصعب جداً تركها، أو الوقوف أمامها.

وكلما أزداد السن واقترب الطفل نحو المراهقة والبلوغ كلّما ازدادت هذه الظاهرة اتساعاً، وخاصة عند سن الحادية عشرة حيث تبدأ عند ذاك علاقات الصداقة وتتبلور في مرحلة البلوغ، ومن الطبيعي أن الشخصين اللذين يتبادلان الأسرار ويحملان همّاً مشتركاً يسقطان آنذاك في حبائل بعضهما الآخر ويصبحان منحرفين.

نلاحظ أن الرغبة في مثل هذا الانحراف تبدأ في الظهور في دور المراهقة وخاصة عند الأشخاص الذين يعيشون في عوائل أو أجواء متحللة، وتشتد فيهم الرغبة في ابناء نفس الجنس. وقد لوحظ في الإحصائيات أن الفتيان والفتيات يظهرون رغبة أكثر في أبناء جنسهم.

مراحل أوجها:

أظهرت بعض التحقيقات أن سن ٨ ـ ١٣ عاماً يمكن اعتبارها سن الانحراف، وطبعاً لا نريد القول: إنهم يمارسون الانحراف في هذه السن، بل نريد القول إن إمكانية الانحراف في هذه السنوات أكثر من بقية السنوات.

فالأطفال في المدرسة والشارع والزقاق يبحثون عن الأصدقاء والزملاء ويحاولون فتح أبواب متنوعة من اللعب فيما بينهم. فيحاول كل واحد منهم تقليد ما رآه وما سمعه من الآخرين، ابتداءً من تقليد قضية الزفاف إلىٰ لعب دور الأب والأم و... وتُعتبر هذه العملية بذاتها مصدراً للكثير من الانحرافات.

وقد يحدث الانحراف في أحيانٍ أخرىٰ من جَرّاء وجود علاقة بأشخاص ملوّثين، إذ يخلق هذا مستلزمات الانحراف لدىٰ الأطفال من خلال أساليب اللعب والإغراء والتهديد، فيصبح ذلك سبباً لحصول واستمرار هذه العادة فيهم. بعض التحقيقات التي أجريت في الغرب تشير إلىٰ أن ٣٥٪ من المنحرفين قد بدأ الانحراف لديهم مع أبناء نفس الجنس، ومنذ السنة العاشرة من العمر. ومن البديهي أن مثل هذه الإحصائية لا تنطبق علىٰ مجتمعنا بسبب اختلاف القيم والمفاهيم الدينية والثقافية.

ولا تفوتنا الإشارة إلىٰ أن هذا التلوّث منوط بالتعلم أي أنه اكتسابي وليس له جذور ذاتية ولا فطرية. ومن المسلم به أنَّ حصول حالة واحدة من ذلك في مدرسة أو بيئة ما، كفيل بنشر وتوسيع نطاق هذه الظاهرة بسرعة فائقة، وبعبارة أخرىٰ يمكن القول إن الانحرافات سريعة الانتقال بالعدوىٰ.

في دور المراهقة:

مهما يكن السن الذي يبدأ فيه الانحراف، فهو يشتد في دور المراهقة ويصل أقصىٰ أوجه في سنوات البلوغ وهذا ينطبق علىٰ كل من الذكر والأنثىٰ.

لكن الصورة تختلف لدىٰ الإثنين بحيث تبدو عليهما حتّىٰ في المعانقة علىٰ أساس الصداقة واحتضان بعضهم البعض.

وهذا ربّما يعكس حالة الانحراف لدىٰ الفتيات ومقدمة الانحراف لدىٰ الفتيان خاصة في سنوات المراهقة، حيث يتّخذ طابعاً خاصاً، ويصبح وبالاً متجسداً علىٰ شكل صداقة وزمالة. فالمنحرفون يمارسون في واقع الحال عملية تمويه من خلال التظاهر بالصداقة ويقومون بتقبيل بعضهم تحت ستار المحبّة لبعضهم الآخر، وهذه الدعوىٰ لا تصدق إلاّ علىٰ عدد معدود منهم، أما المنحرفون فيستغلونها لدوافع أخرىٰ.

القطع النسبي للعلاقة بين المراهقين ووالديهم في هذه المرحلة وتوجّههم لأترابهم يجب أن يكون بمثابة الإنذار للمربين. وينبغي أن لا يخفىٰ علىٰ المربّي ما يستجد من علاقات وصداقات وسفرات وجولات، وخاصة فيما يخص أولئك الذين سبق وأن لوحظت نقطة انحرافية في سلوكهم وحياتهم السالفة.

أسبابها الخَلقية:

ذكر وجود جذور وراثية لهذا الانحراف لدىٰ الأشخاص، والإسلام لا يقر أسلوب التفكير لأصحاب هذا الادّعاء، ومع ذلك فلا بد من إلقاء نظرة علىٰ آراء بعض العلماء الذين لاقت أفكارهم رواجاً في المجتمع لغرض الاطلاع علىٰ وجود مثل هذا الاعتقاد لدىٰ البعض منهم.

يدّعي (شلدن) الذي يتردد أسمه كثيراً في التحقيقات المتعلقة بعلم نفس الشخصية أن الميل إلىٰ الشذوذ الجنسي له جذور خَلقية. وأن الأشخاص الذين يوجد عندهم مثل هذه الميول يكونون حَدّاً وسطاً بين الجنسين من وجهة نظر علم الحياة، أو أنهم يؤدّون دور الخُنثىٰ. وقال آخرون: إن مثل هؤلاء الأشخاص تتوفر فيهم مواصفات الجنسين حيث يمكنهم أداء كلا الدورين و...

هذه التحقيقات لا يمكنها إثبات أمرٍ حول الانحراف ولا تتمخض عن أي دليل أو مجوّز. وذلك لسببَين وهما :

أولاً: إن أكثر الذين يُصابون بالانحراف إنّما يقعون فيه علىٰ أثر حصول الاكتساب والتعلّم.

وثانياً: إن الأشخاص العاديين يلجأون إليه أيضاً في حالة فوران الغريزة وعدم توفر إمكانية الزواج.

الفصل الثاني
الدوافع الاجتماعية للانحراف

مقـدّمــة:

قلنا: إن البحث في جذور الانحراف لم يظهر لحد الآن أسباباً أخرىٰ سوىٰ الجانب الغريزي والرغبة في الإشباع الجنسي. وهذه الحالة ناشئة عن واحدة من الجوانب التالية:

١ ـ عدم إمكانية الزواج بالنسبة لأولئك الذين هم في سن البلوغ ويرغبون في الزواج.

٢ ـ تغيير الشعور بالمحبّة نحو شخصٍ ما، وهذا ناتج عن الانحراف النفسي وتعبير عن اختلاله.

٣ ـ دناءة المولد طبيعياً وفطرياً، وقلنا بعدم وجود دليل مقنع عليه.

وفي نفس الوقت يذكر المحققون وأصحاب الرأي مجموعتين من العوامل والدوافع في هذا المضمار، ويعتقدون أن توفّرهما قد يوجد الانحراف لدىٰ الأشخاص، أو يُوجد انحرافاً في إشباع ميول الشخص ورغباته، فينجم عن ذلك لجوء الشخص إلىٰ الشذوذ الجنسي. وتقسم تلك العوامل بشكل عام إلىٰ:

العوامل والدوافع الاجتماعية.

والعوامل والدوافع النفسية.

وسنتكلم فيما يأتي علىٰ عوامله الاجتماعية:

العوامل الاجتماعية:

يمكن البحث عن مسائل متعددة وجوانب مختلفة فيما يخص هذه العوامل وهي:

أ ـ العائلة:

إن بإمكان العائلة أن تكون عاملاً في هداية الفرد أو ضلاله. فقد توفّر مستلزمات الخير والصلاح للطفل، أو قد تكون سبباً في توفير مستلزمات فساده وانحرافه. ومن ضمن العوامل التي ينبغي الإشارة إليها في هذا المجال، نتطرق إلىٰ البحث في الموارد التالية:

١ ـ الارتباط الشديد بالوالدين:

وجود الحب في قلب الطفل تجاه أبويه ووجوب حبّه لهما وتعلّقه بهما؛ أمرٌ لا غُبار عليه، وكذلك شعور الطفل بالارتباط بعائلته لا نقاش فيه، ولكن الكلام هو أن لا يكون ذلك علىٰ شكل ارتباط شديد بحيث يعلّق الطفل كل أمله وحياته عليهما ويرىٰ قضاء كل حاجاته يتم بواسطتهما، فإن ذلك يؤدي إلىٰ الانحراف في بعض الموارد.

٢ ـ تربية الطفل علىٰ نمط الجنس الآخر:

أحد المؤشرات علىٰ وجود الانحراف عند مثل هؤلاء الأشخاص هو السلوك الأنثوي لدىٰ الفتىٰ والسلوك الذكري لدىٰ الفتاة، وهذا ما نراه ناجماً عن تربية الوالدين. فالوالدان اللذان كانا يرغبان في الحصول علىٰ بنت بدل الولد أو بالعكس يتدخّلان أحياناً في نمط تربية الأولاد ويفرضان وجهات نظرهما ويربّونهما علىٰ أساس ما كانا يرغبان فيه، وحتّىٰ في شراء أدوات ووسائل اللعب نراهما يُدخلان مثل هذه الأساليب. فمثل هؤلاء الآباء يسوقون أبناءهم لا شعورياً نحو هذا المسلك. وقد أظهرت الدراسات أن مثل هؤلاء الأشخاص أكثر استعداداً للانزلاق في مثل هذا الانحراف.

٣ ـ طبيعة العائلة:

يعتبر بعض علماء النفس أن أساس الشذوذ الجنسي يتعلق بطبيعة العائلة. فالعائلة التي يكون الأب فيها منطوياً، يسودها النزاع والبغضاء، أو عندما تكون الأم مُحتالة ومخادعة، أو عندما يكون اهتمام الأب بالبنت أو الأم بالولد شديداً ومُتعباً، ربما يؤدي ذلك بالطفل إلىٰ الانحراف. حتّىٰ إننا نرىٰ بعض الأطفال يتصرفون كأبناء جنسهم، ولكنهم يكتمون في نفوسهم رغبة في أداء دور الجنس الآخر.

٤ ـ ضعف الوالدين:

من العوامل التي قد تؤثر في هذا الجانب هو فقدان الأب الكفوء والقوي في حياة الطفل، أو وجود الأب الذي تربطه بالإبن علاقة الكراهية والاستحقار. وقد دلّت دراسات علماء النفس علىٰ أن هذا السبب يعزز في نفوسهم الميل إلىٰ نفس الجنس ويطبعه بطابع السلوك الاستسلامي.

٥ ـ وجود الخدم:

يكون وجود الخادم أو الخادمة سبباً في بعض الأحيان لحدوث مثل هذا الانحراف، وخاصّة إذا كانت أخلاقهم سيّئة. ومع الأسف نرىٰ أكثر الآباء والأمّهات غافلين عن هذه النقطة الحساسة ولا يعلمون بما يجري علىٰ أبنائهم. وتزداد الخطورة فيما إذا كان أولئك في سن البلوغ أو غير متزوجين.

٦ ـ أسلوب الحياة:

وردت تأكيدات متعددة في نظام الحياة الإسلامية، تدعو إلىٰ فصل منام الأطفال عن بعضهم منذ حلول سنوات التمييز، بحيث لا ينام الأخ مع الأخت، والأخ مع الأخ، والأخت مع الأخت في منام واحد. حتّىٰ أن الإسلام لا يجيز للأب ـ من باب التحوّط والوقاية ـ أن ينام في منام الإبن وينام معه تحت غطاء واحد. وعدم الالتزام بهذه التعاليم قد ينجم عنه في بعض الحالات تهيئة مستلزمات انحراف الإبن حتّىٰ وإن اتّخذ في بداية الأمر طابع اللعب فإنّه ينطبع في السنوات اللاحقة بطابع الانحراف.

ب ـ المجتمع:

وهناك عوامل متعددة في الجانب الاجتماعي أيضاً يحتاج الخوض فيها إلىٰ مزيد من الدرس والمطالعة. وما يستوجب الإشارة هنا يتلخص فيما يلي:

١ ـ الخداع:

يوجد في كل مجتمع أشخاص ـ ولو بنسبة ضئيلة ـ متعطّشون للشهوة، ويوقعون الطفل في شباكهم من خلال أساليب المكر والخداع أو التهديد والإغراء، ليكون موطناً لقضاء شهوتهم. ربما تكون هذه العلاقات ليست ذات معنىً بالنسبة للأطفال في بداية الأمر، لكن معانيها تتجسد لديهم تدريجياً، وبالتزامن مع نضوجهم، فيكتشفون بعد ذلك بأنهم عوامل انحراف في المجتمع.

٢ ـ المعاشرة الممجوجة:

لا كلام لنا حول وجوب اتصال الأطفال بالآخرين والاستفادة من تجاربهم، ولكن المسألة هي أن علاقة المعاشرة بين الأطفال والمراهقين أو البالغين تبقىٰ بعيدة أحياناً عن أنظار وإشراف الوالدين والمربّين. فتكون النتيجة أن يصبح هؤلاء الأطفال غير المدركين ضحايا لأولئك الذين هم في مرحلة الاستيقاظ الجنسي.

٣ ـ الممارسات الاجتماعية السلبية:

في بعض الحالات تكون مشاهدات الطفل والكنايات التي يسمعها، وقراءته للكتب التي تعلّمه الفساد، وسماعه للأحاديث البذيئة من الآخرين ورؤيته للعلاقات التي يجب أن تجري خفية وحتّىٰ العلاقات غير المشروعة وغير العادية، تكون كلها سبباً للاستيقاظ الجنسي وتمهيداً للانزلاق في الانحراف. وانطلاقاً من هذه الرؤية يجب علىٰ الوالدين والمربّين متابعة هكذا موارد للحيلولة دون حصول موجبات الانحراف.

٤ ـ الشعور بالحاجة:

لوحظ في بعض الحالات أن الشخص يتّجه إلىٰ مثل هذا الانحراف ويكون ضحيّة لاستغلال الآخرين لسبب واحد وهو الفقر والشعور بالعوز والفاقة. وقد تكون عائلته غير فقيرة في هذا الجانب لكن الأب والأم لا يعيران أهميّة لحاجاته. أو أنه شبّ كثير الحرص طمّاعاً لا يتمتع بما ينبغي من عزّة النفس. ومن الواضح كيف سيستغل الأشخاص الملوّثون في المجتمع مثل هذه الحالة استغلالاً بشعاً وقبيحاً.

٥ ـ الشعور بالحقارة:

الشعور بحقارة الذات من المسائل التي تدفع الإنسان للوصول إلىٰ غرضه بشتّىٰ أساليب الخنوع والذلّة. الشعور بالحقارة ليس عامل انحراف، لكنه عاملٌ لتوفيره عند كل شخص؛ لأن مثل هذا الشخص يحرص دوماً علىٰ لفت الأنظار واستقطاب الحماية والأمن لنفسه. وحيثما توفّرت مثل هذه الظروف فهو مستعد لشرائها بأي ثمن.

٦ ـ الحياة في الأماكن التي تُدار ليل نهار:

في المراكز التي تعمل علىٰ مدار الساعة، وخاصة تلك التي تفتقد وجود الرقابة الكافية وخاصّة في الأماكن التي ينعدم فيها التنوّع والترفيه والتسلية المناسبة، ويشعر الأشخاص فيها بالضيق والحبس، فهنا يتفاقم القلق ويتزايد التجاء الناس إلىٰ ظل بعضهم. وهذا الالتجاء إلىٰ ظل الآخرين يكون بذاته سبباً وعاملاً للانحراف في هذا المجال.

٧ ـ الحالات الأخرىٰ:

توجد حالات أخرىٰ أيضاً توفّر الأرضية لظهور هذا الانحراف وممارسة هذا النوع من الشذوذ، نكتفي بالإشارة إليها فيما يلي بشكل مختصر:

ـ تقليد النماذج المغلوطة والتأثر بالانعكاسات السلبية سواء في البيت أو في المجتمع.

ـ انعدام إمكانية الزواج بالنسبة لأولئك الذين يشعرون بحاجتهم الشديدة له.

ـ البطالة الجماعية والعيش بين العاطلين عن العمل، وهو عامل لإثارة الوسوسة في النفوس.

ـ الاطلاع علىٰ ثقافة الانحراف الجنسي، وحتّىٰ قراءة الكتب المُعدّة للوقاية من الانحراف الجنسي، ولكنها تبرر حصوله بشكل غير مباشر.

ـ الاتصال بالأشخاص الساقطين الذين يخططون في أذهانهم دوماً لارتكاب الجرائم الجنسية.

ـ عدم القدرة علىٰ الدفاع عن الحقوق الذاتية والشرف والحيثية في المجتمع.

ـ عدم وجود المشرف أو ولي الأمر، فيصبح بإمكان كل مَن شاء الاعتداء علىٰ ذلك الشخص.

ـ انعدام إمكانية الوصول إلىٰ معاشرة الجنس الآخر، مما يؤدي إلىٰ حصول مثل هذه الوساوس.

تحذير مهم:

أشرنا إلىٰ هذه النقطة في الفصل السابق وهي أن الدافع الجنسي وخاصة فيما يتعلق منه بالشذوذ، يتبع إلىٰ حد بعيد مبدأ التعلم أو الاكتساب، ومن الطبيعي أن يكون للبيت والمدرسة دور حسّاس في هذا المضمار. فهذا الاكتساب لا يؤثر فقط في انحراف الشخص، بل إنه يعجّل أيضاً في نضوجه الجنسي، وهذا بدوره يُعتبر خطراً آخر يضاف إلىٰ خطر الانحراف.

وعلىٰ هذا الأساس يصبح من الضروري إزالة كل ما يكتسبه الطفل ويترك علىٰ حياته تأثيراً سلبياً، بالإضافة إلىٰ إجراء الرقابة التي تجعل الأبناء

بعيداً عن مواطن الخطر، وذلك لا يمكن تحقيقه إلا إذا اعتبر الطفل أمانة إلٓهية لدىٰ الوالدين والمربّين.

والنقطة الأخرىٰ الجديرة بالإشارة أيضاً في هذا المضمار هي إمكانية معالجة الشذوذ الجنسي عن طريق إيجاد البديل المؤقّت، وتوثيق العلاقات العاطفية وتقوية شخصية الفرد، وتكريس ثقته واعتزازه بنفسه، وخاصّة عن طريق عزلهم عن العوامل المؤثّرة، والعناصر الملوّثة والفاسدة حيث سنطرح مواضيع أخرىٰ في هذا الشأن في بحوثنا اللاحقة.

* * *

الفصل الثالث

الدوافع والعوامل النفسية للانحراف

مقـدّمـــة:

هنالك عوامل تفعل فعلها في إضلال وسقوط وانحراف الأطفال والمراهقين، وقد تكون هذه العوامل أصلية أحياناً، أو قد تكون عوامل مساعدة ومشجّعة علىٰ الانحراف. ويمكن الإشارة إلىٰ بعضها، باعتبار كونها عوامل عاطفية ونفسية.

ونحن مضطّرون إلىٰ الإشارة هنا مرّة أخرىٰ إلىٰ أن الدافع الجنسي لدىٰ الأطفال لا يشتمل علىٰ أي هدف مدروس ومحدد. ولهذا فقد يسقطون في الانحراف أحياناً حتّىٰ في خلال سعيهم إلىٰ هدف بخلافه. أو يمكن القول ـ علىٰ أقل تقدير ـ إن وجود الأرضية المغايرة لما يمكن تسميته بالدافع الجنسي لدىٰ الطفل هو السبب في سقوطه في ذلك الوادي.

وفي نفس الوقت لا يمكن التغاضي عن تأثير ودور الأمراض والأعراض الأخرىٰ، وخاصة الأمراض النفسية، إذ يمكن أن تكون علىٰ الأقل أسباباً يسقط الطفل علىٰ أثرها في الانحراف. ونتناول في هذا البحث العوامل غير الاجتماعية وحتّىٰ غير الجسمية لهذا الانحراف، ونستعرضها بالصورة التالية:

أ ـ العوامل النفسيّة العاطفية:

يمكن الإشارة إلىٰ عدة عوامل بهذا الشأن، أما الأهم من بينها فهي

كما يلي:

١ ـ **الحرمان العاطفي:** نقص محبة الوالدين والمربين تجاه الطفل أو عدم إظهارها من قبلهم، أو عدم الشعور بها من قبل الطفل تؤدي به إلىٰ البحث عن المحبة، لكي يشبع نفسه بنوع منها. ولو أنَّ أحداً من المتعطشين للشهوة اَطّلع علىٰ أحواله أو بادر إلىٰ مدحه والثناء عليه بلسان التملق وأظهر له المحبّة، فإنه ينهار أمامه لا إرادياً ويخجل منه، وهناك إمكانية قوية للاستسلام أمامه والخضوع له.

٢ ـ **الحاجة إلىٰ الأمان:** يريد الطفل أن يحصل علىٰ الأمان واطمئنان البال والدعة في حياته المحدودة. وربّما يشتمل هذا الأمان علىٰ الأمان الاقتصادي والأخلاقي و... ولو أن شخصاً مخادعاً وعدهُ بتوفير مثل هذا الأمان (وهو ما سيحصل) فهو يُصبح مستعِدًّا للانحراف لا سيما إذا وجد الشريك الذي يقاسمه نفس الشعور.

٣ ـ **البحث عن الملجأ:** قد يسقط الطفل أحياناً في الانحراف بسبب كونه في حالة بحث عن ملجأ. فيقوم الشخص الملوث ـ أثناء توفيره الملجأ للطفل الذي طُرد من البيت أو المدرسة ـ بارتكاب جريمته. ولهذا فقد أكّدت التعليمات علىٰ عدم طرد الطفل من بيته ومأمنه مُطلقاً. لأن ذلك سيترك آثاراً وخيمة علىٰ الملامح النفسية للطفل، ويدفعه إلىٰ البحث عن ملاذ يطمئن فيه.

٤ ـ **الشعور بالحرمان:** وهذا أيضاً مظهر آخر من مظاهر النقص وخاصة في الجانب العاطفي، وإذا كان الآباء والأمّهات غير مطّلعين علىٰ المعاناة النفسية للطفل أو إنّهم لم يعيروها الأهمية اللازمة، فسيطّلعون يوماً ما علىٰ أن طفلهم قد أُصيب بالانحراف، لا سيّما وأن عدم البلوغ العاطفي والعقلي يؤدي إلىٰ ظهور الكثير من نقاط الضعف، ولا يعرف الطفل كيفية التعويض عن حرمانه بأمور أخرىٰ.

٥ ـ **مسألة الخوف:** أظهر بعض التحقيقات أن الخوف الكثير من

الانحراف يمهّد الأرضية لانحراف الطفل، وذلك لأن الشخص سيخاطر بنفسه ليطّلع علىٰ آثاره. وقد قام بعض علماء النفس بإجراء هذا التحقيق بأنفسهم.

وقد دلّت نفس تلك التحقيقات علىٰ أن بعض الفتيات يحصل لديهن خوف قبل البلوغ من ممارسة الغريزة الجنسية مع الرجل. ولا يُستبعد أن تلجأ ـ للتخلص من هذا الهاجس ـ إلى الانحراف. وهذا الخوف من الجنس الآخر، قد يحصل للذكور أحياناً ويوقعهم في الانحراف.

٦ ـ لفت الانتباه: إن أولئك الأشخاص الذين اقترنت حياتهم بالاستخفاف والاستحقار ولم يحظوا بأي احترام، قد يندفعون إلىٰ الانحراف من أجل كسب احترام الآخرين والاستيلاء علىٰ قلوبهم، وخاصة إذا كان الشخص الآخر مصاباً بالانحراف أيضاً.

٧ ـ حب التسلط أو الخضوع للتسلط: قلنا إن الانحرافات لها جذور نفسية أحياناً، وهذا باستثناء الجذور الاجتماعية والبيئية، أو الجسمية والمادية. ومما لا شك فيه أن جنس الذكور هو الأكثر سطوة وتسلّطاً من بين الجنسين، ولكن السطوة والتسلط يعتبران قضية نسبيّة عند ذلك الجنس، حتى يلحظ في بعض الأحيان أن بعض الأشخاص يخضعون للتسلط لأسباب وعلل بيئية ونفسيّة. إن وجود هاتين الظاهرتين لدى أي شخصين تخلق لديهما شعورين ويتكون بالنتيجة لديهما نوعان من السلوك الجنسي.

٨ ـ تغيير المشاعر: وهذا قد يحصل لأسباب حياتية أو اجتماعية أو نفسية. فإن كانت الأسباب والعلل قوية لدىٰ الشخص ربما تؤدي به إلىٰ الانحراف. إننا وانطلاقاً من الأبعاد والجوانب التربوية لا نقبل بعمل الأمّهات اللواتي يكسين أبناءهن ثياب الجنس الآخر ولأي سبب كان. لأن هذا العامل يخلق عند الأشخاص الأرضية النفسية المستعدة للانحراف.

٩ ـ الشعور بوجود مزايا للجنس الآخر: يتولد لديهم هذا الشعور في بعض الأحيان فيتصورون أنهم لو كانوا من الجنس الآخر لكانوا يتمتّعون بحرية

ومزايا أوفر، ويحصلون علىٰ راحة ولذّة أكثر. وهذا الأمر موجود علىٰ شكل مشاعر سطحية لدىٰ الأشخاص، إلا أنه يعتبر من العوامل المساعدة علىٰ الانحراف. إن الرغبة في الحصول علىٰ مزايا شخصية الجنس الآخر تهيىء الأرضية لدىٰ الشخص للانصياع لهوىٰ أفراد جنسه.

١٠ ـ **المعاناة العاطفية:** أظهرت التحقيقات وجود هذا الانحراف بشكل أوسع في العوائل التي تكثر فيها المشاكل، والعوائل التي فيها جنس واحد من الأبناء، وكذلك في العوائل التي يسودها النزاع والاختلاف بين الأب والأم. وربّما تُعتبر تلك العوامل سبباً لاتساع رقعة هذا الانحراف أو حدّته. وبعبارة أخرىٰ: إن وجود الاختلاف، والجنس الواحد من الأبناء وكثرة المشاكل، لا تُعتبر بحد ذاتها أسباباً لإيجاد الانحراف، بل تُعتبر أسباباً لتقويته وتعميقه.

١١ ـ **حب الاستطلاع:** قد يبدأ الميل إلىٰ الجنس الآخر في بعض الحالات بأفعال عادية ناشئة عن حب الاستطلاع وخاصة في ظل وجود علاقة قوية بين أفراد الجنس الواحد، وهذه الظاهرة تلاحظ عادة في العوائل التي فيها جنس واحد من الأبناء (العوائل التي يكون فيها جميع الأبناء من الذكور أو جميعهم من الإناث) فجميع هذه الأسئلة التي يطرحها الشخص علىٰ أصدقائه وزملائه قد تخلق لديه الأرضية لحصول الأخطاء والانزلاقات.

١٣ ـ **إخماد الغليان الجنسي:** وهذا أيضاً قد يكون عاملاً وسبباً في الانسياق نحو هذا الانحراف. وهذه الظاهرة أكثر ما تصدق علىٰ الأشخاص الذين تعرّضوا لحالة البلوغ المبكّر أو يعيشون في مرحلة المراهقة والبلوغ. فالهم الأكبر بالنسبة لهؤلاء الأشخاص هو التخلّص من هذه الحالة المريرة التي يمرّون بها. وبالنظر لعدم وجود ما يشغلهم فإنهم يشغلون أنفسهم في هذا الأمر. ومما يؤسف له أن انعدام الرقابة والسيطرة يزيد من شدة هذه الظاهرة.

ب ـ الأمراض:

وهناك تحقيقات أُجريت أيضاً في هذا المضمار وأظهرت أن بعض

الأشخاص قد سقطوا في هذه الانحرافات علىٰ أثر إصابتهم ببعض الأمراض النفسية أو المضاعفات الناتجة عنها. ولا شك في أن هذه الانحرافات غير محصورة في هؤلاء المرضىٰ فقط، فالأشخاص الطبيعيون توجد لديهم أيضاً مثل هذه الانحرافات. لكن الفِئة الأكثر عرضة لها هم الذين تنتابهم النوبات العصبية والأشخاص الذين لا يتمتعون بوضع عادي في هذا المجال. ولو أن بعض الانحرافات أمثال الرغبة في مشاهدة عورات الآخرين، وحب إظهار العورة، والسادية والمازوشية ظهرت عند المراهقين فإنها قابلة للعلاج، ويمكن إزالتها بسهولة، ولكن بشرط وجود الرقابة من قبل أولياء الأمر.

ويمكن الإشارة إلىٰ الأمثلة التالية لحالات أولئك المرضىٰ والمصابين:

١ ـ التعرّض للشعور بالضعف: يلاحظ وجود مثل هذا التلوّث بكثرة لدىٰ الأشخاص الذين يصابون بالشعور بالضعف الجنسي حتّىٰ في سنوات ما قبل البلوغ. وربّما يكون اندفاعهم نحو الانحراف بسبب رغبتهم في اختبار أحوالهم.

٢ ـ مرض جنون الارتياب: أظهرت دراسات علماء النفس وجود ميول للانحراف لدىٰ الأشخاص المصابين بمرض جنُون الارتياب (أو جنون الاضطهاد أو جنون العظمة)، مع أن المريض يشعر مالاضطراب الفكري ويشعر بالذنب والحقارة جَرّاء وجود مثل هذه الميول في شخصيته.

٣ ـ مرض الكآبة: تظهر الدراسات أن حتّىٰ أولئك الأشخاص الذين توجد لديهم الأرضية لبروز مرض الكآبة والوهم لو أنّهم تعرّضوا لمثل هذا الانحراف فإنّهم سينشغلون فيه وسيواصلون ممارسته. وهذه الظاهرة تبدأ لدىٰ الفتيات في حدود السنة ١٣ من العمر، ولدىٰ الفتيان بين ١٤ و ١٥ عاماً. وهناك فترة زمنية يمر بها المراهق وهي دورة الاستحالة والانتقال وأولىٰ ملامحها ظهور معالم الكآبة عليها.

ج ـ الضعف الناتج عن الخجل:

نلاحظ في بعض الحالات وجود هذا الانحراف عند المراهقين

الخجولين، ولكنه أكثر انتشاراً عند الأطفال الخجولين. وتشير الدراسات إلىٰ ندرة حدوث الاندفاع الذاتي نحو الانحراف عند الأطفال. لكن الغالبية منهم يصبحون في وضع لا يستطيعون معه التخلص من تلك الحالة. فيُطلب منهم أشياء غير مشروعة فلا يستطيعون الردّ علىٰ ذلك ولا تقديم جواب سلبي علىٰ ما طُلب منهم.

وما أكثر الأطفال الذين لا يبدون أيّة مقاومة إزاء ما يُطلب منهم أو ما يفعل بهم أحياناً من أمور غير مشروعة. فيرضخون أمام التملق أو الطلبات الملحّة. فالخجل والحياء المفرط وحالات الوهن الروحي الأخرىٰ تخلق فيهم مستلزمات الفساد، وتدفعهم نحو الفساد.

وتزداد شدّة هذا الخطر عندما يقترن الخجل بضعف الشخصية أو بانعدام عزّة النفس، أو حينما يكون لدىٰ الطفل استعداد للانحراف، أو حالة من الخمول والضمور، أو الانكفاء واللاأبالية إذ سيصبح الانحراف حينها حَتْميًا.

إنـذار: وكما يلاحظ فإن هناك مسائل دقيقة وحسّاسة تتدخل في انحراف الأبناء. وينبغي علىٰ الوالدين والمربين الانتباه لها ومراقبة أبنائهم لصيانتهم منها. فقد يصبح أدنىٰ نوع من الحرمان، أو الطرد أو عدم المحبّة أو... سبباً لتمهيد أرضية الانحراف. لذا يجب الالتفات إلىٰ هذه النقاط ومراعاتها.

الفصل الرابع
ضحايا الاستغلال الجنسي

مقـدّمـــة:

إن المجتمعات البشرية، مهما يجري عليها من إصلاح، ومهما كانت نسبة الرقابة الأخلاقية والقانونية والانضباطية التي تُنَفّذ بشأنها، فلا بد من وجود عدد من أفراد تلك المجتمعات في حالة انحراف، ويعملون علىٰ تهيئة أرضية الانحراف للآخرين.

إن ما ينبغي أن يكون بمثابة ضوء الخطر بالنسبة للآباء والأمّهات والمسؤولين والمربّين هو وجود الانحرافات في كلّ مجتمع، إذ يتطلب ذلك اتّخاذ الإجراءات اللازمة من أجل صيانة الأبناء. وإيصالهم إلىٰ المراحل المثمرة في الحياة.

ومن جانب آخر لا بد من الإشارة إلىٰ النقطة التالية وهي وجود عدد من الأشخاص في كل مجتمع، وبشكل دائمي يعانون من الغباء وقصر النظر، أو العُقد المرضية والحرمان من المحبّة والجهل وعدم النباهة، فيصبحون علىٰ أثر ذلك ضحايا الاستغلال أمثال هؤلاء المنحرفين والمجرمين. وصيانة الأبناء من أمثال هذه المخاطر تعتبر عملاً في غاية الصعوبة.

مسألة الخداع والإغراء:

يحدث الشذوذ الجنسي وخاصّة لدىٰ الأطفال نتيجة للإغراء والخداع.

فالأطفال الجهلاء وغير الواعين ينخدعون بالإغراءات التي يعرضها عليهم عادة شخص أكبر منهم سناً وهو في مرحلة البلوغ أو أكبر سِنّاً، فتكون النتيجة هي الوقوع في الفخ. فمن المعروف أن الأطفال سريعو التصديق بما يُقال لهم، ولهذا السبب ولكثرة حيائه وخوفه نراه يستجيب لدعوة الآخرين فيسقط في الانحراف.

وقد يحصل أحياناً أن يعاشر الطفل طفلاً آخر ملوثاً ومنحرفاً، فيجرّه نتيجة لهذه المعاشرة ويسقطه في شباك الانحراف. ويمكن ملاحظة مثل هذه الحالات في المدرسة بكثرة. حيث يؤدي شخص واحد ملوّث إلىٰ تلويث عدد كبير من أفراد صفّه ومدرسته.

إن الأشخاص الذين اتخذوا من هذا الانحراف عادة وحرفة لهم، يختارون الأشخاص الأقل ذكاءً أو أقل سِنّاً لكي يستغلوا ضعفهم وقلة تجربتهم لإشباع طبيعتهم الحيوانية الوحشية. وهذا يدل علىٰ أن مسؤولية الكبار في هذا المجال ثقيلة جداً.

العوامل الأخرىٰ للانحراف:

مسألة الإغراء والخداع تُشكل قضية واحدة، إلاّ أن هناك عوامل أخرىٰ تُغذّيها وتزيد من حدّتها، وهذه بدورها تستلزم الاهتمام أيضاً؛ إذ ينبغي محاربتها والقضاء عليها في مهدها وسنشير في ما يلي إلىٰ عدّة حالات منها:

١ ـ الأمثلة والنماذج السيّئة التي لا ينبغي أن تكون في مستوىً أعلىٰ من مستوىٰ الطفل. وقد تكون النماذج السيئة أحياناً من الأتراب والمتماثلين في السن.

٢ ـ التجارب المريرة للانحراف في دور الطفولة والتي تسبب للشخص أنواعاً من الألم والمعاناة النفسية، وتدفعه إما إلىٰ مواصلة نفس المسير الذي سلكه حتىٰ نهاية مرحلة الطفولة، أو أن يقوم بدوره بإغراء الآخرين وخداعهم.

٣ ـ انتهاج الأساليب الأنثوية في التربية، واستعمال أنماط في تربية الأبناء يجب استعمالها بحق الجنس الآخر، مما يؤدي إلىٰ طبع حياتهم بطابع الجنس الآخر. في مثل هؤلاء الأشخاص توجد الأرضية المناسبة للانحراف.

٤ ـ وضع خطّة من قبل شخص بالغ أو شاب للإيقاع بالطفل أو المراهق عن طريق جَرّه تدريجياً إلىٰ أماكن اللعب، وإيجاد دوافع الاشتياق والأنس لديه، وسوقه تدريجياً نحو وادي الانحراف.

٥ ـ استعمال أساليب القوّة والإجبار في إكراه الأطفال الذين ليس لهم مَن يدافع عنهم، أو لهم أب وأم ولكنّهم أيتام عاطفياً.

٦ ـ وجود الأرضية المُعَدّة للانحراف عند الأشخاص المصابين بأمراض الديدان، والأمراض الغددية أو الذين يمتلكون تصوراً ذهنياً مسبقاً في هذا المجال، بسبب المعاشرة السيّئة أو من جرّاء اللمس غير المشروع أو رؤية المشاهد المتهتكة والصور المبتذلة أو سماع مواضيع بهذا الخصوص.

خصائص ضحايا الجنس والمنحرفين:

يمتاز المصابون بالتلوث سواء الذين يؤدون دور المذكر أو دور المؤنث بجملة من الخصائص والميّزات، تُعتبر معرفتها درساً تربوياً للآباء والأمهات، ونشير فيما يلي إلىٰ بعضٍ منها:

١ ـ **الشكل الظاهري**: وهو موجود لدىٰ الجنسين، وميّزاتهم الظاهرية الخاصة لا يمكن فصلها عن بعضها.

ـ ذلك لا يعني أنهم دائماً من الأفراد الأغبياء والمتخلّفين. إذ يوجد بينهم أيضاً أشخاص أذكياء ومثابرين.

ـ وعلىٰ هذا الأساس قد يكون من بينهم أطفال ومراهقون متقدّمون في الدراسة.

ـ الغالبية العظمىٰ منهم يتمتعون بنسبة لا بأس بها من الجمال والهيئة الحسنة في الوجه وترتيب الشعر.

ـ يميلون في السنوات الأعلىٰ إلىٰ ارتداء الثياب الأنيقة والظهور بمنظر جميل بحيث يلفتون إليهم أنظار الآخرين، وهذا الأمر يستوي فيه الذكور والإناث.

ـ لا يستلزم ذلك أن يكونوا من الطبقة الفقيرة فقط فأبناء الأغنياء معرضون لنفس الخطر أيضاً.

ـ عامل أو عقدة الحرمان العاطفي بادية علىٰ أغلبهم بوضوح ويمكن ملاحظتها بسهولة.

٢ ـ السوابق العائلية: هذه الخصائص العائلية توجد فيهم أكثر من غيرهم:

ـ كانت لديهم فترة طفولة مضطربة بسبب وجود اضطرابات ومشاكل في داخل العائلة.

ـ ربما كانوا أحياناً موضع حماية شديدة من قبل الأم أو الأب أو أحد الأقارب.

ـ وربما تكون القضية علىٰ العكس أيضاً أي أنهم لم يحظوا بحنان الأب أو الأم أو الأقارب.

ـ أنه كان موضع أسرار أمّه، أو أنها قد أطلعته علىٰ الكثير من الأسرار والخفايا.

ـ كانوا قد تربوا في عوائل مليئة بالتمييز والاختلاف وكان يفضل فيها بعض الأبناء علىٰ الآخرين.

ـ ضعف السيطرة العائلية وعدم إجراء الرقابة الكافية.

- إنهم كانوا أيتام الأب أو الأم وقد عانوا الكثير من التشريد وعدم الاستقرار.

٣ - في مجال السلوك والتصرفات: في هذا الجانب أيضاً تُلحظ عليهم بعض الخصائص يمكن الإشارة إلىٰ أهمها بالشكل التالي:

- الأشخاص الذين يكونون في موقع الفاعل في هذا الانحراف تمتاز تصرفاتهم بالتطبيل والجعجعة ويميلون إلىٰ السيطرة والتسلط.

- وتظهر علىٰ ضحايا هذا العمل مواصفات الرضوخ والاستكانة والتي ربما تكون طرأت عليهم بالتدريج.

تظهر بعض التحقيقات أن ضحايا هذا السلوك يختلفون عن الآخرين حتّىٰ من الناحية البدنية. فقوامهم وتركيب بدنهم لا ينم عن طابع الرجولة، بل له ميزته الخاصّة. (يبدو أن هذا النمط من التفكير غير صحيح. وربّما يكونون قد أصبحوا علىٰ هذه الهيئة لاحقاً وقد ارتسمت عليهم بالتدريج علىٰ أثر مواصلتهم لهذا الانحراف وبسبب مجموعة أخرىٰ من العوامل).

- يبدو هذا الانحراف بارزاً وواضحاً للعيان في تصرفات الكبار والبالغين حديثاً حيث يظهر علىٰ سلوكهم الطابع النسائي، وحتّىٰ تغيير الصوت وطريقة التصرف، وحتّىٰ إنهم يحاولون لفت نظر الآخرين أو القيام ببعض الحركات بغنج ودلال.

٤ - مشاعرهم: أما الأحاسيس التي يشعرون بها من جَرّاء ارتكابهم لهذا الانحراف فإن بعض التحقيقات تشير إلىٰ المظاهر التالية:

- يشعرون بالخجل من تصرفهم، لكنهم يفتقدون الإرادة الكافية لمواجهته وتركه.

- في الحالات التي يتكرر فيها تصرفهم هذا، ويتخذ طابعاً عادياً، تصبح لديهم حالة من عدم الحياء واللاأبالية الجنسية.

ـ يسودهم نوع من الشعور بالأنوثة، بحيث يرون أنفسهم في دوَر المراهقة بحاجة إلىٰ التجميل وتزيين ظاهرهم.

ـ يشعرون بالأمان في الانعزال والوحدة، وفي الحياة الجماعية يظهر عليهم القلق والاضطراب.

ـ بعد ارتكابهم للعمل ينعقد في صدورهم كره وحقد علىٰ مَن كان السبب في انحرافهم لأنه هو المسبب الأصلي لحصول مثل هذه الجرائم، وفي بعض الأحيان قد يعمدون إلىٰ قتله.

ـ تجربة هذا الانحراف في دور الطفولة تترك آثاراً عميقة في نفس الطفل تدريجياً وتوجد في نفسه شعوراً بالحقارة.

ـ قد يحدث أحياناً ونتيجة لتكرار هذا العمل نوع من التعوّد علىٰ الاستغراق في التفكير لدىٰ البعض منهم وكأنما يتمنّون استبدال جنسهم.

ـ الأشخاص غير المعتادين علىٰ هذا الانحراف، يتنابهم أحياناً شعور ذكري، وأحياناً شعور أنثوي، وهذا ينم عن حالة من التضاد أو التناقض.

٥ ـ في الجانب النفسي: الكثير من الذين يمارسون هذا الانحراف لا يمتازون بنفسيّة سليمة ومتّزنة، ويعتبر علماءُ النفْس سلوكهم غير طبيعي، بل حتّىٰ يصفونه بالسلوك المرضي، ويُلحظ وجود الأمراض النفسية لدىٰ الكثير منهم، ويَبدو عليهم الاختلال النفسي بكثرة وخاصة بالنسبة لأولئك الذين يؤدّون دور الأنوثة في هذا الانحراف.

فقد أشارت بعض التحقيقات أن ما يقارب ٨٦ ٪ من هؤلاء الأشخاص مصابون بالاضطرابات والاهتزازات النفسية، وتمكن علماء النفس من ملاحظة وجود مثل هذا الاختلال، ووفقاً للملاكات القائمة، لدىٰ ١٤ ٪ منهم فقط، ولهذا فقد شخّصوا عدم وجود أي عيب أو نقص فيهم!!

ويلاحظ لدىٰ الكثير من هؤلاء الأشخاص نقصاً عقلياً وضعفاً في

الذكاء، وسرعة في التصديق، وحالة من الانقياد أو التسلط، وضعف في الجسم، بل وحتّىٰ في الغريزة، وقد لوحظ في أحد التحقيقات التي أُجريت في هذا المجال أن تصف الأشخاص الذين شملهم التحقيق يمتازون بدرجة أدنىٰ من الحد المتعارف في الذكاء، وأن الأضعف فيهم كان موضع استغلال الجانب الآخر.

إمكانية التلاؤم الاجتماعي والعملي والانضباطي والثقافي قليلة لديهم، خاصة وأنهم يدركون لو أن انحرافهم أفتضح بين الناس، فلن يلقىٰ أيَّ تأييد، ويتهرّبون دوماً من الجماعة والضوابط الاجتماعية، خوفاً من أنكشاف سرهم وذهاب ماء وجوههم.

علاقات الأطفال مع الأكبر منهم سناً:

إن وجود العلاقة بين أطفالنا والأشخاص الأكبر ضرورة لا بد منها، من أجل أن يدخلوا ميدان الحياة، وهم ناضجين ومجرّبين، إلا أننا نعتقد بوجوب كون مثل هذه العلاقة مدروسة وخاضعة للرقابة والإشراف، ولا تكون إلّا مع أناس معروفين بالنسبة لنا، والمسؤولية في هذا الشأن تقع علىٰ عاتق الآباء والأمّهات.

يجب تحذيرهم بشدة من إقامة علاقات في الخفاء مع أشخاص غير معروفين، لكي لا تُعقد علاقات الصداقة في الخفاء، وتؤدي إلىٰ حدوث الفضائح، وهنا ينبغي أيضاً القيام بنوع آخر من الرقابة ألا وهو منع أختلاط الأطفال ومعاشرة الأشخاص البالغين حديثاً أو المراهقين الذين هم علىٰ مشارف البلوغ إلّا إذا كانت علاقاتهم خاضعة للرقابة. لأن بعض التحقيقات أظهرت أن هؤلاء يقومون بإغواء وخداع الأطفال وجرهم إلىٰ الفساد وبأساليب القهر والذرائع المختلفة.

الانسياق وراء الشهوة لدىٰ البالغين حديثاً هو نوع من إثبات الوجود، وهؤلاء يخدعون الأطفال من أجل إثبات وجودهم، ومع الأسف نراهم أحياناً

يتباهون بهذا الانحراف أيضاً، وهذا يُعتبر بذاته خطراً آخر علىٰ المجتمع.

تحذير آخر:

نواجه في بعض الأحيان أشخاصاً سائبين وكباراً في السن يمارسون الانحراف. فهؤلاء وبسبب ضعف قواهم الجسمية والغريزية. ينقطعون عن الحياة والزوجة والعائلة ويتّجهون نحو الأطفال. مثل هؤلاء الأشخاص وحتّىٰ في حالات الاختلال النفسي أو جنون الشيخوخة يقدمون علىٰ هتك الأعراض ولا يتورّعون حتّىٰ عن التجاوز علىٰ المحارم، فما بالك بالأطفال الذين لا راعي ولا ناصر لهم.

وكما نتصورهم، فهم كبار في السن، ولديهم عائلة وأبناء وأحفاد، لكن اختلال الشيخوخة قد أفقدهم صوابهم، فهم يشبعون أنفسهم عن طريق إجبار الأطفال علىٰ المداعبة، ومشاهدة الجهاز التناسلي أو رؤية العلاقات الجنسية، أو حتى ممارسة الانحراف مع أشخاص من جنسهم.

ومع ما يجب علىٰ الوالدين والمربين القيام به من مراقبة هذه الحالة، يجب عليهم أن يكونوا علىٰ حذر من الساديّة الجنسية لهذه الفئة وغيرها من كبار السن، الذين يقدمون علىٰ إيذاء أو قتل الأطفال والمراهقين بكل قسوة من بعد ارتكابهم للجريمة.

نقاط مهمة:

١ ـ تلويث الأطفال يترك آثاراً سلبية علىٰ نفسيّتهم وسلوكهم في السنوات اللاحقة، ولن تكون أوضاع مثل هؤلاء الأطفال عادية فيما بعد.

٢ ـ ظهور الميول السادية والمازوشية (سنبحثها بالتفصيل) ينجم أحياناً عن تجربة جنسيّة مريرة عند الأطفال، وعلىٰ صورة أنعكاس شرطي للعلاقة الغريزية المصحوبة بالإدراك والألم.

٣ ـ مسألة حسن الظاهر والتجميل ذات صلة بالدوافع الجنسية، والأطفال الأجمل هم الضحايا الأكثر لمتعطشي الشهوة.

٤ ـ الذين وقعوا ضحيّة لاستغلال الآخرين، يحاولون أحياناً العثور علىٰ صيد وضحيّة، وعلىٰ هذا النمط تنتشرُ الفحشاء ويشيع الانحراف.

٥ ـ جر الطفل إلىٰ الانحراف يؤدي إلىٰ إثارة الشعور المبكر بالوضعية الجنسية، والإيقاظ في غير الأوان المناسب والذي لا يخلو من خطورة.

٦ ـ ومع حصول الانحراف تطرح قضية ظهور وانتشار الأمراض الجنسية التي تشكل خطراً آخر علىٰ المجتمع.

٧ ـ هذا الانحراف موجود بين الإناث أيضاً، ولكن بصورة أخرىٰ، وعلىٰ الوالدين والمربّين المحاذرة في هذا الجانب.

الفصل الخامس

الوقاية من الانحراف (الشذوذ الجنسي) ومعالجته

مقـدّمــة:

من الناحية العلمية لم تُكتشف لحد الآن الجذور الأساسية لهذا الانحراف. ولا يمكن القطع بأن العامل الفلاني هو السبب في ظهور مثل هذا الانحراف. وكل ما يذكر هو مجموعة من الآراء في هذا المجال، بحيث أن حل المسألة من وجهة نظر معيّنة يقتضي اقترانها ببقية العوامل الاجتماعية والحياتية والطبيّة والنفسية و. . .

ومن جانب آخر هناك نقطة أخرىٰ تستوجب الإشارة إليها وهي وجوب إكراه الأشخاص المنحرفين علىٰ تكوين رغبة في نفوسهم علىٰ ترك سلوكهم المنحرف، وما دامت هذه الرغبة غير موجودة فلن تكون هناك إمكانية للعلاج. يمكن الوصول إلىٰ هذا الهدف عن طريق التذكير والنصح والإرشاد والأساليب الأخرىٰ في التلقين.

أنماط التفكير بشأن هذا الانحراف:

مما يؤسف له أن بعض علماء النفس ينظر إلىٰ هذه القضية ـ خلافاً للأديان السماوية ـ نظرة باهتة لا أبالية. وحتّىٰ أن أشخاصاً من أمثال (هاولوك آليس) عالم النفس البريطاني يقول: يجب عدم اعتباره نوعاً من المرض، لأن الانحرافات تحتوي علىٰ شواهد من الفن والنبوغ وفقاً لأقوال (وأنت وجونز) وأن ٣٠٪ من المنحرفين هم أصحاب قريحة وذوق فني وأدبي وكانوا من

العظماء!!

أما نمط التفكير في الإسلام والأديان السماوية الأخرىٰ، وحتىٰ الفطرة الإنسانية فهي جميعاً تعارض هذا الانحراف. فهذه الأفكار مرفوضة من قبل الكثير من الشعوب المتحضرة وحتى المتوحشة منها في عالم اليوم. ومع شديد الأسف فإن الحياة في الأجواء الملوّثة والمليئة بالفساد تؤدي بالناس إلىٰ الانقياد إلىٰ بعض أنماط التفكير، وتدفعهم إلىٰ التنازل عن آرائهم وأفكارهم، ولا تسمح لهم حتّىٰ بالتفكير فيما سيؤول إليه مستقبل الحياة البشرية، وبقاء النسل البشري، فيما لو اتّسعت هذه الميول والأفكار؟

خطورة هذا الانحراف:

إن الأشخاص الذين يشبعون غريزتهم من خلال ممارستهم لهذا السلوك يشكّلون خطراً علىٰ المجتمع وبقاء النسل البشري، وهي نفس المشكلة التي أشار إليها القرآن بشأن الأقوام السالفة والأمم البائدة. فالأشخاص الذين يمارسون هذه العادة قد يتعرضون للإصابة بالعنن أما الذين يقعون ضحية لاستغلال الآخرين فهم بدورهم يتعرضون أيضاً إلىٰ مجموعة من المخاطر الأخرىٰ. فهم بالإضافة إلىٰ سقوطهم مدىٰ الحياة، يتعرضون نفسياً لخسائر جسيمة لا يمكن جبرها فيما يخص حياتهم الجنسيّة. وسيبقىٰ لهذا التفكير أثراً في حياتهم لسنوات متمادية. وسيقومون أنفسهم بممارسة هذا السلوك أيضاً لا سيما من أجل التعويض عن الشعور بالحقارة والتلوّث، فيصبحون بذاتهم عاملاً في نشر الانحراف.

وستبقىٰ المخاطر النفسية فيهم لسنوات طويلة تضع المشاكل علىٰ طريق شعورهم بالاستقلال وإحساسهم بعزة وكرامة أنفسهم، وهذا مما يضاعف قلقهم واضطرابهم. هذا بالإضافة إلىٰ ما يتعرضون له من مخاطر الإصابة بالأمراض، أو الإصابة أحياناً بمرض السادية.

آثار هذا الانحراف:

يؤدي الانحراف المذكور إلىٰ ظهور أعراض وآثار وخيمة في حياة الفرد والمجتمع، سبقت مِنّا الإشارة إلىٰ بعضها ونضيف إليها فيما يلي حالات أخرىٰ:

١ ـ في جانب التفاعل الاجتماعي:

دلّت بعض الدراسات علىٰ أن الذين يمارسون الشذوذ الجنسي يتعرض تفاعلهم الاجتماعي والعملي وحتّىٰ الجنسي إلىٰ الخطر في المستقبل؛ لعدم إمكانية قضاء حاجتهم التي اعتادوا عليها. فيلاقون بالنتيجة مصاعب جمّة ويبقىٰ سلوكهم الجنسي وميولهم الجنسية غير واضحة المعالم إلىٰ مدّة طويلة وحتّىٰ بعد البلوغ. وهذا له أثره البالغ علىٰ أحداث حياتهم.

٢ ـ في العلاقات العائلية:

ينعكس آثار هذا الانحراف بشكل أو آخر علىٰ العلاقات العائلية. وما أكثر المنحرفين الذين يوجدون حالة من الذعر وانعدام الأمان في هذا المضمار. لوحظ في بعض العوائل أن الإبن الأكبر استخدم أساليب الإغراء والخداع، وفي بعض الحالات استخدم أساليب التهديد أيضاً ودفع أحد أفراد عائلته إلىٰ الانحراف. لكن الإبن الضحيّة ولأسباب معيّنة أخفىٰ الأمر عن أمه وأبيه. فحتّىٰ الأهل والأقارب لم يسلموا من هذا التلوّث، لأنَّ الملوّثين يستغلّون أيّا شاؤوا ويستعملون كل الأساليب القذرة.

٣ ـ في الجانب الروحي والجسدي:

الاستمرار في هذا السلوك يهيىء الأرضية بالتدريج لاستفحال المرض في الشخص الضحية، ويوقف المسار الطبيعي لحياته، وبالشكل الذي يجعل من الصعوبة عليه الاتّساق مع الحياة العائلية والزوجية. فهو في خوف دائم من احتمال فقدان شهوته ومحبوبيته، ويعيش صراعاً داخلياً عنيفاً. الخجل والحياء المنحرف، وأحياناً عدم الأبالية الجنسية هو من عوامل التمادي في الانحراف.

فالميل إلىٰ نفس الجنس، حسب رأي علماء النفس، يُعتبر مصدراً للكثير من الاضطرابات الروحية والأمراض النفسية، وهذا أكثر ما ينطبق علىٰ الضحايا، وقليل هم الأشخاص الذين يتخذون فيما بعد حالة طبيعية ووضعاً عادياً في الحياة، أو يمكنهم العيش في حريّة وكرامة. يشعرون دوماً بالخجل من أنفسهم حتّىٰ وإن لم يجر الحديث بما يخجلون منه.

ضرورة الوقاية والعلاج:

وعلىٰ هذا الأساس ومن أجل الالتزام بالتعاليم الشرعيّة يصبح من الضروري اتخاذ الإجراءات اللازمة في هذا الصدد. والضرورة تستلزم القيام بهذه الإجراءات في جانبين: أحدهما في جانب الوقاية للحيلولة دون أستشراء التلوث ولكي لا يتعقد الوضع علىٰ الأبناء والعوائل وينتهي في آخر المطاف بالفضيحة. والجانب الآخر هو معالجة الملوّثين.

في الجانب الوقائي هناك عدد من النقاط التي ينبغي علىٰ الوالدين والمربين الالتفات لها والتقيّد بها. وفي الجانب العلاجي أيضاً قد تستدعي الحاجة أحياناً أنواعاً من العلاج الطبي والنفسي و....، وهذا ما يستوجب الإشارة إليه أيضاً. ومن حسن الحظ أن هناك إمكانية للوقاية من هذا التلوث أو معالجته وإعادة الملوّثين إلىٰ الحياة الطبيعية. وهذا يشكل بارقة أمل لمَن يبغي إصلاح الأبناء والمجتمع.

المهم هو تهيئة الفرد لقبول الإصلاح، وهذا يسير بالنسبة للأطفال، ويصبح أكثر صعوبة في دور المراهقة والبلوغ، وقد سبق لنا وأن قلنا بشأن إصلاح هذا الانحراف: إن الشخص ما دام غير راغب فيه، فلن تكون هناك أيّة إمكانية في النجاح. ويمكن استغلال اعتزاز الفتيان والفتيات بمفاهيم الشرف والعزّة، إذ أنّ جذورها مغروسة فيهم فطرياً، من أجل إيجاد الأرضية المناسبة فيهم وتوجيههم بالإيحاء والتلقين بعدم القبول بأي نمط أو أسلوب انحرافي.

إن توعية الأطفال إلىٰ قيمتهم وأهمية شخصيّتهم بإمكانها التأثير فيهم. شجّعوا الأولاد علىٰ الاعتزاز بجنسهم، والافتخار بدوام رجولتهم، ومن خلال طرحكم لمواضيع في هذا المجال ربّوا البنات علىٰ الاعتزاز بأنوثتهن وحثّوهن علىٰ الابتعاد عن المخاطر التي تهدد شخصيتهن.

المراقبة اللازمة:

من أجل أن يبلغ الطفل مبلغاً حسناً يجب علىٰ الوالدين والمربين أن يؤدّوا دور الفلّاح والحارس تجاهه، فينبغي عليهم إبعاده عن الأشواك والأعشاب الضارّة. ولا يدعوا العواصف والطوفان يصل إليه. دائرة هذه الرقابة واسعة، ويتمثل بعضها فيما يأتي من نقاط :

١ ـ مراقبة المعاشرة: يجب علىٰ الآباء والأمهات والمربين إبعاد الأبناء عن التأثيرات المعقّدة الناتجة عن المعاشرة وما قد يتمخّض عنها أحياناً من مساوىء تربوية، وأن يضعوا ومنذ دور الطفولة الموانع التي تحول دون أنزلاقه في الانحراف الجنسي، لكي لا يتجه وجهة منحرفة.

إن الشخصية الاجتماعية للطفل تتبلور في ظل المعاشرة، ولكن ينبغي أن لا يكون ذلك بأي ثمن كان أو بشكل سافر ومتحلل. فعندما تستيقظ الغريزة الجنسية تصبح العلاقات الاجتماعية والصداقة ذات صورة أخرىٰ وتعبّر عن معانٍ أخرىٰ. ولا يمكن أن تتمثل دوماً بالصلاح والمصلحة.

٢ ـ مراقبة الأشخاص الجدد:

لا بد وأن يثير التغيير المستمر في الصداقة والأصدقاء والعلاقات أثناء دور الطفولة والمراهقة أسئلة في ذهن الوالدين بأن ابنهم قد غيّر أصدقاءه. فمَن هم هؤلاء؟ وما هي أخلاقهم؟ وما هي النقاط المثيرة التي جذبته نحو هؤلاء الأصدقاء؟

اعرفوا الأصدقاء غير الأبرياء لأطفالكم، راقبوا أحاديثهم وكلماتهم

وطرائفهم وكلامهم البذيء. وحتّىٰ راقبوا الخادم والخادمة في البيت، وخاصة نمط تعاملهم مع الأبناء وخاصة في الساعات التي تقضونها خارج البيت وتدعون الأطفال بين أيديهم.

٣ ـ **علاقات الوالدين وأعضاء العائلة**: يجب علىٰ الوالدين التزام الحذر في علاقتهما مع بعضهما أمام ناظري الطفل. فلا يكون لتصرفهما وسلوكهما انعكاس سلبي علىٰ ذهنه. وحتّىٰ علاقات الأخ والأخت في البيت يجب أن تخضع لرقابة الوالدين. فيكون منامهما ومحل استراحتهما كل علىٰ حِدة.

لا يمكن إنكار دور البيئة في التربية، فالشخصية الاجتماعية لأطفالنا تتخذ طابعها في ظل المحيط الاجتماعي. في بعض الظروف تصبح الأجواء الخفيّة والأماكن المعزولة أخطاراً تهدد أطفالنا. لا سيّما لو توفرت المقدّمات التمهيدية والظروف المكانية الملائمة، فهذه كلّها من العوامل المساعدة علىٰ التلوّث.

٤ ـ **التربية وفقاً للهوية الجنسية**: ينبغي تعويد الأبناء منذ دور الطفولة علىٰ اتخاذ أسلوبهم في الحياة وفقاً لهويتهم الجنسية، فإمّا الأسلوب الرجالي وإما النسائي، وأن لا تشعر البنت بالحقارة لكونها بنتاً، ولا الولد لكونه ولداً. وينبغي الاهتمام بشخصيتهما لأنها في حالة نضج ومراقبة طباعهما ومزاجهما الشديد التأثر.

فالعوائل التي لديها أولاد فقط وليس فيها بنات أو بالعكس نراها أحياناً تنتهج أسلوباً ـ عن وعي أو جهل ـ يقوم علىٰ تربية الإبن وفقاً لنمط الجنس الآخر، وهذا من أسباب التلوّث لاحقاً. والأسلوب الصحيح في تفادي وقوع مثل هذه الحالات، أو إصلاح مثل هؤلاء الأشخاص هو استبدال النمط الرجالي أو النسائي في سلوك الآخر، وتوجيه كل واحد منهم نحو منوال حياته ووفقاً لمساره الجنسي.

٥ ـ **ملاحظة البيئة والأماكن التي يعيش فيها الأطفال**: أبعدوا الأطفال عن

البيئة السيّئة والمؤدية إلىٰ التلوث. ففي الأماكن التي يقترن فيها السلوك بالتحلل ويسودها الهرج والمرج والحريّة الجنسية، والأماكن التي تُطلق فيها الأحاديث والكلمات بدون رقيب تسود العلاقات غير المشروعة والمخالفة للأخلاق. وهذا ما يستدعي الحذر والانتباه.

فالبيئة المتحللة تقدّم للأبناء أمثلة ونماذج سيئة، سواء كانت تلك البيئة تعكس أسلوباً منحرفاً جديّاً أو هزلياً. فتبادل الأسرار، والمغازلات، والكنايات، والألغاز ليست أموراً عابرة، أو أنها لا تؤثر في الطفل ولا يفهم معانيها.

العـلاج:

نحتاج في بعض الأحيان مراجعة الطبيب لغرض المعالجة، وذلك عندما تكون الحالة ناشئة عن أسباب عضوية وإفرازات غددية مضطربة، فيلجأ الطبيب إلىٰ أسلوبه الخاص في وصف الدواء المناسب.

وفي نفس الوقت ستكون هناك حاجة للعلاج النفسي. أوجدوا في روح الأبناء منذ دور الطفولة قدرة علىٰ الدفاع والمقاومة، بالشكل الذي يمكنهم من الحفاظ علىٰ أنفسهم وصيانتها من المخاطر. أفهموهم أن تصرفهم غير صحيح ويجب عليهم تركه عن رغبة وطواعية.

فالعلاقة التي نجم عنها تلويث شخصين تستحق القضاء عليها من خلال تفريقهما عن بعضهما، ومن المؤكد أن فصل أحدهما عن الآخر سيُخمد في قلبيهما لهيب الشوق والحماس. استبدلوا أصدقاء الأبناء، وحتىٰ غيّروا مدرستهم عند الإمكان، وحثّوهم علىٰ النشاطات الجماعية الأخرىٰ.

زوال الانحراف:

تنكمش هذه الحالة لديهم من خلال النصائح والتوجيهات أو عن طريق

التهديد والتخويف.

وربما تنحسر عنهم كل هذه الميول والرغبات بين سن ١٣ ـ ١٤ سنة بشرط القيام بالمراقبة والإشراف، وتزول تقريباً في أوائل مرحلة البلوغ. بعد الوصول إلىٰ مرحلة البلوغ يُصبح هناك أمل كبير بخروج الشخص من كونه ضحية للاستغلال من قبل الآخرين، لكن هناك خطر آخر يتهدده ألا وهو إجادته في تأدية دوره الرجولي.

ومع نضوج الشخص ودخوله في دور البلوغ والشباب يجب أن يحل الزواج والعلاقات الزوجيّة بدل هذه الظاهرة، وطبعاً هذا يتطلب التوجيه والإرشاد من الوالدين. والنضج العقلي والإيماني عند الأشخاص، سيحل كثيراً من المشاكل ويحول دون الكثير من أنواع التحلل.

الباب الثامن
الانحرافات الأخرىٰ عند الأطفال والمراهقين

نشير في هذا الباب إلىٰ مسألتين مهمتين في مجال الانحرافات الجنسية وانحرافات الأطفال. الفصل الأول منهما تحت عنوان التظاهر الجنسي، والثاني تحت عنوان الانحرافات الأخرىٰ.

توجد لدىٰ بعض الأطفال والأشخاص المنحرفين حالة التظاهر الجنسي. بمعنىٰ أنهم يحاولون إرائه أنفسهم للآخرين. وهذه الحالة تكثر لدىٰ الأشخاص الذين يعانون من قلة الذكاء أو الأمراض النفسية أحياناً. نحاول في هذا الجزء مناقشة أساس هذا الانحراف، وعمل هؤلاء المنحرفين وبداية ظهوره، والتعليل العلمي لهذا النمط من السلوك. ومن ثم سنتطرق إلىٰ التعريف بدوافعه والهيئة المميّزة لمثل هؤلاء الأشخاص، ومن بعد ذلك إلىٰ أساليب الوقاية والعلاج.

ونبحث في الفصل التالي في الانحرافات الأخرىٰ عند الأطفال والمراهقين ومنها إشباع النظر. وسنقوم أيضاً بالتعريف بهذا المرض وخصائصه وبهذه الفئة بالإضافة إلىٰ المقاصد والأغراض المبتغاة من ورائه ومن ثم أساليب معالجته. وسوف نبحث أيضاً في علاقتهم بالجنس الآخر والسن التي يظهر فيها هذا الانحراف. وأخيراً سنتحدّث في نهاية الموضوع عن الحالات الأخرىٰ التي تستوجب الإشلرة حيث سنختتم بها هذا الفصل.

الفصل الأول

التظاهر الجنسي

تُقسم الانحرافات الجنسية عند الأطفال والمراهقين والشباب بشكل عام إلىٰ قسمين:

١ ـ الانحرافات الموجودة عند الشخص ولها طبيعة وتجسيد خارجي ينمُّ عنها، ومعنىٰ ذلك أن الانحراف في أساسه هدف جنسي ويمكننا العثور علىٰ تجسيدٍ لهذا الشعور في الميل إلىٰ أفراد نفس الجنس. ولو أن مثل هذه الظاهرة قُدّر لها ـ لا سمح الله ـ الرواج والانتشار، فإن البناء العائلي سيتعرّض للانهيار، ويصبح بقاء الجنس البشري في خطر.

٢ ـ الانحرافات التي تصب في مجرىٰ الإشباع الذاتي والتشفّي، ولكن بصورة مخالفة للشرع والعرف والآداب الاجتماعية والأخلاقية، ونحن نرىٰ هذا الانحراف يتجسد في التظاهر الجنسي وإشباع النظر، وسنتحدث عنه في فصل آخر.

مسألة التظاهر الجنسي:

التظاهر الجنسي حالة واسعة الانتشار وتتعلق أساساً بالأشخاص المصابين بالأمراض النفسية وكبار السن الذين آستحوذ عليهم جنون الشيخوخة. ولكنها تُخلط أحياناً حتىٰ لدىٰ الأطفال والمراهقين أيضاً، وهي تنبثق من العادات المغلوطة وعدم الأبالية الجنسية، والحاجات الشخصية. وقد أعتبروا السبب الأساسي لها عند كبار السن هو الخوف من العنن

والارتداد الروحي. وسببها لدىٰ صغار السن هو التخفيف من القيود الأخلاقية والقانونية.

يشيع هذا الانحراف عادة بين النساء والفتيات أكثر منه بين الرجال والفتيان ويتجسد بصور مختلفة، منها ارتداء الملابس الملوّنة، والقيام بحركات خاصة ومضحكة، وأداء بعض الأطوار، والغرض العام والأساسي منها هو لفت أنتباه الآخرين.

والمتظاهر الجنسي هو الشخص الذي يجعل بدنه العاري أمام أنظار الآخرين عمداً. (ولكن بالشكل الذي لا يتصوره الآخرون عن عمد). وبهذا الأسلوب فهو يلتذ ويسكن ذاته. وفي الحالات التي يتصرف فيها المريض بوقاحة قد يقدم علىٰ هذا الأمر بدون أي اكتراث، ويعرض الجانب العملي منه أيضاً.

أساس مسألة التظاهر الجنسي:

تُعتبر هذه الظاهرة حالة انفعالية ناشئة علىٰ الأغلب من الشعور بالانكسار والإحباط في داخل النفس، وأحياناً تكون لهذا العمل صورة انتقامية. وليس من الضروري أن يجسد عدم الاكتراث نفسه عن طريق استعراض الذات، فقد يعمد أحياناً إلىٰ ذكر ذلك الأمر بدون أي حياء أو خجل.

فهؤلاء لا يشعرون بالخجل من تعرية أجسامهم أمام الآخرين، بل ويحاولون أن يحدث هذا الأمر بالشكل الذي يسترعي انتباه الآخرين. وحتىٰ أن عدم اكتراثهم يلاحظ في الأماكن العامّة أيضاً. فهم لا يخشون التعري أمام الآخرين، والقيام بعملية الاستعراض الذاتي.

وإذا وقع نظر الكثير منهم علىٰ صورة خليعة، فإنّهم يتفحّصونها بشوق وإنّهم لا يتمالكون أنفسهم حتّىٰ أمام الآخرين. أو أنّهم يتناقشون حول تلك الصورة ويعبّرون عن رأيهم فيها، ويعرضونها علىٰ الآخرين.

ابتداء هذه الظاهرة:

هناك سؤال يطرح عن وقت ابتداء هذه الحالة، والجواب هو: أن هذه الظاهرة قد تبدأ من سن الرابعة وبصورة واعية. وتوضيح ذلك هو أن جميع علماء النفس يتّفقون علىٰ أن ظهور الشخصية بمعناها العام يبدأ في سن الثالثة. فالطفل يدرك ذاته ووجوده في هذه السن وبشكل أو آخر ويَعُدّ نفسه وجوداً بين الوجودات الأخرىٰ، ورأساً من الرؤوس، ويصبح له اطلاع علىٰ جميع أعضائه، ويبدأ باللعب مع نفسه.

ويشير جماعة من علماء النفس إلىٰ أن ظهور هذه الحالة بقصد الاستمرار فيها يبدأ في سن السادسة، ونحن نعلم أن هذه السن يبدأ فيها الطفل يشعر بالحياء، وفيها يكون وجوب الاحتجاب والامتناع عن كثير من الأعمال والتصرفات المخالفة للأعراف والعادات.

ومن الطبيعي أن هذا السلوك إذا لم يواجه منذ أيّامه الأولىٰ، ستكون آثاره وخيمة علىٰ حياة الطفل المستقبلية. وتزداد خطورة هذا التصرّف عندما يواجه بالتشجيع من قبل الوالدين أو الآخرين، وينظرون إليه باعتباره واحداً من التصرّفات المثيرة في فترة الطفولة. ففي مثل هذه الوضعية سيعتبره الطفل أمراً عادياً، بشكل يؤدي لزوال فكرة قبح العمل.

التعليل النفسي للمسألة:

يعتبر عدد من علماء النفس مثل هذا التظاهر الجنسي نوعاً من الأمراض النفسية أو الآثار الناتجة عن مرض نفسي. فقد ذكرت إحدىٰ الإحصائيات أن عدداً كبيراً منهم كان يُعاني من النقص العقلي أو الجنون، أو له شخصية معادية للمجتمع، أو أنه يعاني علىٰ أقل تقدير من عدم النضوج العاطفي، ويلحظ عليهم الاضطراب النفسي أو وجود ميول مستهجنة يحاولون إشباع أنفسهم عن طريقها.

ويشير عدد آخر من أصحاب الرأي إلىٰ أن وجودها عند الأشخاص الأكبر سِنّاً يعكس حالة من الانتكاس في العلاقات، ويعتقدون بأن مثل هذا الشخص يقع تحت التأثير الشديد للأماني والآمال الشخصية. فالنضوج الفكري والنفسي لديه ضعيف. وهو مصاب بمرض نفسي أو حالة من الجنون الخفيف، علىٰ أقل تقدير.

وفي بعض الحالات يتّخذ هذا الاستعراض الجنسي الذاتي طابعاً عدوانياً ورغبة في الانتقام. محاولاً بهذا الأسلوب تجاهل قيم العفاف الاجتماعي وإشباع ذاته، وهذا بذاته نوع من السلوك المنحرف وغير الناضج.

وعلىٰ أية حال فهذا النمط من السلوك حالة غير سليمة، وهو خطأ وانحراف يعبّر في حقيقته عن دعوة الشخص للآخرين، بأن يأتوا ويقضوا له حاجته، ولهذا ينبغي المسارعة في معالجة هذا الشخص وهي مهمة عسيرة نسبياً. غير أن علاجها لدىٰ الأطفال يسير جداً؛ لأن انحرافهم له طابع أخلاقي أكثر مما هو نفسي.

الهيئة الظاهرية للمنحرفين:

أُجريت بعض الدراسات للتعرف علىٰ الفئة التي يكثر فيها هذا الانحراف، ومَن هم أكثر الناس عرضة للسقوط فيه، فتبيّن أن الأطفال والمراهقين هم أكثر الفئات من أولئك الذين لهم ارتباط عاطفي مفرط بالأب والأم، واتصالهم بأفراد المجتمع قليل. وهم أشخاص هادئون ومطيعون بشكل استثنائي، لديهم شعور شديد بعدم الكفاءة وتنتابهم مشاعر عميقة بعدم الأمان في جانب العلاقات الشخصية.

بعضهم مصاب بنقص عضوي أو جسمي فادح. لا يمتلكون السعة النفسية الكافية لتمالك أنفسهم، تربيتهم كانت غير صالحة وقد نموا وكبروا في أجواء غير مناسبة، ولم يحظوا بالرعاية التربوية الكافية من قبل الأب والأم.

وكما أشارت الدراسات أيضاً، بأنهم نموا في أجواء عاشروا خلالها أشخاصاً متحللين وغير صالحين، وكانت النماذج التي يقتدون بها غير سليمة، ولم يحصلوا علىٰ النفح الأخلاقي الكافي. ومن المؤسف أن هذا السلوك أكثر شيوعاً بين الفتيات منه لدىٰ الفتيان.

جانبهم الأخلاقي:

يبدو الانحطاط الأخلاقي واضحاً جلياً في تصرفاتهم، وبالإضافة إلىٰ ذلك تشير سوابقهم الحياتية إلىٰ عدم حصولهم علىٰ التربية الأخلاقية اللائقة. ولم يسبق لهم وأن سمعوا بكلمات الخجل والحياء لا في البيت ولا في المدرسة، وكانوا يعانون من عقد النقص والإحباط في المجالات المختلفة.

بعضهم تعرّض للانتهاك والاستغلال من قبل الآخرين، وقد خدعهم الآخرون وأسقطوهم، وها هي تصرفاتهم اليوم تعكس حالة من حب الانتقام أو حل العقد وإزالتها، أو العمل المضاد للمجتمع. وتشير بعض الدراسات إلىٰ أنّ مثل هؤلاء الأفراد كانوا أو لا زالوا يعانون من الفشل والحرمان الشديد، وأنهم يحاولون من خلال هذا السلوك الفَج الانتقام من تلك الحالة أو إشباع ذاتهم بمثل هذا الأسلوب الملتوي.

إنَّ التظاهر الجنسي المتعري يلاحظ غالباً عند الأشخاص شبه المجانين أو المصابين بالجنون الكلّي. ويكثر في الكبار، عند الأشخاص الذين كانوا معتادين علىٰ شرب الخمر، أو لديهم حالة من هذيان الاعتياد علىٰ الخمر. ويلجأ الكثير منهم إلىٰ ممارسة مثل هذا الانحراف علىٰ رؤوس الأشهاد. أما في عالم النساء فقد تُقدِم المرأة علىٰ إشباع ذاتها عن طريق تجميل نفسها بألوان صارخة وخارجة عن الحد المعقول.

الوقاية والعلاج:

إن الوقاية من الانحرافات ولا سيما من أمثال هذه السلوكية المنحرفة

ضرورية جداً وخاصة في دور الطفولة والمراهقة؛ لأن إهمالها قد يؤدي في السنوات التالية إلىٰ التلوّث.

وفي هذا السياق تقع علىٰ العائلة المسؤولية الأكبر، فمن الضروري إصلاح الانحراف عن طريق النصح والإرشاد، وفي حالة عدم النجاح، تجري توعيته بقبح عمله، وفي المراحل التالية تستعمل معه أساليب التهديد والعقوبة.

ومن أساليب الإصلاح أن يتغاضىٰ عنه الوالدان ويتجاهلا أمره، فإن ذلك يبعث في نفسه اليأس والبرود، فيهمل ذلك العمل ولا يعاوده. ومن الوجهة التربوية الاجتماعية يجب أن يُفَهَّم بقبح هذا العمل، وأنه قد يؤدي به إلىٰ عواقب مريرة.

وفي الحالات اللاحقة يمكن معاقبته أو تهديده بالعقوبة علىٰ هذا العمل، أو توبيخه وتقريعه. وهذا الموقف مع الأطفال ضروري رغم كل ما قد يتمخّض عنه من آثار جانبية. فالتساهل في هذا يمهّد السبيل أمام انحرافات أشد وتلوّث أوسع.

الفصل الثاني

الانحرافات الأخرىٰ عند الأطفال والمراهقين

وبالإضافة إلىٰ ما ذكرناه من انحرافات، فهناك انحرافات أخرىٰ أيضاً، يتعرض لها الأطفال والمراهقون وحتّىٰ الكبار، ومن أكثرها شيوعاً إشباع النظر، ودرجته ونوعهُ وهو يختلف من شخص إلىٰ آخر ومن سنٍّ إلىٰ آخر.

١ ـ تعريف إشباع النظر:

هو نوع من الشعور باللذة بالنسبة لمَن هم في سن البلوغ وما بعده، وهو لدىٰ الأطفال صادر عن نوع من حب الاستطلاع، ثم يتحول فيما بعد إلىٰ حالة أخرىٰ تتخذ طابع الانحراف، وطابعها الانحرافي في الأطفال قليل جداً، وهو أكثر شيوعاً بين المراهقين والبالغين.

الوجه الخفيف لهذا الانحراف منتشر بين عدد كبير من الأشخاص، لكنه أكثر تركيزاً عند الأشخاص الذين كانوا في الماضي ضحيّة للاستغلال من قبل الآخرين، أو أنهم لا زالوا علىٰ هذه الحال. قد تتجه هذه الظاهرة إلىٰ الشخص نفسه أو إلىٰ الآخرين. أما فيما يتعلق منها بالشخص نفسه ونظره إلىٰ جسمه فقد نعتوا هذه الحالة بالعجب بالذات أم الغرام بالنفس، وهو يشعر بالإشباع والارتياح من جرّاء هذا النظر. الشعور بالخوف والهلع والاضطراب الذي قد يتزامن مع هذه الظاهرة، يؤدي بذاته إلىٰ إثارة الهيجان وإيجاد الانحراف.

معالجة هذه الظاهرة:

وعلىٰ هذا الأساس فإن الشخص المصاب بهذا الانحراف هو الشخص

الذي يشعر بالمتعة والارتياح من مشاهدة الملامح الجمالية في أجساد الآخرين أو حتىٰ في جسده هو أحياناً. مثل هؤلاء الأشخاص يتنبهون أحياناً إلىٰ العلاقات السافرة بين الآخرين. وهذه تشكل بذاتها مسألة بالنسبة للشخص المنحرف نفسه وكذلك بالنسبة لأولئك الذين يرتبطون بعلاقات سافرة.

ويجب المبادرة إلىٰ معالجة هذا الانحراف بأسرع ما يمكن، وذلك لأن العفّة والطهارة تقوم علىٰ وجود الحجب والحياء، ومثل هؤلاء الأشخاص ليس لديهم الحياء الكافي. وهنالك خطر آخر أيضاً يكمن في عملهم ألا وهو التأثير السلبي والانعكاس السيّىء الذي يتركونه في نفوس الآخرين. فالشخص الواحد، إذا افتقد العفاف والحياء يؤدي إلىٰ نشر عدم الحياء، ويلطّخ عفاف فئة بأجمعها.

وخلال السعي إلىٰ معالجة هؤلاء يجب العمل لإرشادهم في الوقت المناسب. ويفترض أيضاً أن يكون للآباء والأمهات وكذلك المربين وأفراد المجتمع الآخرين موقف واضح بهذا الشأن، ويحولوا بينهم وبين الاختلاط بالأشخاص الملوثين. فالطفل عندما يطيل النظر إلىٰ شخص أو مشهد جنسي وضّحوا عدم صحة هذا العمل. روّضوهم علىٰ غض النظر عن مشاهدة المواقف والمشاهد غير اللائقة، وأن لا يتعوّد علىٰ مثل هذا العمل.

أمّا في حالة وجود المشاهد المحرجة، فحاولوا إبعادهم عن ذلك المكان أثناء تلك اللحظات، تحايلوا عليهم وأرسلوهم لغرض جلب شيء ما، أو كلّفوهم بإنجاز عمل ما. وعلّموهم أن النظر إلىٰ مثل هذه المشاهد تصرف لا يليق بهم، وحتىٰ في الكلام العادي أرشدوهم لعدم التحديق في وجوه الآخرين و. . .

ومثل هذه المسؤولية تقع أيضاً علىٰ بقية أفراد المجتمع، وعليهم مراعاة هذه الجوانب فيما يتعلق بشكل الثياب التي يرتدونها، وحركاتهم وتصرّفاتهم.

والمجتمع ينبغي أن يخلو من الوجوه المليئة بمساحيق التجميل، والثياب المبتذلة، والحركات المثيرة؛ لأن وجودها بذاته تلوّث ودرس سيّىء للآخرين.

٢. الميل إلىٰ الجنس الآخر:

ترحيب الشخص البالغ بالجنس المخالف وإبراز رغبته فيه قضية لها جذور غريزية عند الأشخاص وتعتبر أمراً طبيعياً. ولكن العجيب في هذا الأمر هو وجوده أحياناً عند صغار السن وبنفس البواعث. فحب الاستطلاع النابع من وجود فوارق جسمية بين الرجل والمرأة والرغبة في معرفة هذين العالمين المختلفين، تبعث علىٰ خلق مثل هذه التوجّهات لدىٰ الشخص، أو تغرس وتعمّق وجودها في ذهنه ونفسه.

ونحن نصطدم ومع الأسف ببعض الأطفال الذين نرىٰ لديهم توجّهات غير عادية نحو الجنس الآخر، وجميع أفكارهم محصورة في هذا النطاق، حتىٰ أنهم يشيرون إلىٰ ذلك بألسنتهم وينتابهم شعور خاص لذكره. هذا الشعور والتعلق يصاحبه نوع من الخجل فيتفاعل ويتحمّس من أجل إخفائه في قلبه.

وقد أشاروا إلىٰ حالات خاصّة بشأن ظهوره، حيث يبدأ هذا الميل منذ سن السابعة نحو الجنس الآخر، وقد يبلغ مرحلة العشق له.

فإذا لم يحصل انحراف للشخص في هذا السن، فيمكن الاطمئنان إلىٰ أنّهم لن يتعرضوا إلىٰ أي خطر حتّىٰ سن الثانية عشرة، لا سيّما بين السنة ٩ ـ ١١ حيث يبتعد الأولاد والبنات عن بعضهم وكأنهم ينفرون من بعضهم. وبعد هذا السن يتجدد احتمال حصول الانحراف، وتساعد المظاهر البرّاقة للطرف الآخر علىٰ تركيزه وتعميقه في ذهن الشخص. وربما يكون من المناسب الإشارة هنا إلىٰ هذه النقطة وهي إمكانية التعلق بعجوز أحياناً!!

هذا الميل يظهر ويصبح ذا معنىٰ في أواخر سنوات المراهقة وأوائل

البلوغ. ولا شك أن مقدّمات البلوغ وإفراز الهورمون أو الاستيقاظ الجنسي بشكل عام له دوره وتأثيره الفاعل في هذا المجال.

الرقابة اللازمة:

نحن نعرف أن التعاليم الإسلامية تقضي بعزل منام الأبناء عن بعضهم منذ حلول سنوات التمييز أي عند السابعة من العمر، وفي نطاق العلاقات الاجتماعية نحاول حثّهم علىٰ اللعب مع أترابهم من نفس الجنس، وبهذا الشكل نوجد الحواجز والموانع أمام علاقاتهم المتحررة. ومن البديهي أن هذا الفصل يصبح أكثر وجوباً عند حلول البلوغ الشرعي.

وحتىٰ في دور الحياة الابتدائية تكون المراقبة ضرورية بسبب ميلهم إلىٰ إقامة علاقات الصداقة والرغبة في اللعب المشترك والاتّجاه نحو الأناقة في الملبس، والتزيين بصورة جذّابة تستقطب إليهم الآخرين. أما فيما يخصّ أولئك الذين لديهم نوع من التلوّث فهناك خوف شديد منهم وينبغي أن يخضعوا للرقابة، ورغم ذلك فلو بدا عليهم بين سن ١٠ ـ ١٣ عاماً ميلٌ إلىٰ الجنس الآخر فذلك يدل علىٰ وجود وضعية غير طبيعية. ويجب حينئذ دراسة هذه الحالة والتحقيق بشأنها. فربما يكون قد حصل للشخص بلوغ مبكّر.

فانخفاض المستوىٰ الأخلاقي للعائلة، والرغبة المتبادلة في المصارحة الجنسية، والتربية غير السليمة، وتلوث الوالدين، قد يؤدي إلىٰ حصول أنواع من التلوّث الجنسي، وعلىٰ الوالدين تفادي حصول هذا الخطر بالنسبة لبقية أعضاء العائلة، وعلىٰ المربين أيضاً صيانة التلاميذ في المدرسة من حصوله.

٣ ـ حبس الغائط والإدرار:

إنما يشار إلىٰ هذه النقطة بسبب دلالتها، فإن كانت لا تدل علىٰ وجود انحراف في الوقت الحاضر، فستكون في القريب العاجل سبباً للانحراف، وهذا ما حذّر منه الكثير من علماء النفس ونبّهوا الوالدين إلىٰ وجوده. فحبس الإدرار والغائط من قبل الأطفال يخلق لديهم شعوراً باللذة، والاستمرار علىٰ

هذا المنوال يخلق لهم بعض المخاطر.

الحالات الأخرىٰ:

هنالك الكثير من أنواع التلوث الأخرىٰ، التي تستحق الإشارة إليها. وقد تجنّب المؤلف ذكرها رعاية للمصلحة العامة والذوق الأخلاقي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرىٰ اعتبر إيرادها هنا ضرورياً لسلامة التربية في العائلة والمدرسة، ولهذا فقد اعتقد بوجوبها وأهمية ذكرها، لتكون بمثابة تحذير وإنذار للوالدين والمربين في هذا المضمار.

تنتشر في المجتمعات الريفية الكثير من أنواع التلوّث حتّىٰ فيما يتعلق بالحيوانات، وحتىٰ أنها قد تكون بصورة التجربة والاختبار. وهنالك أيضاً الصنمية الجنسية التي نرىٰ بعض مظاهرها في دور المراهقة، وهي تعني الاتّجاه إلىٰ الذات، والنوم علىٰ الوجه والتمرّغ في الفراش، واختلاس النظرات، الرغبة في قراءة الكتب ومشاهدة الصور الجنسية، وهي ظاهرة منتشرة علىٰ نطاق واسع بين الأطفال والمراهقين الملوّثين، والاستثارة النفسية والجسدية التي تصل أحياناً بالطفل والمراهق إلىٰ درجة الحاجة إلىٰ الإطفاء وعشرات الحالات الأخرىٰ التي تتطلب الحذر.

ملاحظات مهمّة:

هناك آراء مختلفة بشأن بدايات أولىٰ المشاعر الغريزية لدىٰ الأطفال. فبعض علماء النفس يعتقد بأنّها تبدأ بين سن ٣ ـ ٦ سنوات وهذه حالة مرضية و (سلوك غير عادي)، وأولياء أمر الأطفال مقصرون بشأن حصول مثل هذه البداية المبكّرة.

والحقيقة هي أن قسماً من أولياء أمر الأطفال والمشرفين علىٰ تربيتهم، ونتيجة لجهلهم، يلاطفون الأطفال بشكل يخلق لديهم عادة سيئة، ويتعاملون معهم بأنواع من اللمس والحركة التي تخلق لديهم عواقب وخيمة، تؤدي في

نهاية المطاف إلىٰ إيقاع الطفل في مهاوي الانحراف.

فعندما يعتاد الطفل علىٰ التمريغ والملاطفة من قبل الآخرين، فهو لن يترك هذه العادة، حتّىٰ أنه لا ينام حتىٰ يُشبع من هذه الممارسة. ولهذه الإثارة الموضعية ـ كما يعتقد علماء النفس ـ دور مهم في السلوك، حيث تدفع الشخص في المراحل اللاّحقة إلىٰ أنواع الانحرافات.

فمداعبة الطفل ـ مهما كان صغيراً في العمر ـ رغم أنها تبدو خالية من الضرر، إلا أنّها تتحول بالتدريج إلىٰ عادة قاهرة، تتمخّض عنها نتائج أهونها الاستيقاظ الجنسي في غير أوانه والبلوغ المبكر. والمظهر الآخر هو إثارة المشاعر الجنسية والميول المتعلّقة بها، ولا تفوتنا الإشارة إلىٰ أن الإثارة المفتعلة للطفل تسبب له فقر الدم وهذا الأخير يؤدّي بدوره إلىٰ تضخم غدد الوذي وقناة النطفة، والقسم الخلفي من المجاري البولية.

ولا بأس هنا بالإشارة إلىٰ أن الانحراف في الأوضاع الراهنة مرتبط بالحضارة فكلّما أزدادت انتشاراً واتساعاً، اتّسع معها نطاق الانحراف. وذلك لكثرة وسائل وأدوات الإثارة والإيقاظ والتهييج الجنسي في المجتمع، وأنهيار وازع الأخلاق والإيمان لدىٰ الكثير من العوائل والمربّين، وما يزيد الطين بلّة هو أنتشار الأفكار والمذاهب المختلفة كالفرويدية التي يعتبر بعض السطحيين نظريّاتها كالوحي المنزل.

الباب التاسع
الأمراض الجنسية

نتحدث في هذا الباب عن الأمراض الجنسية، وسندرسها في ثلاثة فصول:

يتناول الفصل الأوّل منها البلوغ المبكّر وعلاماته ومؤشّراته. ونشير بعد ذلك إلىٰ العوامل المؤدية إليه ودوافع ظهوره، وأهمّها كيفية عمل الغدد وعنصر البيئة والأمراض العصبية. ثم سنبحث في الجانب المتعلّق بالفتيات من هذا الموضوع، ومن ثم نستعرض الآثار والنتائج التي تحصل للشخص نفسه وما يمتد منها إلىٰ الآخرين. ومن ثم سنذكر الأساليب المفيدة في الوقاية وطرق العلاج الفعّالة.

ويدور الفصل الثاني من هذا الباب حول مرض الساديّة والمازوشية الذي يتعرض له أبناؤنا. ثم ننتقل إلىٰ تعريف السادية وفعلها بالمريض وأسبابها وتعليل نشوئها وما يحمله من مخاطر علىٰ الأجيال، ثم نعرّف المازوشية وكيفية سلوك وعمل الأشخاص المصابين بها. وبعد أن نحصي مخاطر هذا المرض، سنذكر أيضاً الأثر الذي سيخلفه علىٰ الحياة المستقبلية للأشخاص.

وأخيراً سنبحث في الفصل الثالث عن مرضي السفلس والسيلان، وسنتعرف فيه هذين المرضين وسبل الإصابة بهما، والأعراض الدالة علىٰ وجودهما لدىٰ الشخص، وكذلك الآثار والنتائج التي تنجم عنهما وسبل علاجها.

الفصل الأوّل
البلوغ المبكّر

مقدّمة:

تُعتبر مسألة البُلوغ من مسائل النضوج، وجزءاً من مرحلةٍ خاصّة من مراحل الحياة، وهي تظهر في سنوات معيّنة من حياة الأشخاص. هناك عناصر متعددة تتظافر وتبعث علىٰ تعجيلها أو تأجيل حدوثها، وأهمّها العوامل البيئيّة، ونوعية الغذاء والعامل الجغرافي، والظروف الجويّة، والأمراض و. . .

ومن المتعارف في مجتمعاتنا أن سنّ البلوغ للفتيات هو ١٤ عاماً، وللفتيان هو ١٦ عاماً. ومن المحتمل حصول التقدم والتأخر في ذلك لِسَنة أو سنتين. ونحن نعلم أن حصول البلوغ في المناطق الحارّة يكون مبكّراً أكثر منه في المناطق الباردة، حيث يتأخّر البلوغ نوعاً ما.

إنَّ ما يذكر تحت عنوان البلوغ المبكّر هو ظهور علائم ومؤشّرات البلوغ قبل هذه السنين بكثير، وبالشكل الذي نلاحظه أحياناً يحصل حتّىٰ قبل العاشرة، والضرورة تستوجب طبعاً إجراء الرقابة في هذا الجانب.

العلامات والمؤشّرات:

علامات البلوغ المبكّر هي نفس علامات البلوغ الاعتيادي مع قليل من الاختلاف. فالبالغ المبكّر شخص يشبه الأطفال في سنّه وطُوله إلا أن الشعر يظهر في بعض أجزاء الجسم وفي الإبطين، وفي الوجه مع زيادة في الوزن،

وعند الفتيات تكبر الأثداء وتظهر عليها مواصفات المرأة البالغة.

عند الفتيان يظهر حتّىٰ الشاربان في السنوات المبكّرة، وتطرأ عليهم صفات ثانوية أخرىٰ أيضاً. ويحصل نضوج جسمي في جميع أعضاء البدن بحيث يبدو عليه الوجه الرجالي وهو لا زال في دور الطفولة، أو عند الفتيات تظهر عليها ملامح الوجه النسائي وهي لا زالت طفلة، ولكن بمواصفات أصغر. ويتغيّر لديهم الوضع العام للنوم، وفي بعض الأثناء تظهر لدىٰ الشخص آلام داخلية، بحيث تتناوب عليه سلسلة من حالات الحمّىٰ والاستفراغ. ويتعرض المريض أيضاً للإصابة بالحمّىٰ أحياناً.

ويترافق حصول البلوغ المبكّر مع نضوج القوىٰ الروحيّة أحياناً، لكن البلوغ المبكّر يقترن في أغلب الأحيان بنوع من الجهل والسذاجة. إتجاه الشهوة غير واضح تماماً، إلا أن بعضهم تطغىٰ عليه حالة من الانفعال والاندفاع بحيث تجعل من الشخص أسيراً لذاته. ومن معالم هذه الظاهرة أيضاً عدم انتظام الجسم. ويطفح علىٰ ملامح الوجه ألف سؤال، وهو غير قادر علىٰ طرح أيّ منها علىٰ والديه.

العوامل المؤدية إلىٰ ظهورها:

هنالك عوامل متعددة تؤثر في ظهورها، لا يسع بحثنا هذا ذكرها ودراستها بأجمعها. ومنها جوانب عضوية وطبيّة و...: ونشير فيما يلي إلىٰ بعضٍ منها:

١ ـ عامل الغدد:

توجد في جسم الإنسان الكثير من الغدد، تؤدّي كل واحدة منها دوراً مصيرياً في حياة الإنسان كالغدد اللعابية والغدد الدمعية وغدّة الصفراء، و... ومن جملتها الغدد الجنسية.

أظهرت الدراسات العلمية أن للغدد أو الأمراض المرتبطة بها دوراً في

ظهور البلوغ المبكّر، وأهم تلك الحالات هي ما يلي:

ـ تضخم غدّة أبي فيز التي تلحظ عند الفتيان قبل الفتيات.

ـ الإفراط في إفرازات الغدد النخامية التي تؤدي إلىٰ التكاثر العشوائي في الأنسجة، (هذه الحالة أكثر حدوثاً عند الفتيات من الفتيان).

ـ حصول الورم الحُبيبي في المبيض (عند الفتيات)، والذي ينمو في داخل المبيض.

ـ إصابة غدة الأدرنال التي يتمخّض عنها نتائج متعددة من ضمنها هذه الحالة.

٢ ـ موضوع الهورمونات:

رغم الترابط القائم بين الهورمونات والغدد إلاّ أننا نبحثها هنا علىٰ حدة، خاصة وأنَّ هورمونات الهرمافرودية أو حالة الازدواجية الجنسية، تكون في بعض الحالات سبباً لظهور هذه الحالة عند الشخص. ومن الطبيعي في مثل هذا الوضع أن يُصاب الشخص بأمراض متعددة من قبيل الكآبة والهيجان، حتّىٰ أن شكل العظام يكون غير طبيعي. وبشكل عام فإن الإفرازات الهورمونية في البلوغ المبكّر هي التي تؤدي إلىٰ إحداث التغييرات العصبية في جميع أجهزة وأعضاء الجسم الأخرىٰ والوظائف التي تؤدّيها.

٣ ـ عامل البيئة:

يمكن الإشارة إلىٰ عوامل متعددة في هذا الحقل وأهمّها: الأسلوب غير الصحيح في علاقة الزوجين، بحيث يكون ذلك أمام مرأىٰ الطفل. والتربية العائلية غير الصالحة، والنضوج غير المتّزن للميول والتصوّرات. والحياة المدنية وما يسودها من تقليعات جديدة، والملامح الجمالية الطبيعية منها والاصطناعية، وشيوع وانتشار إعلانات السينما والمسرح، والعامل الاقتصادي، والظرف الجغرافي والإقليمي ووجود الاختلاط وما يحصل فيه من لمس، وكذلك السلوك والتصرفات غير الصحيحة و... والتي تُعتبر

بأجمعها من العوامل المؤثرة في تعجيل البلوغ.

٤ ـ الأمراض الدماغية وضعف الأعصاب:

يحدث البلوغ المبكّر بسبب الضعف العصبي أحياناً؛ لأن الطفل لم يصل بعد إلىٰ المرحلة التي يدرك ويستوعب فيها مثل هذه القضية أو يتحمل بعض الأحاسيس المرافقة لها. كما وقد ظهر في الصور الشعاعية العصبية التي أُخِذت للدماغ وجود أورام مرضية في نقاط مختلفة من الدماغ، وفي مناطق الغدد الجنسية.

٥ ـ الجانب الفطري والطبيعي:

تظهر بعض الدراسات أن للبلوغ المبكّر في بعض الأحيان صورة وراثية. فالجينات الموجودة في الكروموسومات تنقل هذا المرض إلىٰ الأبناء وراثياً. وإن لم يحصل هذا، فستكون هناك بعض الأضرار علىٰ شكل أعراض مرضية ودماغية وغددية و. . .

البلوغ المبكّر عند الفتيات:

يكون البلوغ المبكّر عند الفتيات ـ واستناداً إلىٰ بعض الدراسات العلمية ـ أكثر حِدّة. حتّىٰ أنه شوهد لدىٰ طفلة عمرها ثلاث سنوات ونصف. فقد يحدث الورم في المبيض لدىٰ طفلة عمرها ٥ سنوات أحياناً مما يؤدي إلىٰ حصول نزف دموي في الرحم أو علىٰ شكل عادة شهرية، ومثل هذه الحالة لا يسودها طبعاً أي انتظام ولا ترتيب، بحيث تبدو الطفلة وهي في الخامسة من العمر وكأنّها تبلغ من العمر عشر سنوات.

والفتيات اللاتي يُصبن بمثل هذه الأعراض يتمتعن بذكاء اشد من أترابهن، ويبدو وكأنّهن أكبر سِناً. فهن يحملن مواصفات الفتيات البالغات، وتظهر الميول الغريزية واضحة عليهن أحياناً. مثل هذا البلوغ يؤدي إلىٰ التعجيل في نمو الفتيات، بحيث تنضج الأثداء بشكل كامل في سن التاسعة، ويصبحن تحت تأثير مثل هذه المسائل.

يبدو البلوغ المبكّر وكأنه مرض يؤثر علىٰ النمو والتكامل، وهو ناتج عن الغدد الجنسية. فأورام المبيض تشاهد حتىٰ لدىٰ البنات الصغيرات في بعض الأحيان، ومثل هذه الفتيات لا تتولد لديهن رغبة جنسية حتّىٰ بعد الزواج، ويتصفن بالبرود والخمول حتّىٰ أنّهنّ قد لا يُنجبنَ.

أسبابه لدىٰ الفتيات:

أما الأسباب التي تؤدي إلىٰ حدوث البلوغ المبكّر عند الفتيات؛ فالجواب هو أن هنالك عوامل متعددة تؤثر في هذه الظاهرة؛ يمكن إدراج أهمّها بالشكل الآتي:

ـ مجموعة العوامل التي أشير إليها سابقاً، وربّما يكون بعضها مشتركاً بين الفتيان والفتيات.

ـ قد يحصل البلوغ المبكر عند الفتاة أحياناً بسبب ضرر أو إصابة تعرّض لها الدماغ فيؤدي ذلك إلىٰ حصول الإثارة الجنسية.

ـ قد تكون هذه الظاهرة ناتجة أحياناً عن الفعّالية الشديدة والإفرازات الكثيرة للغدّة النخامية، التي تؤدي بدورها إلىٰ التمهيد لإثارة إفراز هورمونات الفولكول.

ـ تنتج هذه الظاهرة أحياناً عن تورّم المبيض والذي يُخرج الفتاة من حالتها الطبيعية، فتلاحظ بعض الأجزاء المتورّمة في داخل المبيض، وقد أصبحت إحداها فوق الأخرىٰ، وإن تورّمت هذه الأجزاء بعد سن اليأس، فإنّها ستؤدي إلىٰ ظهور علائم البلوغ والنشاط الجنسي والعادة الشهرية من جديد.

ـ أورام التكوم واللوتيوم تسبب البلوغ المبكّر عند الفتيات، وينتج عنها تلك الأعراض نفسها.

النتائج الناجمة عن البلوغ المبكّر:

يُعتبر البلوغ المبكر مرضاً يجلب الوبال علىٰ الفرد والمجتمع نشير فيما يلي إلىٰ بعض أضراره علىٰ الفرد وعلىٰ المجتمع:

١ ـ علىٰ الصعيد الفردي:

قد يؤدي هذا الأمر إلىٰ تمهيد الطريق للأمراض الجنسية والشذوذ، والحمل غير المنتظم. أما النتائج الأخرىٰ التي يمكن الإشارة إليها هنا فهي عبارة عن:

ـ الضعف العام في الجسم، والضعف العقلي إلىٰ الحد الذي يقضي علىٰ الشخص، رغم أن ظاهره العام جيّد.

ـ في بعض الحالات قد يفقد الشخص شهيّته، وفي بعض الأحيان قد يكون الأمر علىٰ العكس من ذلك، ويميل أكثر إلىٰ الأكل، وهذا ما يسبب له الضرر.

ـ في الجانب النفسي قد يظهر عليه الاضطراب، فيصبح الشخص في دوّامة من الانفعال والهيجان، وهذا يشكل خطراً كبيراً عليه.

ـ ومن نتائجه أيضاً عدم الرغبة في النشاط، واليأس والبرود. والاضطراب في الأوضاع والسلوك، وكذلك ظهور الانهيار الروحي والأخلاقي والتوتر العصبي.

ـ في المراحل المتقدّمة من المرض عند الفتيات، وفي حالة وجود الغُدّة التناسلية، يصبح المبيض صغيراً، وذا تجاويف، ويختل عمل المجاري التناسلية.

ـ ومن آثاره الأخرىٰ توقف النمو الفكري لدىٰ البعض، وحتىٰ توقّف النمو الجسمي وظهور نوع من البلاهة.

٢ ـ علىٰ الصعيد الاجتماعي:

من معايب البلوغ المبكّر أنه سطحي، وينشأ علىٰ أثر التهييج والإثارة العبثية. فالشخص المصاب يعتبر مشاعره الجنسية جزءاً مهماً من شخصيته، وليس بإمكانه مطابقة سلوكه الجنسي مع القيم والأخلاق السائدة في مجتمعه.

فالبلوغ المبكر يبعث علىٰ تغيير الأخلاق بحيث يمكن القول: إن الشخص لا يتّصف بوضع عادي. فهو سريع الغضب وخشن السلوك وكثير الإصرار. والآخرون يعتبرونه متمرداً. ولهذا فهو قلّما يتواجد بين أترابه إذ لا مكان له بينهم، فيضطر إلىٰ الالتجاء إلىٰ مَن هم أكبر منه سناً، وهذا طبعاً غير لائق وغير مناسب أوّلاً، وثانياً إذا لم يجد له مكاناً بينهم فسيضطر إلىٰ اختيار الانزواء والعزلة، وهذه ظاهرة سلبية أخرىٰ.

فهؤلاء بالغون من الناحية الجسميّة أما الجانب الروحي فيجب القول بأن نفوسهم غير بالغة، وهذا يجلب لهم بعض المخاطر، ونتيجة للبلوغ فإن هؤلاء الأشخاص مضطرون إلىٰ البحث عن سبيل للإشباع أو الإفراغ الجنسي، فيُقيمون علاقات غير مناسبة مع الأشخاص الذين في متناول أيديهم أو يصبحون فريسة لأصحاب الشهوات.

السيطرة والعلاج:

وبناءً علىٰ هذا يصبح من الضروري اتخاذ الإجراءات الوقائية المناسبة ومعالجة المصابين بهذه الظاهرة، واتباع الخطوات التالية مفيد في هذا الجانب:

- مراقبة العوامل البيئية التي توجد التلوّث؛ للحيلولة دون حصول الاستيقاظ الجنسي المبكر.

- توفير المستلزمات من أجل الاشتغال والعمل، وقضاء الوقت في المسائل المناسبة، ولكي لا تكون هناك فرصة للانزواء والانشغال بالذات.

- المحاذرة من حصول صدمة نفسية للطفل والمراهق، فإنها تزيد من

شدة هذه الحالة.

- الامتناع من الملاطفة التي لا ضرورة لها، وعدم التعري أمام الطفل المميّز أو المراهق.

- رعاية الصحة الجسمية والروحية للطفل أو المراهق وإبعاده عن موجبات الاضطراب.

- القيام بالمعالجة الطبيّة للأشخاص الذين تظهر عليهم أعراض حادّة، وحتىٰ القيام بالعمليات الجراحية للأورام.

- مراقبة العلاقات والمعاشرة، والاهتمام بمنام الطفل وغذائه.

الفصل الثاني
الساديّة والمازوشيّة

يعتقد بعض الأخصائيين (بريفولت) بأن الميول الغريزية قد تؤدّي في بعض الحالات إلىٰ إيجاد القسوة في الإنسان. وبعبارة أخرىٰ هناك علاقة بين الدافع الجنسي وبين الغطرسة والانفعال الذي يبدو علىٰ الشخص. والساديّة أو الإيذاء يعكس نوعاً من الارتباط الشديد بين هذين الأمرين.

فالسادية والمازوشية (جلب الأذىٰ للنفس) هُما من أشمل وأكبر الانحرافات الجنسية الشائعة بين المرضىٰ وتجلبان لهما اللذة والارتياح، وهذه اللذة تحصل طبعاً للشخص المُصاب بالسادية، وإلاّ فقد تنتهي إلىٰ القتل والتعذيب بالنسبة لأولئك الأشخاص الذين تعرضوا للاستغلال علىٰ يد الآخرين.

وهنالك أيضاً نقطة جديرة بالإشارة إليها، وهي أن بحوث علماء النفس قد أشارت إلىٰ أن الرغبة في التعذيب والإيذاء لها جذور في نفوس الأشخاص وأسبابها مجهولة إلىٰ حدٍّ كبير. فقد أشار بعضهم إلىٰ أنها ناتجة عن فقدان عنصر المحبّة في دور الطفولة. واعتبرها البعض الآخر أمراً فطرياً وذاتياً، وعلىٰ كلا الفرضين فهي مرض وظاهرة خطيرة علىٰ الشخص، ومن أجل الحصول علىٰ صورة أوضح بشأن هذين المرضين فإننا نتطرق إليهما بالتفصيل فيما يلي:

أ ـ الساديّة:

هي حالة تطرأ علىٰ الشخص ويشعر باللذة من ممارستها وتطبيقها. فهو

يؤذي الشخص الذي تحت تصرّفه، وهذا الإيذاء يجلب له اللذة. أمّا من ناحية الانحراف الجنسي فينبغي القول بأن الساديّة هي نوع من الإشباع الجنسي عن طريق الإيذاء، وممارسة القسوة والغطرسة لإشباع الذات، وهي في كل الأحوال نوع من المرض.

وقال بعض علماء النفس من أمثال ماك دوغال: إن الساديّة مركب مزيج من الجنس وإثبات الوجود، والأشخاص المصابون بمثل هذه الظاهرة جبناء علىٰ الأغلب، وضعفاء من ناحية القوّة الغريزية، فهم يُستثارون عن طريق إثارة الشخص الضحية، ومن أجل إثارة الضحية فإنهم يعمدون إلىٰ إيذائه وتعذيبه. ويشعرون أن عدم حصول هذه الحالة لا يُحقق لهم الإشباع.

ففي حالة السادية قد يكون الضحية فيها شخصاً أو ربّما حيواناً، وقد يحصل ذلك من خلال ضربة بسيطة أو قَرصة أو الضرب والجرح أو حتّىٰ من خلال القتل، وهذا ما نشاهده لدىٰ الأشخاص المصابين بحالات مرضية شديدة.

الشخص السادي:

الشخص السادي مصاب بنوع من المرض، وهو يعكس حالته المرضية بصور متعددة، يمكن الإشارة إلىٰ أهمّها فيما يلي:

ـ السادية في الفكر والسلوك، فهو يخطط دائماً للأذىٰ والتعذيب ويُنَضِّج أساليب ذلك في ذهنه.

ـ الإيذاء العملي للأشخاص والأصدقاء المحيطين به، وبالشكل الذي يشعر معه المريض بالرضا، لكن الطرف المقابل يشعر منه بالأذىٰ، كالعض والقَرصِ والضرب و...

ـ وقد تتجسد السادية في بعض الحالات بخنق الآخرين أو قتل الشخص

الذي تحت تصرّفه.

ـ وقد تتجسد هذه الظاهرة أحياناً بالرغبة في سفك الدماء حيث تتصاعد هذه الحالة ولا يشعر معها الشخص بالرضا إلاّ من خلال إراقة الدماء وبكميّات كبيرة (كدم الرقبة والبطن).

اسبابها ودوافعها:

يبحث المصابون بالساديّة عادة عن غايات وأهداف مختلفة. ففيما يتعلق بالانحراف الجنسي يكون الهدف هو الإشباع بحيث يمكن القول: إنهم لا يهدأون ولا يستقرّون إلاّ بارتكابهم لهذا العمل أي القيام بالضرب والجرح العمدي.

يشير علماء النفس في تعليلهم لهذه الظاهرة الهدّامة إلىٰ أن الشخص المصاب يشعر بها تجاه شخص آخر يشعر إزاءه بالطرد والفشل والحرمان. ويقولون إن الضرب والجرح يمكن أن يعبّر في أحد جوانبه عن نوع من الوقوف أمام الإهانة والاحتقار ويلجأ إليها الشخص للتغطية علىٰ ضعفه.

وقال آخرون: إن الإثارة التي تفرزها الغريزة تقترن علىٰ الدوام بالألم والمرارة، وهي في نفس الوقت تجلب للشخص اللذّة. والقيام بالضرب والجرح يمكن أن يُعتبر نوعاً من التعويض عن تلك المرارة وذلك الألم. وعلىٰ أيّة حال فجذور هذا الانحراف تتبلور في دور الطفولة، وأعتبر مُرتبطاً بالشغب والغطرسة الذاتية لدىٰ الإنسان، وقد نما بشكل ملتوٍ ومنحرف.

مسالة الساديّة فيما يخصّ وجودها لدىٰ الأطفال والمراهقين:

لقد لوحظت ظاهرة الساديّة حتّىٰ عند الأطفال والمراهقين الملوّثين والمنحرفين وخاصة بين أولئك الذين حدث لديهم البلوغ المبكّر، أو دَنوا من مرحلة البلوغ حديثاً، وقد تزول هذه الظاهرة من هؤلاء الأشخاص مع نهاية

دور المراهقة والبلوغ، ويحتمل أن يقوموا ـ خلال فترة وجودها ـ بالتعذيب أو إنزال الأذىٰ والضرر بالآخرين.

لكن الخطر الأكبر يتمثّلَ في تعرّضْ الأبناء لاستغلال الأشخاص الأكبر سِنّاً والمصابين بهذا المرض وهم في نفس الوقت من المنحرفين، فهؤلاء يقومون بتعذيب وإيذاء الضحية وقد ينتهي بهم الحال إلىٰ قتله. وقد وجد من خلال الدراسات التي أُجريت عليهم، أنهم بعد ارتكابهم للعمل المنحرف، تنتابهم رغبة شديدة للقضاء علىٰ الشخص الضحية للتخلّص من الآثار المقيتة التي يُخلفها ذلك العمل عليهم، وكأنهم يُدفعون قهراً إلىٰ قتله.

انحراف الكبار وخطره علىٰ الصغار:

الانحراف الغريزي والميل إلىٰ الأطفال هي حالة مرضية قد يُصاب بها كبار السن أحياناً، وربما تكون أسبابها هيمنة الميول الشهوية، وعدم قدرتهم في هذا الحقل. وهذا أمرٌ خطير علىٰ الأطفال الذين لا يمتلكون النضج العقلي الكافي للدفاع عن أنفسهم وعن شرفهم فينخدعون بسرعة.

ويتعاظم هذا الخطر وهذا التلوّث عندما يقترن بالسادية الجنسيّة، حيث يحدث الإيذاء والتعذيب أيضاً في مثل هذه الحالة، وحجم الأذىٰ يتوقف علىٰ المدّة الزمنية لإصابة الشخص بذلك المرض أولاً، وثانياً مدىٰ حصول الإشباع الغريزي، إذ يتزايد الخطر كلما تأخّر الإشباع.

إن إنقاذ الأبناء من هذا الخطر يتطلب إجراء رقابة أشد، والطريق الوحيد لصيانتهم من أمثال هؤلاء المجرمين هو عزلهم عنهم، ويمكن التعرف علىٰ الأشخاص المصابين من خلال خصلة واضحة وهي عرض أعضاء أبدانهم أمام مرأىٰ الآخرين، فهم يستمتعون من تفرّج الآخرين علىٰ أبدانهم، وكذلك يستمتعون بالتفرج علىٰ أبدانهم أو أبدان الآخرين وهي عارية، وهم يتابعون الأطفال دوماً، ويحبّون اللعب معهم وممازحتهم، ويتلذذون بمثل هذه الأعمال.

ب ـ المازوشية:

وهي حالة مرضية في مقابل السادية، يشعر فيها الإنسان بالارتياح من الأذىٰ والضرر الذي يلحقه به الشخص الذي يميل إليه، ويتكون لديه شعور بالإشباع من جَرّاء تحمّله لهذا الأذىٰ والضرر.

فهؤلاء الأشخاص المصابون بهذه الحالة، إذا لم يتعرّضوا للأذىٰ والعذاب علىٰ يد الآخرين، يعمدون إلىٰ إيذاء أنفسهم بأنفسهم، فيشعرون بالرضىٰ والارتياح بعد إنزال الأذىٰ بأنفسهم، وقد يكون ذلك الأذىٰ حتّىٰ علىٰ هيئة إيجاد الجروح في أجسامهم. وهذا المرض أكثر انتشاراً بين النساء، وربما كان مَرَدُّ ذلك إلىٰ أنَّ جوانب الخضوع لديهن أَشَدُّ وأقوىٰ.

وقالوا في التعليل النفسي لهذه الظاهرة: إن الشخص ينتقم من نفسه بهذا الأسلوب من الحرمان الذي واجهه في حياته، ومن الأذىٰ والضرر الذي ألحقه بالآخرين وكذلك من الألم الذي سببه لغيره من الناس، ويعتبر هذا الألم الذي يحدثه لنفسه وسيلة لتسكين آلامه الداخلية.

وعندما يلتقي مثل هؤلاء المصابين بأشخاص ملوّثين بالانحراف والساديّة يشعرون بالرضىٰ والإشباع من سلوكهم وأسلوب تعاملهم، ولكنهم في نفس الوقت لا يَسلمون من الأذىٰ والقتل علىٰ يد أولئك، فيتعرّضون للجروح والصدمات في كثير من الأحيان.

كيفية حصول هذا المرض:

لا توجد معلومات دقيقة عن كيفية حصول هذا المرض، ولكن يبدو أن الحياة المضطربة وغير المستقرة في فترة الطفولة تترك آثارها السيّئة علىٰ نفوسهم، وتمهّد الأرضية لنشوء مثل هذا البلاء.

يبدأ هذا المرض بسماع الكلمات البذيئة والسُباب الفاحش وكلمات

التحقير والإهانة، وهو ما يلتذ به المريض، ويتعمق تدريجياً-إلىٰ أن يصبح في وضع يشعر معه بالرضىٰ من تحمل العذاب والأذىٰ الذي يسببه له شخص آخر.

وفي نطاق الحياة العائلية، إذا كان أحد الزوجين مصاباً بالسادية والآخر بالمازوشية، تكون حياتهما مريحة وكلاهما راضٍ عن الآخر، لكن عدم الارتياح يحصل عندما يكون أحدهما مصاباً بإحدىٰ العاهتين والآخر سالماً ويتمتع بحالة طبيعية، فهما والحالة هذه يواجهان حياة مريرة وينتهي أمرهما إلىٰ الطلاق.

وقد لوحظ أن بعض النساء المصابات بهذه الحالة (المازوشية)، يحدثن في بعض أجزاء أجسامهن كاليد أو الرجل أو الفخذ أو الثدي جروحاً، بواسطة الأبر ويشعرن بالسكينة والهدوء عن مشاهدة خروج الدم، أو قد تعمد إحداهن إلىٰ إحداث شروخٍ في جسمها وتعذِّب نفسها وتشعر بالارتياح من جَرّاء هذا العذاب.

خطورة هذا المرض:

يوجد مرض المازوشية ـ ومع الأسف ـ عند الأطفال أحياناً، وخاصة عند الأطفال الذين يراودهم هاجس الخوف من الطرد والإهمال، فهؤلاء مستعدون لتحمل العقوبة في سبيل التخلص من الطرد والإهمال، وقد دَلّت التحقيقات أيضاً علىٰ أنَّ هؤلاء الأشخاص يعرّضون أنفسهم لأشد أنواع الأذىٰ ويتحمّلون الإهانات من أجل التأكد من محبّة الطرف الآخر.

يمكن ملاحظة مظاهر المازوشية علىٰ الأطفال بالصورة التالية وهي أن بعضهم مستعد لتحمل الضربات من والديه وسماع الكلمات المهينة منهما، لسبب واحد وهو أن يحظىٰ بالرعاية والملاطفة منهما، وفي بعض الأحيان يلجأ مثل هؤلاء الأطفال إلىٰ بعض الممارسات الجنسية القبيحة من أجل أن يحظوا باهتمام الآخرين، وهذا خطر آخر يُضاف إلىٰ الخطر الأوّل.

وفي السنوات اللاحقة، وعندما يتذكر مثل هؤلاء الأطفال ذكرياتهم السابقة ـ وخاصة بعد الدخول في مرحلة البلوغ ـ سيشعرون بخصومة وعداء خاص تجاه الآخرين، وحقد يعتمل في قلوبهم، وقد يدفعهم ذلك إلىٰ التحوّل إلىٰ قتلة قُساة. وكذلك لا تجد في قلوبهم رأفة علىٰ أحد.

الفصل الثالث

السفلس والسيلان

ومن الأمراض الخطيرة التي تعرّض حياة الشخص للخطر أحياناً مرضا السفلس والسيلان. ولا شك أن البحث في هذه الأمراض من اختصاص علم الطب. ولكننا نشير إليهما هنا بصورة مختصرة؛ وذلك لأن التربية السيّئة والعلاقات الخاطئة بين الأشخاص، وحتىٰ الأطفال والمراهقين منهم قد تكون سبباً في انتقال أو حتىٰ نشوء مثل هذه الأمراض لديهم.

والسبب الآخر الذي دفعنا إلىٰ تبيان مثل هذا الأمر هنا هو رغبتنا في تحذير الوالدين والمربين وتنبيههم إلىٰ المخاطر والأمراض التي قد تواجه أبناءهم، ومدىٰ الخطورة التي يسببها الانحراف علىٰ الأبناء، بل وحتّىٰ علىٰ الأجيال القادمة، ونطرح فيما يلي نبذة مختصرة عن هذين المرضين.

أ ـ السفلس:

أحد الأمراض التي تنشأ عند الأشخاص الذين يمارسون العلاقات المنحرفة وغير المشروعة هو مرض السفلس، يدخل ميكروب هذا المرض إلىٰ الجسم عن طريق الأغشية المخاطية كالجهاز التناسلي أو حتّىٰ عن طريق الفم أحياناً، ويسبب للإنسان مرضاً يبقىٰ ملازماً له طوال حياته.

يعيش هذا الميكروب وينمو في الأجواء الرطبة. وعلىٰ هذا الأساس فهو ينمو في الأماكن الرطبة كالحمّامات، ولهذا يكون الحمام من أكثر الأماكن التي تنتشر فيها عدوىٰ هذا المرض. ولا يمكن لهذا الميكروب العيش لأكثر

من ثلاث دقائق في الأماكن غير الرطبة، ولهذا فمن الضروري غسل مكان الجلوس في الحمامات العامّة.

إن الملوّثين جنسياً أكثر عرضة للإصابة بهذا المرض من غيرهم. وتظهر الإصابة بشكل واضح علىٰ الأشخاص بعد ٩٠ يوماً من انتقال المرض إليهم. وعلامته جرح مؤلم يظهر أحياناً علىٰ الجهاز التناسلي وقد يمتد إلىٰ جداره الخارجي.

ويتبعه أحياناً ظهور بُقعة حمراء قانية وهي علىٰ درجة من الضآلة بحيث تزول بعد فترة وجيزة لكن آثارها تبقىٰ إلىٰ مدّة طويلة.

اعراضه وتاثيراته:

من علائم السفلس عدم الالتئام. وتحدث نتيجة لوجود الجروح والقروح علىٰ تلك الأنسجة، حكّة شديدة، وإذا تعرض الجسم لأي جُرح فإنّه لا يُعالج ببساطة، وإذا لم يشخص هذا المرض ولم يُعالج في الوقت المناسب، فإنه يشتد، وتنتج عنه مضاعفات وأمراض مختلفة أخرىٰ، كمرض القلب والشلل والجنون والعمىٰ.

ينتج عن وجود مرض السفلس تأثيران واضحان للعيان:

١ ـ إلتهاب حاد يمكن أن ينتقل بين الأشخاص عن طريق اللمس وبسرعة فائقة.

٢ ـ شدّة فاعلية المرض وإزمانه بحيث أنه يؤدي ـ خلال فترة قصيرة أو خلال أدواره اللاحقة ـ إلىٰ شل قدرة المريض، ويسلبه القابلية علىٰ العمل والحركة، وإذا حصل أي جرح في جسمه فسيكون مؤلماً ولا يقبل المعالجة والالتئام.

ب ـ السيلان:

وهذا الآخر مريض خطير أيضاً، ويمكن أن يُصاب به الإنسان من طرق

مُختلفة، وأحد تلك الطرق هو الشذوذ أو الانحراف الجنسي، وهو قابل للانتقال من الرجل إلىٰ المرأة، أو من المرأة إلىٰ الرجل.

يدخل ميكروب السيلان عادة من المجرىٰ التناسلي ويستقر في المجاري البولية وينمو ويتكاثر فيها، ويحدث فيها قيحاً وجراحة، وتنبعث رائحة كريهة نسبياً من الشخص حين التبوّل، وحتىٰ ملابسه الداخلية تفرز رائحة كريهة، حتّىٰ وإن كانت غير ملوّثة بالبول، ومن البديهي أن ظهور أي أثر من هذه الأعراض يستوجب مراجعة الطبيب فوراً.

علامة السيلان الشعور بحرقة في الجهاز التناسلي وحين التبوّل، وهذه الظاهرة تحدث عند الشخص بعد ٨ ـ ١٥ يوماً من حصول العلاقة المشكوك فيها. يقترن هذا المرض بحصول التهاب في الجهاز التناسلي. وفي حالة عدم المسارعة إلىٰ معالجة المرض، قد يؤدي إلىٰ حدوث العقم لدىٰ المصاب، سواء إن كان رجلاً أو ٱمرأة، فتىً أو فتاة.

دوام هذا المرض يؤدي إلىٰ استيلاء الضعف علىٰ المريض، وتورّم شرايينه، أو حتّىٰ ينتج عنه مرض القلب. ويؤدّي هذا المرض أيضاً إلىٰ خروج القيح والدم عن طريق المجاري البولية فينتج عنها حرقة شديدة لا تُطاق.

الآثار اللاحقة لهذه الأمراض:

يبدو في الظاهر أن السفلس والسيلان مرضان لا يختلفان عن بقية الأمراض. ولكن في حقيقة الأمر إنهما يؤدّيان فيما بعد، وفي الحُقب الزمنية اللاحقة من حياة الإنسان، إلىٰ ظهور أعراض وآثار أخرىٰ أيضاً ولا سيما في حالة دوام المرض وإزمانه. إن هذه الأمراض التي يُطلق عليها غالباً اسم الأمراض الزُهرية لا تصيب الحاملين للمرض فقط بل إنّها تؤدي إلىٰ تلويث الآخرين وإصابتهم بنفس المرض بشكل أو آخر، وتسبب لهم مخاطر وأضراراً

اجتماعية، تبقىٰ آثارُها مشهودة في الأجيال المقبلة ولسنوات طويلة.

فقد أوضحت البحوث الطبيّة أن مرض السفلس يؤثّر علىٰ الجنين، ويحدث له أنواعاً من الالتهاب والتعفّن، وإصابة الأجيال التالية لا تتم عن طريق التوارث والجينات، بل إنهم يصابون بالمرض أثناء الولادة. وهذا المرض يبقىٰ فيهم إلىٰ آخر العمر.

ولهذا نتوجّه بالتحذير إلىٰ الوالدين والمربين بضرورة بذل المزيد من الاهتمام في المحافظة علىٰ أبنائهم وصيانتهم من أشباه هذه الأمراض، وليعلموا بأن التساهل قد يكون ثمنه في بعض الأحيان تعرّض عدة أجيال لمثل هذا المرض، وينتهي بإصابة عدد كبير من الناس بهذا التلوّث الخطير.

المعالجة:

تنبع ضرورة معالجة هذا المرض من كونه سبباً لظهور المزيد من الأمراض عند الشخص المصاب، وخاصة في حالة إزمانه وطول مدّته. تتم معالجة المرض عن طريق مراجعة الطبيب أو بالاستفادة من مستحضرات البنسلين. وكلّما تأخر العلاج أصبحت إمكانية الشفاء صعبة وفرص النجاح فيها قليلة.

الباب العاشر
تأثير الانحراف علىٰ الحياة

سنقوم بطرح مواضيع هذا الباب بصورة موجزة وسنتحدث في الفصل الأوّل منه عن تأثير الانحراف في حياة الفرد، حيث أن هناك مسائل كثيرة تستوجب الطرح في هذا السياق من ضمنها تأثير الانحراف علىٰ الجانب النفسي من الشخصية والآثار المترتبة عليه كالشعور بالخوف والاضطراب والإثارة وسلب ثقة الفرد بنفسه، والأهم من كل ذلك هو المخاطرة باستقراره الروحي، بالإضافة إلىٰ آثار الانحراف الأخرىٰ علىٰ أوضاع الشخص وسلوكه وجوانبه الأخرىٰ كفكره وطبائعه.

وفي الفصل الثاني سندرس الأثر الذي يتركه انحراف الشخص في حياة الآخرين. نحن نعلم أن الانحراف يكون في بعض الحالات سبباً لتوسيع الأمراض الجسمية وعدم الانسجام الاجتماعي وسوء السلوك، حتّىٰ أنه يؤدي أيضاً إلىٰ ظهور الروح العدوانية عند الأشخاص. وهنالك احتمال أيضاً بأن يؤدي الشخص الملوّث إلىٰ جرّ الآخرين إلىٰ الفساد أيضاً، وهذا ما يلوّث البيئة الاجتماعية. وعلىٰ هذا الأساس يصبح من الضروري هنا بحث هذه الحالات وإبداء وجهات النظر المناسبة بشأنها.

ونسعىٰ في هذا البحث أيضاً لتحليل الجوانب المختلفة للمسائل المذكورة أعلاه، ليكون ذلك مقدّمة للدخول في موضوع العلاج والوقاية، وتنبيه بعض أولياء الأمر إلىٰ ضرورة الاحتياط في هذا الجانب.

الفصل الأول

أثر الانحراف علىٰ الفرد

مقـدّمـــة:

يؤدي الانحراف الجنسي سواء كان لدىٰ صغار السن أو لدىٰ كبار السن إلىٰ إيجاد المستلزمات التي تحدث الكثير من التغييرات في شؤون حياتهم. وهي علىٰ درجة من الوضوح والجلاء بحيث يمكن لكل أبٍ أو أمٍّ أو مُرَبٍّ نبيه أن يدرك وجودها بكل بساطة. وبعبارة أخرىٰ يدرك الوالدان والمربّون التغييرات التي تطرأ علىٰ إبنهم المنحرف حتّىٰ وإن لم يتوصّلوا إلىٰ معرفة الجذور الأساسية له.

وهذه التغييرات تشمل التغيير في السلوك والمشاعر والاختلاط والمزاج وحتّىٰ الشعور بالأمان والاتّزان الفكري و... وحتّىٰ مواظبة الأطفال ومثابرتهم علىٰ الدراسة تتعرض للخطر أيضاً؛ إذ أنهم يتعرضون للاضطراب والتأثّر أثناء الدرس والمطالعة. ويمكن القول بشكل عام: إنهم لا يتمتّعون بوضع عادي وطبيعي.

وهذا الوضع غير العادي وغير الطبيعي عند هؤلاء الأشخاص ناتج من أمرين: الوضع النفسي الخاص الذي يطرأ علىٰ الشخص، والوضع الخاص لسلوكه وأحواله. حيث أننا سنشير فيما يلي إلىٰ كل من هذين القسمين:

أ ـ الحالة النفسية:

تؤدي الانحرافات الجنسية في كثير من الموارد إلىٰ إيجاد اضطرابات

واهتزازات نفسية، يمكن تلخيص أهم مظاهرها بالنقاط الآتية:

١ ـ **الشعور بالخوف**: تهيمن علىٰ الأشخاص أنواع مختلفة من الخوف، ويتعرض أمنهم الفكري والنفسي للخطر، وأهم أنواع الخوف هي:

ـ الخوف من افتضاح أمرهم وذهاب الحيثية الفردية والعائلية.

ـ الخوف من العقوبة الاجتماعية والمجازاة التي يلقاها من أبيه وأمه ومربّيه.

ـ الخوف من العقوبة الإلّهية وخاصة عند الأطفال المميّزين، ولا شك أن المراهقين والشباب يعيرون هذا الجانب أهمية أكبر.

ـ الخوف من عاقبة العمل، ومجهولية النتائج التي يؤدي إليها، وهذه قضية مهمة في نظر الأشخاص ولا سيّما الإناث.

لقد أظهرت التحقيقات التي أجراها علماء النفس أن الفتيات اللواتي يشعرن بحاجة ملحّة للمحبة يمتلكهن خوف شديد من جرّاء القيام بهذه الممارسات، فيلجأن إلىٰ البحث عن الظروف الملائمة لصيانة أنفسهن بحيث يحصلن علىٰ المحبّة اللاّزمة التي لا تتعرض معها عفتهن وطهارتهن للخطر.

٢ ـ **القلق والاضطراب**: تفرز المشاعر الجنسية لدىٰ الأشخاص هيجاناً واضطراباً يؤدي في بعض الحالات إلىٰ الغضب الشديد، وقد أظهرت بعض الدراسات أن المشاعر الجنسية لدور الطفولة تنتج في مرحلة المراهقة قلقاً واضطراباً، وتوجد لدىٰ الشخص أفكاراً وهمية ذات أبعاد هدّامة وعدوانية.

وهذا القلق وهذا الاضطراب هما من العوامل التي تدفع الشخص للبحث عمّا يسكّنه ويهدّؤه، وانتهاج نمط من الآلية الدفاعية، وهكذا يتكرر الانحراف من جديد. ومن المظاهر الواضحة لهذا الاضطراب التعرّق الكثير، التقلّصات العضلية، وزيادة نبض القلب والتعب الشديد، وعندما تستولي الإثارة الجنسية علىٰ الأطفال الملوّثين يفقدون السيطرة علىٰ أخلاقهم وتصرفاتهم، ويأخذهم الضحك والقهقهة ويتلذذون بالوقاحة وعدم الحياء.

٣ ـ فقدان الثقة: يؤدي وجود مثل هذه الانحرافات إلىٰ أن يصبح الأشخاص شديدي الحساسية إزاء الحفاظ علىٰ حيثيّتهم وكرامتهم. فيعتريهم الخجل ويفضّلون العزلة والانطواء، وهذا دليل علىٰ فقدان الثقة بكل شخص وكل شيء، وبداية ظهور علامات أمراض الأوهام والخيالات.

وتهيمن علىٰ أرواحهم حالة شديدة من فقدان الثقة حتّىٰ تنعدم لديهم الثقة في ممارسة أيّ عمل. فيأخذ اليأس والبرود دورهما في زعزعة حياتهم، فلا يعودون قادرين علىٰ الحياة. ومثل هذه الظروف تؤدّي إلىٰ مضاعفة معاناتهم وزيادة مشاكلهم.

٤ ـ الحِدّة والكراهية: الأطفال والمراهقون المنحرفون يستولي عليهم دوماً شعور بالنضوج الجنسي المبكّر، وتتجلىٰ مظاهر ذلك في السلوك الخشن والحاد مع المحيطين بهم وعدم الشعور بأيّة رغبة أو عاطفة تجاه الآخرين، وحتّىٰ تظهر عليهم رغبة في ارتكاب الأعمال الشنيعة والإجرامية. فهم يشعرون في علاقاتهم مع الآخرين، بأنّ أمانهم مهدد بالخطر، ولهذا فهم يحاولون قطع علاقاتهم بالآخرين أو تخفيفها ولو بأسلوب خشن.

ولا يفوتنا هنا ذكر هذه النقطة وهي أن من أعراض البلوغ عند الفتيان، أو وجود العادة عند الفتيات، ظهور نوع من الالتواء أو الانحراف الخلقي، وعدم المبالاة بالناس المحيطين به، ويشعر بالخجل من التظاهر بالرزانة وقوّة الشخصية، بحيث يبدو وكأنه يرتكب بذلك جريمة، وهذا يؤدّي إلىٰ انتهاج الأساليب الخشنة بطرق مختلفة.

٥ ـ الحالات الأخرىٰ: يقوم الشاذّون جنسياً بتعنيف أنفسهم دوماً بسبب ارتكابهم للممارسات الدنيئة، ويلومون أنفسهم أيضاً، وينزلون بها الأذىٰ، والاضطراب الذي يُشاهد عليهم يعود في أسبابه إلىٰ ذلك التعنيف والتوبيخ والعذاب. يثير الانحراف الجنسي هيجاناً مؤقتاً، ويقترن عند الفتيات باليأس والحزن الذي قد يؤدّي في بعض الأحيان إلىٰ الانتحار.

فهم يشعرون بالخطر يتهدد وضعهم الأمني، وهذا قد ينتهي بهم لاحقاً إلىٰ الضعف وعدم القدرة في مجال العلاقة الزوجية، أو يؤدي بهم إلىٰ البرود في الطباع والمزاج، وقد تؤدي الاضطرابات المتولّدة عن ذلك إلىٰ ظهور بعض الانفعالات كالعُقد النفسيّة والصرع والهستيريا، والتي يغلب عليها طابع الاستسلام وبصورة يتقبل معها أي حكم يصدر ضدّه، ويصرّح بإدانته، وهذا علىٰ خلاف الخصال المرجوّة من الجيل الذي يجب أن يمتاز بالفاعلية والنشاط.

الوضع العام والسلوك:

تطغى علىٰ الأطفال والمراهقين الملوّثين جنسياً حالات وسلوك غير متّزن ولا معتدل، ونشير فيما يلي إلىٰ عدد من تلك الحالات علىٰ سبيل المثال:

١ ـ **الجرأة واللامبالاة:** الأطفال المصابون بالانحراف الجنسي، بل جميع المنحرفين يمتازون بنوعٍ من الجرأة والوقاحة واللاّمبالاة الجنسية. واستمرار الانحراف مدّة طويلة يؤدي إلىٰ نسيان كون ذلك العمل مخجلاً، فيواجه الطفل أو المراهق، الناس الآخرين بنوع من الجرأة واللامبالاة.

وهذه الوقاحة بادية علىٰ كلامهم وعلىٰ تصرفاتهم، يحشر أحدهم نفسه في عالم الكبار وحتى أنه يتمازح بأسلوب بذيء. ردود فعلهم الغضبيّة تكون حادّة، يظهرون أنفسهم في التجمّعات بصعوبة بالغة. وحتّىٰ حينما يظهرون أنفسهم فهنالك اختلال واضح في سلوكهم وطباعهم.

٢ ـ **حدّة المزاج:** قلنا إنّ أغلب المنحرفين وحتّىٰ في سنوات الطفولة والمراهقة مصابون بنوع من الحساسية الغضبية، أي أنهم يفقدون السيطرة علىٰ أعصابهم بسرعة، فالانحرافات الجنسية المبكّرة تكون مبدئياً سبباً لظهور الحدّة في المزاج، والتمرد والغضب، وخاصة إذا كانوا أصحاب مزاج صفراوي.

فالإصرار وعدم التحمل والجهود العبثية، هي من المظاهر البادية علىٰ سلوكهم بوضوح. فهم يواجهون النصائح والإرشادات بردود فعل غير مناسبة، وسلوكهم يزعج الآخرين، وحتىٰ أن سلوكهم وتصرّفاتهم لا يمكن التنبّؤ بها.

٣ ـ الاضطراب السلوكي: معظم المنحرفين يُعتبرون من الناحية النفسية أشخاصاً يمتازون بالعصبية والغضب، بعضهم علىٰ حدّ الجنون، والبعض الآخر مصاب بأضرار دماغية، وقد أظهرت التحليلات المختلفة أن بعضهم يعاني من نقص في الذكاء أو العقل، وبناءً علىٰ هذا تظهر علىٰ البعض منهم مواصفات وخصائص مضادّة للمجتمع.

وقد ظهر من الدراسات التي أُجريت علىٰ الشاذين جنسيّاً أن أكثر من ٨٠٪ منهم أشخاص غير متّزنين. فالاختلال في شخصياتهم أمر طبيعي وشامل، وقليل جداً هم الأشخاص المنحرفون لكنهم يتمتّعون بشخصية سويّة من الناحية الجنسية.

٤ ـ العادات السيّئة: يتعوّد الملوثون والمنحرفون علىٰ عادات قبيحة ومضرة من الناحية الجسمية والنفسية، فالشخص الذي اعتاد مثلاً علىٰ ممارسة الاستمناء قد ينقل هذه العادة إلىٰ المدرسة والصف، والشخص الذي أضحىٰ فريسة لشهوات الآخرين يتعوّد علىٰ التملق الكاذب والملاطفة الزائفة، ويرتاح لذلك.

ومن العادات السيّئة الأخرىٰ التجسس الجنسي الشديد. إذ يقوم الشخص بمراقبة العلاقة الخاصة بين أبويه، وكذلك علاقات الآخرين، ويتابع ذلك بلهفة شديدة، ويصغي لكل كلام أو رأي، ويحصي كل شاردة وواردة، وكل ما يحصل عليه من خلال هذا التجسس والاستطلاع يكون من عوامل الإثارة، ويؤدي بالنتيجة إلىٰ تشديد وتقوية ذلك السلوك، حيث أن مواصلة ذلك يعرضه للاضطرابات الروحية.

٥ ـ عدم اعتدال الطباع: وأخيراً، فالمنحرفون جنسياً وخاصة في سنوات

الطفولة والمراهقة، وحتىٰ البلوغ، لا يتّصفون بأعتدال المزاج والطباع. وبما أن سلوكهم غير طبيعي وغير معتدل، فهو يسبب لهم أعراضاً جسميّة. ولهذا فأغلبهم يعاني من المرض والضعف والهزال، ويعاني كذلك من الاختلال المَعدي والاضطراب فيما يتعلق بالهضم، من أثر الهيجان الذي يترك أثره علىٰ الأشخاص من الناحية الجسمية ويهيىء مستلزمات الانحراف أمام المريض.

ج ـ التأثيرات اللاّحقة:

وبالإضافة إلىٰ ما ذُكر سالفاً، فهناك تأثيرات أخرىٰ تتركها الانحرافات الجنسية علىٰ الأشخاص، وتظهر آثارها حتّىٰ بعد سنوات الزواج. ونشير فيما يلي إلىٰ بعض أنواع هذه التأثيرات:

١ ـ التعلق الجنسي عند الأطفال والمراهقين يؤدي إلىٰ ركود وتعطيل طاقات الشخص ويسلب منهم القدرة علىٰ النشاط والفاعلية. فتتعرض ـ نتيجة لذلك ـ استطلاعاتهم العلمية ومساعيهم المختلفة للركود والاضمحلال.

٢ ـ الأفراد المصابون بالانحراف يتّصفون بنوع من البله والغباء أو السطحية علىٰ أقل تقدير، ولا يمكنهم إخفاء هذا الجهل أو كتمان هذه السطحية في نفوسهم.

٣ ـ الانحرافات الجنسية تخرج الأطفال والمراهقين عن حدّ الاتّزان الفكري، وهذا ما يعرّض علاقة الفرد بالمدرسة والدراسة والمعلم والزملاء للاهتزاز، ويجعل منها علاقة مريرة.

٤ ـ الميول والانحرافات الجنسيّة في دور الطفولة، وكل ما يسمعه وما يراه الأطفال وأحلامهم ورغباتهم تؤثر عليهم في دور الشباب، وحتىٰ سلوكهم المنحرف الذي لم يكن ذا معنىً لديهم، يصبح في سنوات الشباب ذا معنىً، وهذا بذاته عامل مهم في الانحراف أو الشذوذ لاحقاً.

٥ ـ إن حصول الانحراف وقيامهم بالبحث عن اللذّة، وخاصة إذا

اتصفت بطابع الشهوة، يؤدي إلىٰ زعزعة حياتهم المستقبلية، وحتّىٰ حياتهم الزوجيّة، وإلىٰ حد يمكن القول معه أن الحالات غير الطبيعية في حياة الزوجين تعود في جذورها إلىٰ ماضيهم المنحرف. فقد شوهد أن بعض الأشخاص قد تزوّجوا، لكنهم بقوا ملازمين للشذوذ والانحراف. وبعبارة أخرىٰ إن الانحرافات في دور الطفولة تحتل مكان الكثير من التصورات والمفاهيم الذهنية.

الفصل الثاني

تأثير الإنحراف علىٰ حياة الآخرين

مقـدّمـــة:

إحدىٰ مصاعب الحياة الاجتماعية هي عدم وجود خصائص ظاهرية ومواصفات واضحة للمنحرفين جنسياً، لكي يتعرفهم الآخرون، ويتجنبوا مضارّهم وتأثيراتهم. فهم موجودون في كل مكان، وهم موجودون بشتّىٰ الأصناف وأنواع الثياب، وهم يوجدون في المجتمع بأعمار مختلفة.

فانعدام العلامات القطعيّة الدالّة عليهم من جهة، ووجود النفاق والرياء والتزييف من جهة أخرىٰ، يمهد الأرضية أمامهم للتواجد والمشاركة في النشاطات والميادين الاجتماعية. وبالنتيجة تتواجد الأخطار التي تهدد جيل المراهقين والأطفال من كل صوب بل إنها تهدد أيضاً الأشخاص من ذوي الأعمار الأخرىٰ.

أما إذا اقترنت مثل هذه الظروف مع بيئة اجتماعية متحللة يسودها الفسق والفجور وقد أنفلت فيها زمام الأمور، ولا يهتم الناس فيها بمثل هذه الاعتبارات؛ فمن الواضح ما هو حجم المخاطر التي تهدد الأجيال الناشئة، وما هو المصير الذي ستؤول إليه الحياة الاجتماعية.

اتّساع نطاق الانحراف:

من المخاطر المهمة التي تهدد المجتمع اتساع نطاق الانحراف.

فالانحرافات الجنسية هي من نوع المسائل التي تعتبر لذّة للمنحرفين، ولكنها تجلب علىٰ المجتمع الوبال. ونظراً لوجود بعض اللذّة التي يشعر بها المنحرف، فإن نطاقها يمتد ويتسع بسرعة وتؤدي إلىٰ انحراف الكثير من أبناء المجتمع.

فقد أظهر تحقيق جرىٰ علىٰ إحدىٰ المدارس المتوسّطة التي كان فيها اثنان أو ثلاثة من المنحرفين، والذين كان أولياؤهم غافلين عنهم، أن الانحراف وصل فيها خلال مدّة تقارب الأربعة أشهر إلىٰ عشرات الأضعاف. والسبب الرئيسي في اتساع هذا الانحراف هو عدم قدرة المراهقين أو الأطفال علىٰ كتمان السر، فهم يطلعون أصدقاءهم علىٰ القضية بسبب انعدام التجربة لديهم أحياناً، أو بسبب رغبتهم في إبراز شخصيّتهم وغرورهم أحياناً أخرىٰ!! وهذا من الأسباب الرئيسية التي تؤدي إلىٰ انتشار الانحراف خلال مُدّة قصيرة.

وهنالك نقطة أخرىٰ تجدر الإشارة إليها في هذا الجانب أيضاً الا وهي أن الكثير من المنحرفين وخاصة الذين تعرضوا منهم للانتهاك والاستغلال علىٰ يد الآخرين، يحاولون إيقاع الآخرين في الانحراف، وهم يحاولون بذلك الأسلوب الانتقام لأنفسهم، وهذه الظاهرة تكثر عند الأطفال المنحرفين عندما يصلون إلىٰ سن المراهقة والبلوغ.

أما الأخلاق السيئة والأمراض والاضطرابات الأخرىٰ التي تساعد علىٰ نشر هذا الانحراف، فيمكن التعرف عليها من خلال الدراسات والتحقيقات والإحصائيات الموجودة عن هذه الظاهرة. وكذلك الأمراض الزُهرية التي تنتشر في المجتمعات الفاسدة من خلال كثرة الانحرافات الجنسية، فهو أمر خطير أيضاً.

عدم الانسجام وسوء الخلق:

عندما يحصل الانحراف لدىٰ الشخص ويتحوّل بالتدريج إلىٰ عادة مزمنة في نفسه، ستتركز هذه العادة بمرور الزمن، وتصبح سبباً لظهور الاختلال في

سلوكه، وسوء الخلق، وعدم الانسجام مع الآخرين، وسيكون أول المتضررين من ذلك هم الأشخاص الذين يختلطون به ويتعاملون معه.

إن التغيير في الأخلاق والسلوك لدىٰ الأطفال والمراهقين يمكن ملاحظته بوضوح من جوانب متعددة. وبإمكان الوالدين والمربين الأذكياء إدراكه بسهولة، أو يمكنهم علىٰ أقل تقدير تقصّي الأوضاع عند مشاهدتهم لمثل هذا التغيير في سلوكهم وأوضاعهم، إذ سيصلون إلىٰ معرفة الجذور والأسباب بقليل من التأمل والملاحظة.

وكذلك يمكن ملاحظة سوء السلوك وعدم الانسجام، في المدرسة وفي الأماكن الأخرىٰ التي يختلط فيها الطفل والمراهق بأترابه. فهم ينتبهون أيضاً إلىٰ حصول تغيير في أخلاقية وسلوك مثل هذا الشخص، ومن النادر جداً أن يتحمّلوا وجوده، وحتّىٰ الجيران والأقارب يمكنهم ملاحظة مثل هذا التغيير الذي طرأ علىٰ سلوكه.

وتعليل هذه الظاهرة هو أن الشخص المنحرف في تضادٍ وتعارض مع أخلاقه وسلوكه، ولا يمكنه إقناع نفسه بممارسة هذا الانحراف. وهو يعلم أنه قد تعرض لنوع من الفساد والتلوّث، ولذلك فهو يلوم نفسه ويوبّخها دوماً، وهو يعنّف نفسه ويؤنّب ضميره، ويتعذّب عند تصوره لحلول العذاب الإلٰهي، ومعاقبته علىٰ ذنبه، وكذلك يتأذّىٰ عند تفكيره في انهتاك ستره وافتضاح أمره، وهذا ما يجعله يعيش في قلق وأضطراب دائمين.

الروح العدوانية وقساوة القلب:

سوء الأخلاق وعدم الانسجام الاجتماعي يؤدي في بعض الحالات إلىٰ ظهور الروح العدوانية علىٰ المنحرفين. فحسّاسيّتهم الشديدة تجعلهم يغضبون لأتفه الأسباب، ويتخذون موقفاً هجومياً وعدائياً، ويمكننا مشاهدة هذا النمط من السلوك عند الأشخاص الذين أصبح أنحرافهم مزمناً.

فأيّ تعامل وإن كان بسيطاً يخلق لديهم شعوراً بأنّ كرامتهم قد تتعرض للإهانة. وما موقفهم الهجومي ـ في حقيقة الأمر ـ إلاّ نوعاً من أساليب الوقاية من الخطر المحتمل الذي يهز قلوبهم. نحن نعلم بأنهم خوّافون وجبناء بطبيعتهم، لكن هذه الحالة تنتابهم عند وجود التحفيز والإثارة.

وقد ذكرنا سابقاً أن علماء النفس اكتشفوا العلاقة بين الشغب والغريزة الجنسية، وهذا كثيراً ما يشاهد لدىٰ المنحرفين والملوّثين، فهؤلاء يمتازون بقساوة خاصة تتضح من خلال تعاملهم الخشن، فيلتذون بإيذاء الآخرين، وهذا من أسباب نمو واتّساع أو حتّىٰ الإصابة بمرض الساديّة.

فالحقد وانعدام العاطفة الناتج عن التأثيرات والاضطرابات الجنسية هو من العوامل التي تُأجّج هذه الحالة، فهم يحقدون حتّىٰ علىٰ المحيطين بهم، ويغضبون عليهم، وهم يعيشون في وضع يشير إلىٰ أن الاضطرابات الناتجة عن الشعور بالذنب تؤلمهم وتُقلقهم وهم يعيشون في نطاق هذا الصراع.

تغيير السلوك إزاء الجنس الآخر:

ويمكن أن نعبّر عن ذلك بالقول: إنهم يرون أنفسهم دوماً أمام سؤال مقدر وهم يتجنّبونه ويفرّون منه. ويحاولون دائماً الابتعاد عن الجنس الآخر، لكي لا يتعرضوا لسوء الظن والأسئلة المحرجة. يوحون إلىٰ أنفسهم ضرورة الابتعاد عن ذلك الجنس ووجوب كراهيته، وقد تترك مثل هذه الإيحاءات تأثيرات مؤلمة عليهم في بعض الأحيان، بحيث يجدون أنفسهم لاحقاً يكنون لذلك الجنس كراهية عميقة حقّاً.

وضمن السياق العام لهذا الكره وهذا الانحراف، فالذي يتجنب الاختلاط بالجنس الآخر؛ نجده أحياناً يتّخذ طابع السخرية والاحتقار والإيذاء لأفراد ذلك الجنس. ومن هذا المنطلق نفسه يمكن تعليل بعض التصرفات، مثل دفع شخصٍ علىٰ فتاة وإسقاطها علىٰ الأرض، أو رميها في ساقية الماء أو

ضربها بالكتف أو تقليد صراخها وعويلها. وقد لوحظت حالة مشابهة وهي خطف شيءٍ من يدها والفرار به. فهم يقومون بالعمل الذي يجعلها في حالة خجل أمام الناس، وهذه الحالة موجودة أيضاً عند الفتيات إزاء الفتيان.

البحث عن ضحيّة:

الأشخاص المنحرفون لا يمكن الاطمئنان لهم أو الوثوق بهم. فهم غير أمناء في البيت وفي المدرسة وفي الضيافة والاختلاط. فأينما دخلوا لا يلبثون أن يستقرّوا قليلاً حتّىٰ يتحركوا نحو الآخرين محاولين جرّهم إلىٰ الفساد. وما أكثر العوائل التي أنحرف أبناؤها عن هذا الطريق، وما أكثر المدارس التي أنحرف فيها الطلبة إلىٰ الفساد علىٰ يد هذه الفِئة المنحرفة.

فميول هؤلاء الأشخاص ومساعيهم تتخذ في بداية الأمر طابع الصداقة والمحبّة وتبادل الأسرار والتملّق، ثم تنتهي في آخر المطاف بالشذوذ والانحراف، وتصل الحالة بهؤلاء الأشخاص إلىٰ حدٍّ يصبح تعاملهم مع أي شخص مصحوباً بالنظرة والتوقع المشوب بالهوس ويرغبون في إقامة نوع من العلاقة مع ذلك الشخص.

ويقول بعض علماء النفس أن الانحراف عندما يتجاوز حدّه ويصبح مزمناً عند الطفل أو المراهق فإنّه يُمسي في وضع لا يفكّر فيه بسد جوعه مثلما يفكّر ويبحث عن شخص منحرف مثله لكي يقضي معه وقته.

ورغم كون مثل هؤلاء الأشخاص ضحية ومرتعاً للآخرين، فهم يبحثون دوماً عن أشخاصٍ أكثر منهم ضعفاً وجهلاً، ليوقعوهم في شراكهم ويلوّثوهم، ولهذا يجب علىٰ الوالدين والمربين تشديد الحذر في هذا المجال، ولو شاهدوا أي انحراف من الأبناء مهما كان صغيراً، فذلك يتطلب منهم مضاعفة الرقابة عليهم.

اللجوء إلىٰ الجريمة:

إن الأشخاص الذين تأصّل فيهم الانحراف، مستعدّون لممارسة أي عمل

وقبول القيام بأيّة جريمة أو نشاط يضر بالمجتمع. ومن النتائج المؤكدة التي يمكن مشاهدتها فيما يخص انحرافات الأفراد في هذا الجانب، يمكن الإشارة إلىٰ الحالات التالية، والتي يتعلق أغلبها بالانحراف الجنسي:

١ ـ العضوية في التنظيمات الاجتماعية المنحرفة، وخاصة في سنوات المراهقة والبلوغ. فإذا كان التنظيم مختلطاً، فهو يستقطب أشخاصاً أكثر، ويفرض شروطاً أشد علىٰ القبول.

٢ ـ الافتراق عن الوالدين والمعارف بهدف التخفيف من العذاب الوجداني الناتج عن الشذوذ الجنسي.

٣ ـ قبول الأوامر وطلب الانحراف بسبب المشاعر العاطفية الجيّاشة والشعور بالألم لعدم وجود الانحراف.

٤ ـ إمكانية ممارسة العلاقات المتحللة السافرة والهروب من المعايير الأخلاقية، وكذلك لغرض الانتقام من الضوابط التي جلبت عليه الألم والمعاناة و. . . ولا شك أن الأشخاص الذين يمارسون الانحراف، لا يعانون من الانحراف الأخلاقي فقط، بل غالباً ما يقترن ذلك الانحراف بالانحراف الاجتماعي والسياسي، وهذا يشكل بذاته خطراً آخراً، وقد أثبتت التجارب أنهم يعمّقون انحرافهم بالتدريج، بل ويجعلونه أكثر تنوعاً وتعدداً، وقد يصل بهم الحال إلىٰ استعمال القوّة والقيام بالاعتداء والانتهاك أو التجاوز، أو أنهم قد يعمدون إلىٰ السرقة والأنواع الأخرىٰ من التلوّث كالإدمان.

تحذيـــرات:

وفي الختام لا بد لنا من الإشارة إلىٰ النقاط التالية التي تعتبر ضرورية في مجال الوقاية والعلاج، وهي بمثابة تحذيرات نقدّمها للمربّين في هذا الصدد:

١ ـ إمكانية الانحراف الجنسي موجودة لدىٰ جميع الأطفال والمراهقين، وخاصة لدىٰ:

ـ الذين لا يحظون بمربٍّ لائق وقدير.

ـ المصابون بضعف الذكاء أو العاهات النفسية.

٢ ـ الذين يكونون بين سن ١٠ ـ ١٣ سنة من العمر، فهي سنوات الإنذار بالنسبة للوالدين والمربين، ومن المراحل المهمة في الانحراف، وإمكانية الانحراف في هذه السن كبيرة جداً.

٣ ـ ضرورة معالجة الأطفال الخجولين، فالخجل بذاته يُعتبر من عوامل السقوط في هذا الوادي.

٤ ـ نمط الاختلاط والعلاقة بين الزوج والزوجة، يجب أن يخضع للضوابط والمعايير منذ حلول سنوات التمييز عند الطفل وحتّىٰ قبل ذلك.

٥ ـ ينبغي القيام بالرقابة اللاّزمة علىٰ علاقات الأشخاص البالغين بالمراهقين والأطفال.

٦ ـ تدني المستوىٰ الأخلاقي للمنحرفين، قد يؤدي أحياناً إلىٰ إقامة العلاقة بالمحارم ويجر بقية أعضاء العائلة للفساد.

الباب الحادي عشر

الوقاية من الانحراف ومعالجته

حاولنا في الأبواب والفصول السابقة، استعراض أساليب الوقاية والعلاج بشكل صريح أو بشكل ضمني، في كل مكان تطرّقنا فيه إلىٰ الانحراف. وفي الوقت نفسه سعينا إلىٰ تخصيص هذا الباب لشرح سبل الوقاية والعلاج من الانحراف، وكذلك نتحدث فيه عن الرقابة التي ينبغي أن تحظىٰ بالاهتمام اللاّزم.

نتناول في الفصل الأول من هذا الباب علل وعوامل الانحراف، وسوف نتطرق فيه أيضاً إلىٰ تعريف الانحراف وأنواعه، ومن ثم نحاول الإشارة إلىٰ أسباب وعوامل استشرائه، ونبحث أيضاً في أبعاده في الجوانب الحياتية والنفسيّة والعاطفية والاجتماعية.

ونخصص الفصل الثاني للأنماط العامّة في الوقاية، حيث سنذكّر فيه القُرّاء بضرورة مراجعة البابين الثالث والرابع من هذا الكتاب، ونطرح فيه أيضاً التحذيرات المهمّة للوالدين والمربّين بضرورة الانتباه إلىٰ علاقاتهم فيما بينهم من جهة، وعلاقتهم بأبنائهم من جهة أخرىٰ، وأن يركّزوا جهودهم علىٰ تربية الطفل تربية صحيحة.

وفي الفصل الثالث نبحث فيما ينبغي القيام به من مراقبة لهذا الجيل. ونتطرق كذلك إلىٰ الجوانب التي ينبغي الاهتمام بها والسيطرة عليها من جوانب حياة الطفل، كالعلاقات والاختلاط والخلوة والوحدة والتسلية وأوقات الفراغ والنوم والاستراحة والملاطفة و. . .

وأخيراً يبحث الفصل الرابع في أساليب العلاج. فبعد ذكر المقدّمة سنستعرض إمكانية العلاج، ونبحث في ميادنه والطرق التي ينبغي الاهتمام بها وتطبيقها في هذا الجانب، كالنواحي الثقافية والأخلاقية والطبيّة و.. وسنشير إلىٰ جميع تلك المواضيع مع مراعاة الاختصار.

الفصل الأول

أسباب وعوامل الانحراف

مقدّمــة:

يجب القول في تعريفنا للانحراف: إن علماء النفس يعرفونه بأنه الخروج عن حالة الاتّزان النفسي والسلوكي، وهذا الأمر ناتج عن التضاد وٱضطراب الوحدة في داخل النفس. وٱعتبره علماء الاجتماع نوعاً من السلوك العبثي المخالف للموازين الاجتماعية، وأن وجوده يضر بدوام النظام الاجتماعي والعدالة. وأخيراً يعرّف الانحراف من الزاوية الدينية بأنّه نوع من التعدّي والتجاوز للمعتقدات والتعاليم الدينية، ونمط من أنماط التمرد والطغيان علىٰ الأوامر والنواهي الإلّهية.

الانحراف الجنسي في حقيقته نوع وفرع من الانحرافات العامّة. ويتجسد في ممارسة للغريزة بغير سبلها المشروعة والجائزة، والهروب من المعايير العامّة للقيم المتعلّقة بها. وعندما يراد القول عن شخصٍ ما بأنّه منحرف جنسياً، فإنّما يراد القول بعبارة أخرىٰ: إنه يحصل علىٰ اللذّة من غير طريقها الشرعي أو بأسلوب لا يرتضيه المجتمع.

وهذه الظاهرة موجودة عند الكثير من الناس، ولكنّها تشتد أو تضعف عند شخص أو آخر، أو أنّها متوقّفة عند هذا وفي حالة متزايدة عند ذاك. وإطلاق كلمة الانحراف علىٰ هذا السلوك تصبح ذات بعد إجرامي عندما يمارسه الشخص عمداً وليس من باب الجهل والغفلة. وفي الوقت نفسه سواء أكان الشخص واعياً لها أم لم يكن، فهنالك أضرار وآثار تنبثق عنه، وقد أشرنا

إليها في بحوثنا السابقة.

شدّة الانحراف وأنواعه:

هنالك آراء واسعة جداً حول الانحراف الجنسي، وهي تختلف من مجتمع إلىٰ آخر، وفي مجتمعنا الإسلامي يمكن الإشارة إلىٰ أنواع مختلفة من الانحراف أهمّها: الزنا واللواط، وهتك الشرف، والإشباع الذاتي، والتظاهر الجنسي وإشباع النظر، والصنمية الجنسيّة و. . .

وفي المجتمعات الأخرىٰ في العالم اعتبروا الممارسات التالية من الانحرافات الجنسية أيضاً وهي: منع الحمل، والزواج بقصد اللذّة الصرفة، والعلاقة أثناء فترة الحيض، والعلاقة في أثناء حالة السكر، بينما اعتبر الإسلام أمثال هذه المسائل من الذنوب الكبائر، وحدد لها عقوباتها الخاصّة.

أما من ناحية الشدة والضعف فيجب القول أيضاً بأن المنحرفين علىٰ نوعين: النوع الأول هم الذين لديهم انحرافات فردية كالزنا واللواط و. . . والنوع الثاني وهم المصابون بانحرافات أخف وأقل شِدّة كالذين يمارسون التظاهر الجنسي أو إشباع النظر أو إظهار العورة، أو أولئك الذين يلجأون إلىٰ الإشباع الذاتي.

ضرورة تعرّف الأسباب والعوامل:

الانحرافات التي تحصل للطفل والمراهق أو حتّىٰ للناس الأكبر سِناً، لا يمكن أن تكون بلا أسباب ودوافع. والمهم بالنسبة للآباء والأمّهات والمربين هو تعرف تلك الأسباب والدوافع لكي يكون بالإمكان اتخاذ الإجراءات اللازمة للوقاية والعلاج. إن الحصول علىٰ المعلومات بشأن الأشخاص المصابين بالانحرافات الجنسيّة هو عادة من اختصاص المسؤولين والمعنيين بإصلاح المنحرفين. ونحن نشير فيما يلي إلىٰ تلك العوامل مع أننا قد أشرنا إليها في مجمل بحوثنا السابقة:

أسباب وعوامل الانحراف:

هنالك مسائل متعددة يمكن الإشارة إليها في هذا السياق وأهمّها:

أ ـ العوامل العضوية:

هناك جوانب عديدة يجب الانتباه إليها في هذا المجال وهي من الأركان الرئيسية في الإصلاح وأهمّها ما يأتي:

١ ـ حالة الغدة من ناحية مقدار إفرازاتها، إذ يعود إليها سبب البلوغ المبكّر، وعدم الاتّزان في السلوك الجنسي، بل وحتّىٰ أن البعض يعتبرها السبب في الميل إلىٰ أبناء الجنس الواحد أو الاستسلام للآخرين.

تبدأ الغدد الجنسية عادة نضوجها ونشاطها بين سن ١٣ ـ ١٤ عاماً، وهذا هو سبب ظهور الرغبات الخاصة. وقبل ذلك أي في سن ١١ ـ ١٣ سنة، تنضج غدة الهيبوفيز والثيروئيد، والتي تؤثر في نضوج ونمو الغدد الجنسية. وعلىٰ هذا الأساس هناك بداية معقولة بالنسبة للفتيات في جميع نظامها الجسمي. وأرضية النضوج هذه يمكن أن تتقدم بمدّة سنتين عند الفتيات أي أنها تحصل بين ٩ ـ ١١ سنة، حيث يظهر لديهن سلوك خاص ومخفي عن الأنظار تماماً.

٢ ـ تغلّب الهورمونات عند الرجل (مثل تغلّب هورمون الأستروجين) قد يكون أيضاً سبباً مهماً في هذا المجال، بحيث أن بعض الأخصائيين يعلل الميول إلىٰ أبناء نفس الجنس علىٰ هذا الأساس.

٣ ـ وجود أورام خاصّة في داخل بُنية الإنسان، كأن يكون في المبيض مثلاً وهذا ما يمهّد الأرضية أمام أنواع أخرىٰ من الإصابات، والتي تفسح المجال بدورها لظهور أنواع مختلفة من التلوث الجنسي.

٤ ـ وقد أشار عدد من المطّلعين إلىٰ مسؤولية العناصر الوراثية في هذا

الجانب، إلا أن ذلك أمر غير مقبول بالنسبة لنا؛ لأن الانحراف أمر اجتماعي واكتسابي، إلا في الحالات التي تتوفر له فيها الأرضية العضوية. فلا يأتي شخص إلىٰ هذه الدنيا وهو ملوّث ذاتياً.

٥ ـ بعض الإصابات؛ مثل وجود الديدان يؤدي إلىٰ ظهور بعض الأمراض الجنسية ومن جملتها الإشباع الذاتي، والذي تنتج عنه حالات وأعراض أخرىٰ، وعلىٰ كل الاحتمالات يجب أخذ العنصر العضوي بنظر الاعتبار أيضاً في جميع الحالات. وفي نفس الوقت نودّ التنويه بأن علم وظائف الأعضاء (بايولوجي) لم يعثر علىٰ وجود أيّة علاقة بين الانحراف الجنسي والأصل العنصري.

ب ـ العوامل الدماغية والنفسية:

ويمكن الإشارة إلىٰ مسائل متعددة في هذا المجال؛ من ضمنها:

ـ وجود بعض الأورام في الدماغ تمهّد السبيل أمام بعض هذه الإصابات.

ـ الاختلال في الجوانب النفسية أو الدفاعية، حيث تبيّن من خلال أحد التحقيقات أن ١٤ ٪ فقط من المنحرفين يتمتّعون بوضع عادي.

ـ انعدام الاتّزان الروحي مثل الاختلال في مجموعة الأعصاب وهو من عوامل نمو مرض النوروز (النوراسيني)، وهو بدوره من عوامل الانحراف وأسبابه.

ـ وجود الغباء الذهني والجنون وخاصة جنون الشيخوخة هو من العوامل الأخرىٰ في هذا المجال.

ـ العادات الحياتية والاجتماعية القبيحة، الناتجة عن التخلّف الثقافي والاجتماعي والتي تنشأ من اتّباع أو انتهاج أساليب غير سليمة، والتي يتمخّض عنها لاحقاً تثبيت بعض العناصر السلبية في شخصية الإنسان.

- استطلاعات الشخص وخاصة في الأجواء غير العادية، والتي تؤدي إلىٰ الحصول علىٰ نتائج مؤلمة وغير مريحة.

ج - العوامل العاطفية:

ويجب أيضاً التفحّص في مجال الأسباب والعوامل العاطفية لتعرّف الحادثة التي وقعت في حياة الإنسان الماضية، وكانت سبباً لحصول هذا الانحراف. تحقيقات المتخصصين في هذا المجال توصّلت إلىٰ هذه النتيجة، وهي أن الأشخاص الذين يمارسون الانحراف هم أشخاص غير بالغين ولا ناضجين في الجانب العاطفي، بل ولديهم نقص في الجانب العاطفي أيضاً، وإن كانوا قد تعرّضوا في بعض الحالات للإغراء والخداع.

ومن العوامل الأخرىٰ التي ينبغي الإشارة إليها في هذا المجال هي:

- عدم الانسجام مع الأب، بسبب خشونة الأب مع أبنه أو عدم الرأفة به.

- وجود الأم التي تحدد أبناءها وتفرض عليهم القيود، وتحبّهم أكثر مما ينبغي، إذ يصبح الأبناء - نتيجة لوجود القيود الشاملة وكثرة الممنوعات - أكثر حرصاً علىٰ الخوض في بعض الأمور.

- عدم قدرة الشخص علىٰ مجالسة أقاربه وجيرانه وأترابه، وبالشكل الذي يشعره بالنقص والقصور.

- وجود الصراعات والنزاعات بين الوالدين وأفراد العائلة، بحيث يشعر الشخص بوجود مخاطر تتهدد مكانته، وكذلك انفصال الوالدين وبقاء الطفل بلا معيل.

- وجود الحرمان وهو من العوامل التي تسوق الشخص إلىٰ الوقوع في أحضان الأشخاص الذين يغرون الضحايا بالتملّق وذلاقة اللسان.

د ـ الأسباب البيئية والاجتماعية:

لا يمكن تجاهل العامل الاجتماعي والبيئي الذي يعيش فيه الشخص، فكثير من الانحرافات والانزلاقات يمكن تعليلها وفقاً لهذا الأساس. وهناك مسائل متعددة يمكن الإشارة إليها هنا ومن جملتها ما يأتي:

ـ اضطراب الحياة العائلية وتشتتها، وهذا ما يدفع بالأطفال والمراهقين إلىٰ التوجّه إلىٰ الآخرين، وهو من أسباب الانسياق نحو الانحراف والذنب؛ لأن الملوثين والمتعطشين للشهوة موجودون في كل مكان.

ـ الفقر والعوز المادّي، وهو ما يمكن أن يكون سبباً من أسباب الانحراف والتلوّث.

ـ وجود الأقران غير الصالحين من الملوّثين والناقلين للتلوّث، والذين يمهّدون السبيل أمام إغراء الأشخاص الآخرين والإيقاع بهم.

ـ عدم سيادة التربية الصحيحة في المحيط العائلي من ناحية النوم والاستراحة والحركات والسكنات.

ـ ضعف السيطرة الأخلاقية من قبل الوالدين والمربين، والذي يؤدي بالأبناء إلىٰ الانزلاق نحو الأماكن الموبوءة.

ـ وجود الكتب والنشرات والأفلام والبرامج البذيئة في الأجواء العامّة.

ـ الاختلاط بين الجنسين في مكان واحد، وهو ما يمهّد السبيل أمام بعض الانحرافات.

ـ عدم استقرار نمط التفكير والأخلاق والسلوك، وهذه من الأسباب المهمة في حصول الانحراف.

ـ ضعف الأخلاق والثقافة، والناتج عن الإهمال والتساهل وعدم المتابعة.

- انعدام التسلية المناسبة لسد أوقات الفراغ و. . .

هـ - العوامل الأخرىٰ:

لا يمكن الإشارة إلىٰ عامل واحد واعتباره سبباً لحصول واتساع الانحراف؛ فهناك عوامل متعددة تتظافر فيما بينها وتبلور مستلزمات الانحراف عند الأشخاص. بعض هذه العوامل واضح وصريح، وبعضها الآخر مخبوء وخفي عن الأنظار، أو أن الوالدين والمربين غافلون عنه.

مثلاً وضع الحياة المدنية واتساعها حيث يشعر فيها الإنسان بالمجهولية والضياع، فهذا الأمر له تأثير في نفسه، فمع كل ما تحمله أجواء الحياة المدنية للأشخاص من وسائل الرفاهية والأنس، وما يجري فيها من تعارف بينهم، إلاّ أنّها تبقىٰ من وجهة نظر سبباً لشعورهم بالغربة وعدم معرفتهم لبعضهم الآخر. فعندما يخرج الطفل أو المراهق من منزله - في المدينة وخاصة إذا كانت المدينة كبيرة - يصبح بعيداً عن متناول أبويه ورقابتهما له، فهما يجهلان مع مَن يمشي ومَن يعاشر. وهذه الحالة من انعدام السيطرة وانعدام الرقابة، تعتبر بذاتها من عوامل الانحراف، وخاصة إذا كان الطفل يلتقي بالمنحرفين والملوّثين.

أما في المحيط الريفي فتتخذ هذه المسألة طابعاً آخر. فما دام الأشخاص يترددون بين الناس، فهم تحت النظر والمراقبة؛ لأنهم في تلك الأجواء يعرفون من هذا الشخص وابن مَن. لكن الأراضي الزراعية والبساتين القائمة في ذلك المحيط تجعل للأشخاص في منأىً عن الرقابة والأنظار، وهذا العامل هو من أسباب الانحراف.

وهنالك عوامل أخرىٰ عديدة تلعب دوراً مهماً في مثل هذه الأمور، كالطعام الكثير غير المتناسق، أو الحياة الحافلة بالضجيج والصخب، ووجود القلق والاضطراب، وانتشار الوسائل والعوامل ذات الانعكاسات السلبية في

التربية، وقد أظهرت التحقيقات أن هذه الأمور تعجل في البلوغ بمعدل سنة واحدة إلىٰ ثلاث سنوات وهذا من عوامل وأسباب الانحراف أيضاً.

نقاط مهمّة في تعرّف العوامل:

خلال البحث في علل وأسباب الانحراف، يبدو من الضروري إدراك هذه النقطة وهي هل أن الشخص قام بذاته باكتشاف هذا الانحراف وممارسته، أم كان للآخرين دور من تعليمه ودفعه إلىٰ ذلك؟ فإن كان ذلك قد تم علىٰ يدِه، فلا بدَّ وأنه مصاب بعارض جسمي أو نفسي، وحينئذٍ ينبغي اتخاذ الإجراءات الخاصة لمعالجته.

ومن ناحية أخرىٰ فهنالك فرق بين شخصين منحرفين؛ تعرض أحدهما للانحراف بسبب اختلاله العصبي، والآخر أصبح لا أبالياً بسبب انحرافه الأخلاقي، وأخذ يمارس الانحراف بكل وقاحة. فالأول يمكن معالجته من خلال معالجة اختلاله، لكن الثاني بحاجة للمراقبة والسيطرة الأخلاقية وإلىٰ تعلم الأخلاق أيضاً.

والغرض من هذا هو ضرورة تقصّي جذور الانحراف، وما دامت المعرفة غير متحققة فلن تكون هناك إمكانية للعلاج حتّىٰ عن طريق العقوبة، ويجب أن نعلم أيضاً أن سبل العلاج وحتّىٰ أساليب الوقاية تختلف وفقاً لنوع الانحراف؛ إذ يجب انتهاج الأسلوب الخاص لكل سببٍ أو أمر.

الفصل الثاني

الأساليب العامّة في الوقاية

مقـدّمـــة:

نحن ندرك طبعاً أن الوقاية أيسر وأقلّ كلفة من العلاج، وخاصة في مجال الانحراف الجنسي إذ يؤدّي وقوع الانحراف في بعض الحالات إلىٰ إراقة ماء وجه العائلة. فالآثار والنتائج التي تفرزها الانحرافات الجنسيّة علىٰ الصعيد الفَردي أو الاجتماعي تحتم علىٰ الوالدين والمربين بذل المزيد من الاهتمام بهذا الجانب.

فالوظيفة الأولىٰ في الجانب الوقائي تقع علىٰ عاتق الأبوين بسبب كونهما المسؤولين المباشرين عن تربية الجيل. طبعاً بقية أفراد المجتمع يقع عليهم جانب من هذه المسؤولية، وكذلك الدولة حيث ينبغي عليها، عن طريق ممارسة الرقابة والإشراف، توفير مستلزمات القداسة والعفّة في البيئة الاجتماعية، لغرض الحيلولة دون انحراف أفراد المجتمع.

وقد وصفوا الانحراف الجنسي بأنّه سرطان الشخصية، لأنّه قد حيّر المتصدين لأمر معالجته. وفي بعض الحالات قد يكون العلاج نفسه أيضاً سبباً لعودة المنحرفين إلىٰ انحرافهم. ولهذا فمن الضروري تشديد الاهتمام بالوقاية حتّىٰ لا ينتهي الأمر إلىٰ الانحراف.

نقطة مهمّة في الوقاية:

القضية الأساسية في الإجراءات الوقائية هي القيام بالمراقبة اللاّزمة لكي

لا تتيقظ مشاعر الشهوة في غير أوانها، وتدفع بالشخص إلىٰ بعض الممارسات الجنسية المنبوذة... فلو أن الطفل أو المراهق شعر بلذّة في جانب من هذه الجوانب، أو أنه تورط في عادة قبيحة، فلن تتهيأ له إمكانية تركها. والسبب في ذلك ـ كما يرىٰ بعض المتخصصين ـ هو ظهور أو تكوّن نظام عصبيّ خاص للمنحرفين، في مثل هذه الحالة، لا يمكنهم التخلّي عنه. وبعبارة أخرىٰ إنهم يعتقدون بأن الشعور المتكرر يؤدي إلىٰ ظهور عادات سيّئة، أو حصول انعكاسات نفسية سلبية.

وفي الجانب الوقائي، نرىٰ من الضروري العودة إلىٰ مطالعة الأبواب ٣ و ٤ مَرّة ثانية، فقد بحثنا هناك العوامل الفردية والاجتماعية للإثارة، وتحدثنا أيضاً عن العوامل التي تساعد علىٰ الإيقاظ والإثارة، وبحثنا فيه عن العوامل المتعلقة بالشخص ذاته، والعوامل المتعلقة بالبيت والحياة العائلية، وكذلك عن الظروف النفسية والاجتماعية. فالانتباه إلىٰ هذه القضايا يجعلنا أكثر وعياً في الجانب الوقائي.

علىٰ طريق الوقاية من الانحراف:

يتوجّب علىٰ الوالدين المحترمين الالتفات إلىٰ مجموعة من الأصول والمبادىء من أجل وقاية أبنائهم من الانحراف، وأهمّها:

١ ـ **وجود برنامج وهدف في الحياة:** وهذا الموضوع يجب أن يكون مبدءاً عاماً في الحياة. فالحياة الإنسانية والعقلانية لا يمكن أن تكون بلا هدف أو برنامج، أما ما يتعلق ببحثنا فهو عندما يكون للإنسان هدف مدروس في حياته، ويسعىٰ لتحقيق غرض معيّن ويسير وفق برنامج واضح، فإنه يعلم بما ينبغي عليه فعله وكيف يجب أن يتقدم. فجميع أحاديثه وتصرّفاته وأنماط سلوكه ستجري وفقاً لمعيار معيّن، وسيتعلم الأطفال والمراهقون درساً من خلال هذا المنهاج الحياتي ويسيرون علىٰ هديه.

٢ ـ **مراقبة السلوك والعلاقات**: وهذه نقطة مهمة أيضاً. فالكثير من الأطفال قد انحرفوا بسبب ما يشاهدونه من علاقات متحللة بين والديهم. فكل هذه التوصيات التي أكّد عليها الإسلام إنما جاءت للحيلولة دون وقوع مثل هذه الانحرافات.

فيجب أن لا تكون أحاديث الوالدين وكلماتهم فيما بينهم وحتّىٰ كتاباتهم بالشكل الذي يؤدي في نهاية المطاف إلىٰ انحراف الأطفال. وقد اتّضح لنا من خلال تحقيق قمنا به حول انحراف الأطفال أن بعضهم قد أشار إلىٰ أنه تعلم هذا الفعل من والديه. وبعبارة أخرىٰ أنهم رأوا أشياءاً من أبيهم وأمهم وقلّدوا نفس تلك الأشياء.

٣ ـ **التوجيه والإرشاد**: يجب علىٰ الآباء والأمّهات وكذلك المسؤولين عن تربية الأطفال، أن ينتهجوا أسلوباً ـ وعلىٰ مدىٰ فترة تربية الأطفال ـ يقوم علىٰ أسس حياتية وإنسانية وأخلاقية، ويتطلع إلىٰ حياة شريفة يحفظ من خلالها ذاته وشرفه ويتعلم منها القيم النبيلة، وتنبيهه أيضاً إلىٰ مضار الانحراف وبالشكل الذي يمكّنهم في سنوات النضوج والتمييز من الدفاع عن عزّتهم وكرامتهم وشرفهم.

والطفل في سنوات ما قبل الابتدائية يجب أن يتعلّم أيضاً أنه لا ينبغي أن يمسّه أحد. وهو أيضاً يجب أن لا يمدّ يده إلىٰ بعض أجزاء جسمه. ولا يحق لأحد أن يراه عارياً. وهو أيضاً إذا رأىٰ أحداً عارياً، فليخفض بصره ويحاول عدم النظر إليه.

إن إعطاء مثل هذه الإرشادات ـ التي نعتبرها من المعلومات الأساسية والضرورية ـ تحصّن الطفل إلىٰ حدٍّ ما ضد الانحراف، وهذا بذاته نوع من إقامة الحواجز أمام الانحراف. وهذه الإرشادات ينبغي أن تكون أكثر تركيزاً وجديّة بالنسبة للفتيات بسبب الحساسية الخاصة التي تمتاز بها حياتهن. ومن الطبيعي أن الفتاة كلّما تقدّمت في السن كلما أصبحت بحاجة إلىٰ

معلومات أكثر.

٤ ـ من العوامل المهمة في انحراف الأطفال والمراهقين وحتّىٰ الكبار هو النقص العاطفي. فالأشخاص الذين لم يحضوا بحنان الوالدين طوال فترة حياتهم يحاولون إيصال أنفسهم إلىٰ عالم الحنان والمحبّة عن طريق الشهوة الجنسية وممارسة الانحراف.

وهذا يستدعي توطيد علاقتكم مع الطفل وتصرفوا معه بالشكل الذي يشعره بمحبتكم له وأنكم ترومون لهم الخير والسعادة. فارتباط الأطفال بالأجواء الأخلاقية السليمة التي تسود العائلة والاحترام والمحبّة المتبادلة لا يتمخّض عنها نضوجهم عاطفياً فقط بل إنها ستحول بينهم وبين السقوط في مهاوي الانحراف التي تعترض طريقهم.

٥ ـ مراعاة الاعتدال في المحبّة: ولا بأس بالإشارة هنا إلىٰ ضرورة التزام جانب الحدّ الوسط في المحبّة فلا إفراط ولا تفريط. فنقصان المحبة يُفرز آثاراً سلبية، وكذلك الإفراط فيها فإنه يخلف نفس الآثار الناتجة عن نقصها. فالشعور بالتعلق الشديد بالأب والأم أمر غير مرغوب فيه، فقد تكون نفس هذه المحبة المفرطة سبباً في بعض المواطن لإيجاد نوع من الانحراف عند الأشخاص يؤثر في طبيعتهم الجنسية أو سلوكهم الجنسي لاحقاً.

٦ ـ مراعاة الصحة الجسمية: وكما ذكرتُ سابقاً، فرعاية الصحة الجسمية والسلامة الجسدية مهمة في الوقاية من الانحراف. فقد أشرنا في موضوع الإشباع الذاتي إلىٰ أن وجود دودة واحدة أو عدّة ديدان يثير الحكّة عند الشخص ولا شك أن الحكة توجد لديه شعوراً باللذة وهذا ما يؤدي فيما بعد إلىٰ ممارسة عادة الاستمناء المستهجنة، ولذا فمن الضروري أن يبذل الوالدان جهوداً في مكافحة الديدان المعدية عند الأطفال.

وكذلك رعاية الصحّة الجسمية والمحافظة علىٰ نظافة البدن هي من الأمور المؤثّرة في هذا الجانب. وتشتمل هذه الرعاية الصحيّة علىٰ مراقبة

نظافة الجهاز التناسلي ومنع الأمراض التي تحصل في مثل هذه الأماكن.

٧ ـ **رعاية الصحة النفسيّة**: إن حصول الطفل علىٰ المحبّة الكافية هو من القضايا المهمّة والرئيسية في الصحّة النفسية. لكن هناك بُعد آخر في هذه القضية ألا وهو سدّ المنافذ التي قد تتسلل منها عوامل الاضطراب إلىٰ روح الطفل. فيجب صيانة الطفل والمراهق، وخاصة أولئك الذين هم علىٰ مشارف البلوغ، من جميع ما يثير في نفسه القلق والاضطراب. وذلك لأن الاضطراب من الأسباب التي تدفع الشخص إلىٰ البحث عن عوامل التسكين، والبحث عن مثل هذه المسكّنات يوقعه في مهاوي الرذيلة. وإذا كان في النيّة استخدام أساليب التوبيخ والعقوبة فينبغي استخدامها من الآن، ولا تتركوا الأمر إلىٰ الغد؛ لأن طفلكم سيعيش خلال هذه الفاصلة في قلقٍ وحيرة.

٨ ـ ترسيخ العادات الصحيحة:

تنتج بعض عوامل الإثارة عن الكيفية التي يجري فيها الأكل والنوم والاستراحة. وهذا له دور مؤثر في المحافظة على سلامة الأطفال وصيانتهم من الانحراف. فالبقاء في فراش النوم والتمرّغ فيه، أو النوم بصورة غير صحيحة كالنوم علىٰ الوجه مثلاً، أو وضع الأرجل وبقية الأعضاء علىٰ بعضها بشكل معيّن وعدم التعوّد علىٰ التخلّي وإفراغ السبيلين قبل النوم، أو النوم بسروال قصير، أو ارتداء الملابس الخشنة أو الناعمة جداً و... كلها من عوامل الانحراف. ومما لا شك فيه أن الوقاية تستلزم مراعاة هذه الجوانب. عوّدوا الأطفال علىٰ النوم علىٰ القفا، والنوم بملابس أو سروال طويل، وأن يتخلّوا قبل النوم و...

٩ ـ **تقوية الإيمان والإرادة**: يجب تعريف الأطفال ومنذ بداية حياتهم بتعاليم دينهم، وعلّموهم المعايير والموازين الدينية، وليفهموا أن سعادتهم تكمن في الإيمان والتمسك بالقيم الشرعية. وهذا الأسلوب موجود في التربية الإسلامية، وقد جرىٰ التأكيد عليه كثيراً. وعند تعليمهم مثل هذه الأمور

حثّوهم علىٰ الالتزام بها، لكي تتكون عندهم الإرادة الكافية. وأعملوا علىٰ تمتين إرادتهم. فلا يستسلموا أمام أيّة دعوة، ولا يتهاروا أو يضعفوا أمام أي أمر أو موقف، فضعف الإرادة وخاصة إذا اقترن بضعف الإيمان لن يورّث إلاّ الفضيحة والهوان.

١٠ ـ تقوية الأسس الأخلاقية: نرىٰ من الضروري تلقين الطفل القيم السامية والمعايير الأخلاقية السليمة، وذلك لأن القيم الأخلاقية السامية يمكن أن تكون درعاً أمام الطفل والمراهق يحول بينه وبين الانحدار في مهاوي الانحراف.

حاولوا تربية أطفالكم علىٰ عزة النفس، وبالشكل الذي يفكّرون فيه مثل تفكير الكبار. وأن يترفّعوا عن الانحطاط إلىٰ الدّنيّات من المغريات، وأن يتمتّعوا بالحياء والكبرياء، ولا ينسوا الصدق والإخلاص، فلا يكونوا موطناً لشهوات الآخرين، ولا سيّما الفتيات، إذ أن تزويدهن بمثل هذه القيم وهذه الصفات، سيكون لديهن بمثابة السلاح الذي يفوق جميع الأسلحة الأخرىٰ.

١١ ـ السيطرة: إن السيطرة علىٰ صداقات وعلاقات الأطفال، ومخالطتهم بالإضافة إلىٰ مراقبة الأشياء التي يرونها أو يسمعونها أو يلتقون فيها أثناء حياتهم اليومية، هي من المسائل الأساسية والمهمّة في تربيتهم، فالتآلف والمؤانسة بين الأقران والأتراب أمر محبّذ، ولكن بشرط خضوع ذلك للمعايير الصحيحة ولإشرافكم المباشر، لاحظوا مَن هم الناس الذين يعاشرهم أطفالكم ويعقدون معهم علاقات الصداقة، وعلىٰ أي الأماكن يترددون، وما هي المشاهد والعلاقات التي يرونها ويطلعون عليها؟

١٢ ـ وصايا أخرىٰ: هنالك نقاط كثيرة ينبغي الإشارة إليها في هذا المجال، وهناك أمور أخرىٰ يعلمها الوالدان وهما مطّلعان عليها، وفي نفس الوقت يجب أن نقول:

ـ وفّروا لأبنائكم من الألعاب والمشاغل ما يلهيهم في أوقات فراغهم،

فكرياً ويدوياً.

- عوّدوهم علىٰ مزاولة النشاطات الرياضية والترفيهية السليمة، وعلىٰ النشاط الجماعي والحياة الجماعية، فإن ذلك من دواعي السلامة النفسية والجسدية.

- ينبغي الإشارة ضمن الأحاديث والمناقشات اليومية، وبشكل غير مباشر إلىٰ قيم العفّة والشرف، وطرحها بشكل يقترب إلىٰ الصراحة.

- علموا الأبناء الاهتمام بالجوانب الصحية ومراقبتها جيداً في سنّ المراهقة والبلوغ. فإن كانت فتاة فيجب أن تطلع علىٰ الصحة المتعلقة بالعادة الشهرية، وإن كان فتىً يجب أن يعلم ماهية الاحتلام.

- يجب علىٰ الوالدين مساعدته علىٰ إقامة علاقات صحيحة وسليمة مع الأصدقاء والأتراب، وأن تكون الألفة والأنس وفق المعايير الصحيحة.

- بعض التوصيات تخصّ الأمّهات فيما يتعلق بالمواليد الجدد، حيث وردت التأكيدات حتّىٰ علىٰ عدم تضييق قماطه. وأن لا يدلك كثيراً أثناء التنشيف بالمنشفة. والانتباه إلىٰ الطفل لكي لا يلعب بأعضائه، ولا يشهد العلاقات الزوجية، حتّىٰ وإن كان في السنوات المبكّرة من عمره أو صغيراً جداً.

الفصل الثالث

الرقابة الضرورية واللازمة

مقـدّمــة:

تعتبر تربية الطفل وإيصاله إلىٰ مبلغ حسن ومثمر، وصيانته ومراقبته من دور الطفولة. إلىٰ أن يصبح شخصاً كبيراً، وعضواً مفيداً في المجتمع، من أشد المصاعب. والصعوبة في ذلك تكمن أولاً: في مسؤولية الوالدين عن تربية الطفل حتىٰ يبلغ مبلغ الكبار. وثانياً: أن الأطفال ليسوا في حالة أو وضع بحيث يتبعوا الأبوين ويطيعونهما مائة بالمائة. فالطفل منذ مرحلة تكوينه كجنين، إلىٰ أن يولد وحتىٰ اليوم الذي يبلغ فيه سن المراهقة والبلوغ يكون خلال هذه الفترة تحت تأثير العشرات من العوامل، التي يُؤثر كل واحد منها في سلوكه وأخلاقه ومعتقداته، بشكل من الأشكال.

ـ ومن بين العشرات من الجوانب التربوية والإشرافية يجب القول: إن الرقابة الجنسيّة هي من أصعب أنواع الرقابة وأكثرها ضرورة وأهمية. وصعوبة ذلك تكمن في كون الانحراف يحصل في الخفاء وبعيداً عن الأنظار أوّلاً، وثانياً: أن بعضه يكون باهظ الثمن حيث ينتهي بتدمير الشخص، وهدر كرامته وشرف عائلته.

فمن الخطأ ما يطرحه البعض من تصوزات ويدّعون أن الأطفال الأذكياء والمثابـرون علىٰ الـدراسـة بعيـدون عـن هـذا الانحـراف ومنـزّهـون عنـه. فالإحصائيات تشير إلىٰ أن ٩٠ ٪ من الأفراد في المجتمعات الغربية لديهم نوع من أنواع التلوث الجنسي، بينما يتضاءل هذا الرقم كثيراً في المجتمعات

الشرقية وخاصّة الإسلامية منها. ولكننا لو أخذنا بنظر الاعتبار نمطنا الفكري وتراثنا ومعتقداتنا، يتبيّن لنا أن ذلك الرقم مع ضآلته فهو كبير جداً.

ضرورة المراقبة:

إن أطفالنا بحاجة إلىٰ الرقابة، وذلك لكونهم في حالة ووضعية لا تتيح لهم إدارة أنفسهم والدفاع عن كرامتهم وعزّتهم، وحتّىٰ افتقادهم القدرة علىٰ مواجهة رغباتهم والتغلب عليها.

ومن ناحية أخرىٰ فالأطفال مساكين بسبب تعرضهم للكثير من الحوادث التي يجهلونها. فهم يواجهون خدعاً وأحابيل لا يفهمونها. فتملق بعض الناس لهم يغريهم، وهم ينخدعون بالحلوىٰ وبالألعاب، وبكل ما هو ملوّن وجَذّاب.

ومن المحتمل أيضاً أن ينخدعوا ببعض الحركات والتصرفات المغلّفة بمظاهر اللعب والتسلية، فيقعون في الانحراف، وقد يكون مردّ ذلك هو جهلهم بالألعاب الممنوعة والمغايرة للأخلاق. وهذه المسائل عموماً تستدعي قيامنا بمراقبتهم طوال فترة نموّهم، والالتفات إلىٰ جميع حركاتهم وسكناتهم في جميع جوانب حياتهم، وتوجيههم حال بروز أي خطأ منهم.

ميادين الرقابة:

ولكن ما هي الجوانب التي تستدعي المراقبة في حياة الطفل والمراهق، فالجواب هو: في جميع الجوانب، وخاصة في الجوانب التالية:

١ ـ مصادر المعلومات: يأتي الطفل إلىٰ الدنيا وهو جاهل بأمور الحياة وحوادثها. وفي بداية أمره يعمد إلىٰ استعمال حواسّه للتوصل إلىٰ بعض الحقائق، وفي المراحل اللاّحقة من حياته يتوصل إلىٰ تلك الحقائق عن طريق التفكير والاستكشاف والاستطلاع. والمهم هنا هو مراقبة مصادر معلوماته

ومعرفة مَن هم الذين يعلّمونه بعض الأشياء؟ وما هي الأشياء التي يعلمونها إيّاه؟ وكيفية ذلك؟ وكذلك يجب ملاحظة الكتب والمجلاّت التي يقرؤها؟ وأي الأبواب منها؟ فمن غير المؤكد أن جميع الأشياء التي تُعَلّم للطفل وكل ما يُطلب منه صحيح وصائب، فما أكثر الانعكاسات التربوية الخاطئة التي نتجت عن ذلك وانتهت بالشخص إلىٰ الانحراف.

٢ ـ البيئة: البيئة الحياتية للطفل إذا توفرت فيها الكثير من عوامل الإثارة، يمكن أن تؤدي إلىٰ تسريع عملية النضوج الجنسي، أو قد تؤدي إلىٰ تأخيرها في بعض الحالات. والبيئة التي يكثر فيها الانحراف وكذلك المحيط الاجتماعي الذي تسوده العربدة والاضطراب كلها أجواء غير صالحة لحياة الطفل. فالكثير من الأشخاص قد انحرفوا بسبب نموّهم في بيئة فاسدة. واستناداً إلىٰ هذا المبدأ لم يسمح لنا الإسلام بالعيش في الأجواء التي تكثر فيها الذنوب ولا نتوقف فيها ولو لساعة واحدة، حتّىٰ وإن لم نرتكب أي ذنب.

والأجواء المختلطة مُنعت في الإسلام أيضاً، طبعاً لا ضير من لعب الأطفال من الفتيان والفتيات مع بعضهم في السنوات الأولىٰ من العمر، ولكن حينما يصلون إلىٰ سن التمييز، ويبدأون بإدراك الفوارق بين الرجل والمرأة، يجب أن يخضع الاختلاط واللعب المشترك، حينئذ للرقابة والسيطرة. ونحن نعلم أن الإسلام لا يجيز للأخ والأخت أن يناما في فراش واحد.

٣ ـ المعاشرة والعلاقات: يجب أن تكون المعاشرة والعلاقات تحت السيطرة والرقابة، لنرىٰ مع أي الناس يرتبط أبناؤنا بصداقات ومعاشرة؟ وأين يذهبون؟ وماذا يفعلون؟ وما هو مدىٰ أُلفتهم وصداقتهم؟

وهذه الرقابة تكون أكثر ضرورة في دور المراهقة والبلوغ وخاصة فيما ينبغي القيام به من مراقبة العلاقة بين الأشخاص البالغين وبين الأطفال والمراهقين؛ لأن التجارب قد أكدت أن هذا الأمر رغم ماله من فوائد في مجال النضوج العقلي والثقافي، يؤدي إلىٰ الانحراف أحياناً.

٤ ـ **الرقابة الشخصية**: عندما يصل الأطفال إلىٰ سن التمييز، أو كانوا في مرحلة البلوغ أو المراهقة يجب أن يتعوّدوا عند تبديل ثيابهم، الذهاب إلىٰ زاوية بعيدة عن الأنظار. عوّدوهم علىٰ عدم القيام بمثل هذا العمل أمام الآخرين. وكذلك يجب أن تنتبهوا أنتم أيضاً إلىٰ ضرورة عدم التعرّي أمامهم عندما تريدون تغيير ثيابكم.

وعند حلول هذه المرحلة من العمر يُحظر علىٰ الأطفال مشاهدة الصور العارية والخليعة. وعلىٰ الأمّهات الامتناع عن استخدام وسائل الزينة أمام أبنائهن المراهقين وعدم المشي أمامهم بدون ارتداء الجوارب. وعلينا أن نحاذر من رؤية الأطفال لنا ونحن عراة حين استبدال الملابس الداخلية حتّىٰ وإن كانوا من صغار السن و. . . حتىٰ لقد ورد في كتاب المستدرك للحاكم (ج ٤ ـ ص ١٨١) أن رسول الله رأىٰ رَجُلاً فخذه مكشوف فقال «استره فإنّه عورة».

■ ـ **مراقبة الإشارة والبيان**: يبدو من ظاهر الأمور أنَّ الأطفال الصغار لا يفهمون شيئاً، ولكن ينبغي الإقرار بأن المسألة ليست علىٰ هذه الدرجة من البساطة، فهم يفهمون إشاراتنا ومزاحنا وكناياتنا، وحتىٰ عندما يحاول الوالدان التعبير عن شيءٍ ما بقالب آخر أو بصيغة أخرىٰ فهم يدركون ذلك الرمز وما تحويه تلك الإشارة.

نريد القول: إنهم يتعلّمون من المزاح أو الكلمات البذيئة للآخرين دروساً سيّئة وربما يلجأون إلىٰ استخدامها أثناء لعبهم أو مزاحهم، ثم يصل الأمر إلىٰ خروج العلاقات عن حدّ اللعب والتسلية، وكذلك ينبغي الانتباه إلىٰ مزاح الأولاد مع البنات والجوانب التي يجب التقييد بها في ذلك، فإرشادهم وتزويدهم بالتوجيهات الدينية والتزامهم بما تقتضيه الأخلاق الشرعية يمكن أن يكون له تأثير بالغ في هذا السياق.

٦ ـ **مراقبة حالات الاختلاء والوحدة**: يحتاج الأطفال إلىٰ مكان أو محل

يقضون فيه بعض اللحظات بمفردهم للتفكير بأنفسهم وبوسائل ألعابهم ومسائل الحياة اليومية. ولا بأس بتوفير مثل هذا المكان لهم. لكن هذا لا يعني أن يدخل الطفل بمفرده إلىٰ الغرفة ويغلق الباب علىٰ نفسه. وإنما المقصود من المكان الذي يخصص له أن يكون مفتوحاً أمام تردد الأب أو الأم ليُتاح لهما مراقبته، ليروا ما يفعله في خلوته وكيف يقضي وقته. تشير التحقيقات إلىٰ أن الغفلة عن الطفل وتركه بمفرده قد يدفعه أحياناً إلىٰ القيام بأعمال ممنوعة وذات عواقب وخيمة.

والهدف من ذلك هو كسر الطوق الذي يشعرهم بالوحدة والاختلاء، ويكون التصرف معهم بالشكل الذي يشعرهم بعدم اختلائهم لوحدهم، ولكي لا يشعروا بالقلق من جَرّاء وحدتهم. راقبوا الأماكن الخالية والمعزولة، الغرفة المنفردة المعزولة، والساحة الخالية، والسرداب والحمام والمرافق، وبهذا الأسلوب تصبح جميع الأماكن الخالية والمعزولة تحت إشرافكم.

٧ ـ **التسلية وقضاء أوقات الفراغ**: ومن المواضيع التي ينبغي أن تحظىٰ بالاهتمام والرقابة، أوقات الفراغ والأماكن الخالية، وموارد التسلية مع الآخرين التي تشكل بوجه عام ظروفاً مناسبة للانحراف، فمنذ سن الرابعة تبدأ لدىٰ الأطفال رغبة في اللعب مع الآخرين، واختيار الأماكن البعيدة عن الأنظار لهذا الغرض.

فبين سن ٨ ـ ١٠ سنوات يجب مراقبة الأطفال عندما يكونون في حالة قضاء أوقات الفراغ مع أشخاص مراهقين أو بالغين، وكذلك يجب مراقبة نشاطاتهم الترفيهية والاجتماعية وما يقومون به من سفرات وجولات. لأن أسس العادات السقيمة تتبلور في هذه المرحلة، وقد تكون الغفلة سبباً لبروز الكثير من دواعي الانحراف والسقوط.

٨ ـ **الانتباه إلىٰ حالات المداعبة واللمس**: يجب أن تخضع جميع أنواع الملاطفة واللمس والتقبيل إلىٰ بعض المعايير ابتداءاً من حلول سنوات التمييز. فالرجل غير المحرم لا يجوز له تقبيل خد الفتاة المميّزة، وكذلك المرأة غير

المحرّمة لا يحق لها مثل هذا الفعل مع الصبي المميّز. (ليس من اللائق تقبيل الأجنبية إذا بلغت السادسة، الإمام الصادق ع ـ وسائل الشيعة ج ١٤). يُبدي الأطفال بين سن ٤ ـ ٥ سنوات اهتماماً خاصاً بالجهاز التناسلي ومداعبته. وهذا يحدث خاصة عند وجود الديدان في الأمعاء ومحاولتها الخروج منها، فالحكّة الناتجة عن ذلك تزيد الرغبة في المداعبة. ولهذا يجب اتخاذ ما ينبغي من الإجراءات التي تمنع تعوّد الطفل علىٰ هذه الممارسة، فلا يسمح للطفل بالبقاء طويلاً في المرافق الصحيّة، ويُغسل بعد التغوّط جيّداً، ولا يجوز إبقاءه علىٰ قذارته، فالقذارة توجد له الحكّة، والحكّة من مقدّمات الانحراف.

٩ ـ ملاحظة نومه واستراحته: عوّدوا أطفالكم علىٰ عدم الذهاب إلىٰ فراش النوم ما لم يكونوا علىٰ درجة شديدة من التعب، بحيث ينامون بعد عدّة دقائق من أستلقائهم علىٰ فراش النوم. اعزلوا فراش نومهم كلاً علىٰ حدة. وحتّىٰ يُفضل عزل غرف نومهم أعتباراً من ابتداء سن التمييز في حالة القدرة والإمكان. وقد أعتبر ذلك ضرورياً بين سن ٨ ـ ١٠ سنوات (الإمام الصادق ع).

عوّدوهم علىٰ النوم بمفردهم، وعند الاستيقاظ في منتصف الليل يذهبون إلىٰ المرافق، وبعد الاستيقاظ لا يظلّون يتدحرجون ويتمرّغون في الفراش. وحين النوم يجب أن يبقىٰ الرأس والأيدي خارج الغطاء، وملابس نومهم يجب أن تكون واسعة و . . .

١٠ ـ ملاحظة الطعام: يلعب الطعام الذي يُعطىٰ للأطفال دوراً في تعديل أو إثارة أو إيقاظ غريزتهم. وخاصة في سنوات المراهقة والبلوغ، ينبغي ملاحظة نوع الطعام المقدم لهم، إذ يفضل في هذه المرحلة الإكثار من الخضروات والألبان، ويُتجنّب جهد الإمكان إعطاؤهم الأطعمة الحارّة والمهيّجة.

ويوصىٰ بإعطاء الطفل والمراهق ڤيتامينات أ و ب و ث، و ب ب أي، وتكون علىٰ شكل مواد مضافة علىٰ أطعمتهم، فهذا يساعد علىٰ تقويم نمو

الغدد الجنسية، والمراكز العصبية. فازدياد المواد الحاوية علىٰ الڤيتامينات، وإفرازات الغدد الهضمية، وهضم الدهنيات عن طريق الأدوية مثل الفيتين، ليبوسربرين، غليسروفوسفات كالسيوم (حسب تشخيص الطبيب) ضرورية لنمو النخاع والمخ طبيعياً. فالشرط الأساسي في تقوية النظام الدفاعي في مقابل الانحراف هو التعوّد علىٰ تناول الغذاء الآلبوميني، والغذاء المليء بالڤيتامينات.

توصيات أخرىٰ:

ومن التوصيات الأخرىٰ التي ذُكرت لوقاية الأبناء من الانحراف، وهي كثيرة جداً، نقتصر علىٰ ذكر النقاط التالية:

- علاقة المحبّة بين الأبوين والأبناء ينبغي أن تقوم علىٰ أسس ومعايير إسلامية وتقوم بناءاً علىٰ الخُلُق الإسلامي.

- لا يجوز للأبوين في حالة التعري احتضان الأبناء. قال الإمام الصادق (ع): إذا مست الأم بدنها ببدن طفلتها في عمر السادسة، فهو نوع من الزنا. (وسائل الشيعة جزء ١٤).

- عوّدوا الأطفال علىٰ عدم النوم بمثانة مليئة، ويجب أن يتم التغوّط أيضاً قبل النوم.

- أثناء ملاحظة الطفل يجب الانتباه إلىٰ عدم مساس اليد بفخذه والأجزاء الحسّاسة الأخرىٰ من جسمه، لأن ذلك مما يثيره.

- لا يُسمح للأطفال بالنوم في فراش الآخرين أو في أحضانهم وخاصة منذ بداية سنوات التمييز، حتّىٰ وإن كان ذلك مع أحد الأبوين.

- يجب أن لا تأخذ الأم ولدها المميّز إلىٰ الحمام وتتعرىٰ أمام ناظريه

- حاولوا منع حصول التخيّلات الشهوية. والإثارة الغريزية التي تنشأ مما

يسمعه الشخص أو يراه.

- في سنوات الطفولة حيث تكون الإثارة الجنسية شديدة ومتواصلة وبشكل غير إرادي يجب بذل اهتمام أكبر ومراقبة أدق.

- إذا كان الطفل يلعب - عن غير وعي - بأعضائه وبدون أي نوع من الاضطراب قولوا له بهدوء: إن هذا العمل غير صحيح.

- وأخيراً يجب أن نعلم أيضاً بأن للبيئة الاجتماعية والأجواء الحياتية أثراً في صياغة الوضع الجنسي للطفل بطابعها الخاص. فمن الضروري تربيته في الأجواء التي تجلب له الخير والصلاح.

ملاحظة ضرورية:

وعلىٰ هذا الأساس فإن المواظبة علىٰ سلامة الأطفال والأحداث تُعتبر مهمة عسيرة نسبياً وتحتاج إلىٰ مزيد من الصبر والتحمل والرقابة المتواصلة، وينبغي في هذا السياق استعمال الأساليب المختلفة والمتعددة، والتي لا يمكن بالنسبة للمربّي التكهن بمدىٰ فاعليّتها أو جدواها، أو هل سيكون لها دورها وتأثيرها المطلوب أم لا؟

وفي الوقت نفسه ينبغي أن نشير إلىٰ وجوب أن يكون منهجكم في الحياة ومراقبتكم قائمة علىٰ أسس المحبّة والصداقة، ولا تتبعوا أساليب التنقيب عن العيوب في إصلاح وتقويم الأبناء، لأن بعض الأساليب يولّد لدىٰ الطفل عقدة وصدمة نفسيّة مثل أسلوب المنع الشديد، وفرض القيود الصارمة، وإساءة الظن من غير وجود المبرر، والاتهام الذي لا داعي له.

تشير التحقيقات التي أُجريت في هذا المجال إلىٰ أن أنتهاج الوالدين للأساليب العقلائية والدقيقة في التربية، يُظهر بقدرتهما علىٰ كتمان الدافع، ويزيد من متانة العلاقة بينهما وبين الطفل. إذ يمكن القيام بعملية الرقابة والإصلاح بلا أي اضطراب أو قلق، والاطمئنان إلىٰ أنهم سيسلكون الطريق القويم بعونه تعالىٰ.

الفصل الرابع
الأساليب النفسيّة

الانحراف الجنسي من الأمور التي تقلق العائلة والمربين، وهم علىٰ حق في ذلك. ولكننا نرىٰ أن الضرورة تفرض علىٰ الوالدين والمربين التزام الهدوء والسيطرة علىٰ الأعصاب، بدل الخوف والوجل الشديد، ليتسنّىٰ لهم اتخاذ الخطوات اللازمة في مجال الإصلاح والمعالجة.

أما فيما يخص استئصال هذا الانحراف والقضاء عليه فقد طُرحت آراء متنوعة، حتّىٰ أن بعضها تحدّث بلهجة يائسة عن عدم إمكانية استئصاله، وقال: لا يمكن إزالته من المجتمع إلا إذا أصبح جميع الناس أطباءً أو سجّانين. وقد تُطرح مثل هذه الآراء بسبب كون الميول الغريزية ـ في أحد مناحيها ـ ذات جذور عميقة في داخل الإنسان، وإمكانية تعلّمها أو كشفها من قبل الإنسان نفسه ـ في المنحىٰ الآخر ـ وإذا بات الانحراف عند الأشخاص أمراً عادياً وطبيعياً، بات اقتلاعه أمراً غير ممكن بل ومستحيلاً. وتكون فرصة مداواته قد أفلتت من اليد ـ والمنحرفون الذين ترسخ الانحراف في نفوسهم يصبحون غير مستعدّين للتضحية برغباتهم الجنسية، وتصبح فرصة النجاح في علاجهم نادرة جداً.

المبادىء العامّة في العلاج:

هنالك مجموعة من المبادىء العامّة التي يجب استخدامها في علاج المنحرفين، والتي لا يمكن بدونها القيام بعملية الإصلاح والمعالجة؛

وأهمّها:

١ ـ التعاون المتبادل بين البيت والمدرسة والمجتمع وحتّىٰ الشخص المنحرف نفسه، ومن الضروري أن يحصل لديه الاستعداد اللازم لتقبّل العلاج.

٢ ـ الاهتمام بشخصية الفرد في الجوانب المتعلّقة بالأخلاق والطباع والجوانب التي تتأثر بسرعة و...

٣ ـ تطهير البيئة الحياتية للطفل من عناصر التلوّث.

٤ ـ قد تقوم الإجراءات العلاجية علىٰ أساليب العلاج النفسي أو الجسدي.

وفي نفس الوقت يجب أن نقول: إن هذا الانحراف ليس له أسلوب حل قطعي ومحدد، وذلك لأن الانحراف ليس من نوع أمراض الحصبة والجدري التي لها ميكروب وفايروس خاص. فالانحراف يستدعي دراسة حالة وأوضاع وشخصية المنحرف و... ومن ثم يتقرر ما ينبغي فعله، وفي الوقت نفسه هناك نقطة مؤثّرة في العلاج ألا وهي معرفة الميول لدىٰ الشخص المنحرف الذي يضع نفسه بين يدي المربّي أو المعالج.

أساليب وأنماط العلاج:

أما عن الكيفية التي يتم بها إصلاح ومعالجة المنحرفين فالجواب هو: إن ذلك يحتاج إلىٰ طرق وأساليب متعددة، يمكن تصنيف أهمّها بالصورة التالية:

أ ـ في الجانب الثقافي:

أهم الطرق والأساليب التي يمكن الإشارة إليها في هذا السياق ما يلي:

ـ توعية الشخص بما فيه الكفاية بحيث يدرك أنه يسير في مسلك غير صحيح ومنحرف، فما دام لا يؤمن بهذه الحقيقة، فلن تكون هنالك إمكانية للعلاج والإصلاح.

ـ إسداء النصائح والإرشادات التوجيهية، ومن الأفضل أن يكون ذلك أمام جماعة آخرين، وبشكل غير مباشر، لكي يفهم الشخص المنحرف الغرض المطلوب من بينهم.

ـ تنبيه المريض إلىٰ العوامل والعناصر التي تزيد من شدة انحرافه.

ـ توعية الشخص إلىٰ أضرار وعواقب هذا الانحراف والخطر الذي يتهدده في المستقبل.

ـ تعرّف العناصر المجرمة التي تعمل علىٰ إيقاع الآخرين في مستنقع الانحراف.

ـ إيضاح أهمية سلامة وصحّة الجسم والنفس في حياة الشخص الحالية والمستقبلية.

ـ تلقين المفاهيم الدينية للمريض، وتقوية إيمانه، وتبيان العقاب الإلٰهي لمَن يخالف هذه التعاليم.

ـ التحدّث بشكل مباشر مع أولئك الذين لم يُجدِ معهم الحديث بشكل غير مباشر.

ـ وأخيراً توجيه أنظار الشخص إلىٰ قوانين الحياة وسننها، بالشكل الذي يخلق لديه القابلية علىٰ مقاومة النزعات والرغبات المختلفة.

ب ـ الوازع الأخلاقي:

وفي حقل العلاج يمكن الاستفادة أحياناً من قوّة الوازع الأخلاقي؛ إذ

أن بإمكان الأخلاق تنظيم علاقات الشخص مع نفسه ومع الآخرين بشكل جيّد وسليم، وهنالك مسائل متعددة يمكن الإشارة إليها في هذا السياق وأهمّها:

- توثيق اعتزاز الطفل أو المراهق بنفسه بحيث يترفع عن تسليم نفسه للآخرين إزاء اللذة أو المال.

- تقوية جانب الحياء عند الشخص، بحيث يمكنه مقاومة التصرفات المشينة، والهروب من طلبات الآخرين المشينة.

- إيجاد الأرضيّة التي تخلق لديه الاحترام الوافر لنفسه ولوالديه ولمربّيه بحيث يتقبّل أوامرهم، ويلتزم بها، لكونها تضمن له السعادة والخير.

- إبراز الأسف العميق والتظاهر بمظهر القلق قبالة الشخص المنحرف بحيث يدرك أنه ارتكب عملاً قبيحاً وخطيراً.

- التغاضي عن مسألة الانحراف وتجاهله، إذا كان في ذلك درس وعبرة للمنحرف وخاصة إذا كان الشخص خجلاً من قبح عمله.

- احترام شخصيّتهم بالشكل الذي يجعلهم غير مستعدّين لوضع أنفسهم موضع الاستهانة والاستخفاف.

- تمتين العلاقات الصميمية وكل ما يؤدي إلىٰ نجاح العلاج.

- الاستفادة من الخوف والكراهية والخجل والتمسك بالقوانين والقيم الأخلاقية التي يمكن أن تشكل حاجزاً إزاء الانحرافات. فمنع الطفل الصغير من الانحراف لا يستدعي الإقدام علىٰ العقوبة الشديدة أو التوبيخ المتواصل. بل ينبغي توعيته بهدوء إلىٰ أنه انتهج أسلوباً خاطئاً ويجب عليه أن يكف عنه.

ويجب علىٰ الوالدين خلق الأرضية الكافية عند الطفل التي تلزمه بتجنّب الممنوعات، وأن يجبروه بالإكراه علىٰ ترك هذا الانحراف، إلا أن العقوبات الشديدة التي تجري بحقّه أو اللجوء إلىٰ حبسه قد يؤدي إلىٰ جرأته وجسارته، وهذا من أسوأ المسالك. فما أكثر ما لوحظ أن هذا الأسلوب يؤدي إلىٰ عناد

الطفل وإصراره، ويدفعه إلىٰ الإفراط في الانحراف. طبعاً قد يكون عزل المنحرف عن عوامل وأسباب الانحراف من جملة طرق العلاج والإصلاح، وأسلوباً لحل الكثير من المشاكل، وعندما لا تجدي هذه الأساليب نفعاً يمكن حينها تهديده أو حتّىٰ معاقبته.

ج ـ العلاج الطبّي:

قلنا: إن الانحراف قد ينشأ في كثير من الحالات عن أسباب عضوية، وهذا ما يستدعي مراجعة الطبيب والحصول منه علىٰ أسلوب العلاج؛ ويتم ذلك في الحالات التالية:

ـ عندما يتكرر الانحراف ولا تنفع معه مواقف الوالدين والمربين.

ـ عندما يكون الانحراف ناتجاً عن البلوغ المبكّر أو طريقة عمل الغدد والإفراز غير المنتظم للهورمونات.

ـ عندما يستحوذ الانحراف الجنسي علىٰ جزء كبير من وقت الشخص المنحرف ويجعله شديد الانشغال بنفسه، والأسلوب المتعارف في مثل هذه الحالات هو إدخال الشخص إلىٰ المستشفىٰ.

ـ عند وجود بعض الأورام في الجسم وينتج عنها ميول جنسية عارمة تنتهي إلىٰ الانحراف.

ـ عند ملاحظة حمرة شديدة وحكّة في الجهاز التناسلي أو ما يحيط به، أو وجود ورم في القسم الخارجي من الجهاز التناسلي، وينتج بعض الإفرازات عند الفتيات.

عادة يلجأ الأطباء في مثل هذه الموارد إلىٰ بعض الإرشادات في مجال الغذاء والنوم والاستراحة، أو يصفون بعض الأدوية والحقن، أو إدخال الشخص إلىٰ المستشفىٰ، أو يؤكّدون علىٰ ممارسة بعض أنواع الرياضة أو الاستفادة من الهواء الطلق، والمشاركة في البرامج، والعلاج النفسي الفردي

والجماعي أو ربما يوصون بإبعاد المنحرف عن عوامل الانحراف من أجل إعادة بناء شخصيّته، أو قد يطبقون بعض الأساليب الأخرىٰ من أجل تقويم الطفل والمراهق.

د ـ العلاج النفسي:

قد تكون الانحرافات في بعض الأحيان ناتجة عن أسباب نفسية أو عاطفية أو فكرية، ومن البديهي والحالة هذه أن يلجأ عالم النفس أو الباحث النفساني إلىٰ استخدام أساليب علم النفس. وتستعمل مثل هذه الأساليب عادة بحق الأشخاص الذين أصبح السلوك الجنسي للأطفال والمراهقين حالة مزمنة لديهم، وبات يشكل معضلة اجتماعية بالنسبة لهم كالاعتياد علىٰ الدعارة، وممارسة الهوىٰ، والميل إلىٰ أبناء نفس الجنس و....

وفي مثل هذه الحالات من الضروري حثّ الشخص علىٰ استعادة ثقته بنفسه ونسعىٰ نحو إقامة علاقات قائمة علىٰ أساس الاحترام بين الشخص والآخرين، ونحاول القضاء علىٰ جوانب العقد والعداء والانتقام والألم، ومن دواعي هذا العمل أن الكثير من أنواع السلوك المنحرف لدىٰ الأشخاص يتصف بالصبغة الانتقامية، وما دامت هذه المشكلة موجودة، فلن تكون هناك إمكانية للخلاص.

في مثل هذه المواقف، لا يستدعي الحال إيجاد الاضطراب لدىٰ المريض، بل يمكن إحراز شيء من التقدّم بخطوات ثابتة وهادئة، وتوفير أرضية التآلف والأنس وخلق روح العمل والرغبة في التسلية والانشغال المتّزن العقلاني، والابتعاد عن عوامل الانحراف، وهذه بأجمعها تخلق الأجواء السليمة المؤاتية للحياة، وتُبعد الشخص المريض عن دواعي الانحراف.

تهيئة الأرضية للزواج:

فالأشخاص الذين شارفوا علىٰ سنّ البلوغ، وتتوفر فيهم القدرة علىٰ

إدارة شؤونهم الحياتية، يمكن الاستفادة من أمر الزواج بشأنهم، لغرض معالجتهم أو للحيلولة دون وقوع الكثير من الانحرافات، أو علىٰ أقل تقدير يجري تهيئة الأرضية لديهم لمثل هذا الأمر. ولو أن الوالدين بادرا إلىٰ تطبيق ما أمر به الإسلام من ضرورة تهيئة مقدّمات الزواج في سنوات البلوغ فإن الكثير من المفاسد ودواعي الانحراف سيُقضىٰ عليها في مهدها.

نقاط مهمّة في العلاج:

ـ يجب المبادرة إلىٰ معالجة المنحرفين بأسرع وقت ممكن، لأن الانحراف إذا تواصل واستفحل لدىٰ الشخص المريض فستكون فرص النجاح في علاجه ضئيلة جدّاً، وقلنا: إن البعض منهم يصبح في حالة ميؤوس منها.

ـ أنتم مكلّفون بمراقبة الأطفال، وفي الوقت نفسه يجب أن تتوقّعوا حدوث الانحراف والزلل؛ لأن بعض الأطفال يتعرضون للانحراف رغم وجود الرقابة والإجراءات الوقائية.

ـ استخدام أساليب الصداقة والمحبّة في إرشاد الأطفال وتوجيههم وإصلاحهم يُعتبر ذا تأثير بالغ. وفي جميع الأحوال ينبغي عدم إهمال جانب الجديّة أو التغاضي عن كونكم محقّين في هذا الأمر.

ـ ينبغي أن تُفهموا الأطفال والمراهقين بأنكم تتوقعون منهم الكف عن انحرافهم، وفي مثل هذه الحالة فقط يمكنكم العفو عنهم.

ـ الاستهزاء والضحكات اللاذعة والحبس، سوف لن يُصلح الأطفال، يجب العمل علىٰ إخراج فكرة الانحراف من رؤوسهم أساساً.

ـ وأخيراً يمكن العودة إلىٰ الحالة الطبيعية بعد استخدام العلاج، وكذلك يجب مواصلة الرقابة، وطبعاً تخفّ هذه الحالات الشديدة عند الدخول في عالم الاحتلام والحيض، ولكن ينبغي عدم الغفلة عنهم.

الباب الثاني عشر

يُقسم هذا الباب ـ وهو الموضوع النهائي من بحثنا ـ إلىٰ ثلاثة فصول:

يختص الفصل الأوّل بالهدف والغرض الذي نعتقد به في التربية الجنسية، وسنحاول فيه دراسة أنماط التفكير المختلفة، ونتدرج من ذلك حتىٰ نصل إلىٰ تبيان نمط التفكير الإسلامي. وسوف نستعرض الأصول العامّة في التربية الجنسية علىٰ شكل أربع نقاط وهي: التهذيب والتوجيه والوقاية والعلاج.

والفصل الثاني منه يندرج تحت عنوان المبادىء العملية في التربية ويشمل إعطاء المعلومات وتقوية الأخلاق والأفعال الحميدة والمحاذرة من الانحراف والاستعداد للحياة، وفي نهاية الفصل سنلقي الضوء علىٰ بداية التربية والشروط اللازم توفّرها في المربّي.

وأخيراً سنتحدث في الفصل الثالث منه عن نوع الدروس التي يجب أن تقدم في مجال التربية الجنسيّة، سواءً أكانت تلك الدروس والتعليمات تُطرح بشكل مباشر أو غير مباشر، ونتحدث كذلك عن الأرضية التي سوف تتولد عن ذلك وكيفية الاستفادة منها، ومن ثم نتطرق إلىٰ ما ينبغي أجتنابه في هذا الصدد.

الفصل الأول

الهدف والغرض

مقدّمـــة:

طُرحت علىٰ النطاق العالمي آراء مختلفة في مجال التربية الجنسية للأطفال والمراهقين. فبعض العلماء يعتقد ـ وخاصة أتباع فرويد ـ بوجوب إزالة جميع الموانع الجنسية، وتطبيق الحرية الجنسية في المدرسة والمجتمع. فهـم يـرون أن الممنوعـات والمحرّمـات تمهّـد الأرضيـة لظهـور العُقـد في المجتمعات والنتائج التي ستفرزها هذه العقد تؤدي إلىٰ خلق الاضطرابات والجرائم في المجتمع.

المـؤيّـدون لهـذا النمـط الفكـري يعتقـدون بضـرورة وجـود المـدارس المختلطة، ويرون أن إيجاد مثل هذه المدارس سيحل الكثير من مشاكل الإنسان والتي يتعلق القسم الأكبر منها بقضية الجنس. ويؤكدون أن التربية في المدارس المختلطة يجب أن تسعىٰ إلىٰ إزالة الأخلاق والحياء، وطبعاً مع مراعاة مبدأ عدم إنزال الضرر بالبعض الآخر.

وتقـف فـي إزاء هـؤلاء مجمـوعـة أخرىٰ تنظر إلـىٰ المسـألـة الجنسيّة والغريزية نظرة حياء، ويؤكدون علىٰ أن صيانة القيم والقدسيّة الإنسانية تتطلب عدم التطرق حتىٰ إلىٰ ذكر اسمها. وحتّىٰ أن بعضهم يمنع الزواج مع كونه أمراً مشروعاً، وإنما جعل من أجل سكون واستقرار الإنسان وبقاء النسل الإنساني، وهم وإن عَدّوه جائزاً فلأجل مصلحة في ذلك.

وفي بعض المجتمعات اعتبرت العلاقات الزوجية أمراً قبيحاً وأجازوها في حالات استثنائية فقط، مثل ضرورة إيجاد النسل، لكنهم ينظرون إلىٰ حياة الزوجين مع بعضهما واستمرار مثل هذه العلاقة نظرة احتقار واستهجان، ومن الواضح كيف ستكون صورة الاختلاط في المدارس والمجتمعات، في مثل تلك الظروف.

الرؤية الإسلامية في هذا المضمار:

أمّا عن ماهية الرؤية الإسلامية في هذا المجال فالجواب هو: أن الغريزة حقيقة موجودة في الإنسان، وهي من خلق الله، ونظراً لوجود الجانب الجنسي في أصل الخلقة فيجب القول: إن الإسلام لا يعتقد أبداً بقبحه أو قذارته. وعلىٰ هذا الأساس فهو لا يجيز القضاء عليه أو استئصاله من الإنسان.

إلاّ أننا في الوقت نفسه لا نعتقد بتركه بشكل متحلل ومن غير قيود، أو إضرام النار فيه وإثارته عن طريق الدروس والتعليمات المباشرة. فنحن نستهجن العلاقات الحرّة بين الرجل والمرأة أو بين الفتىٰ والفتاة في الوسط الاجتماعي، ونعتبر تطبيق المنهج الفرويدي في هذا المضمار يفرز الكثير من المفاسد والأضرار الكبرىٰ التي نرىٰ اليوم مظاهرها جلية في العالم الغربي. فما أكثر الشبّان الذين عزفوا عن تشكيل العائلة نتيجة لوجود الحرية الجنسية السافرة، واتجهوا بدل ذلك إلىٰ مراكز الدعارة والفساد، وما أكثر الأمراض الجنسية التي نتجت عن ذلك، وعصفت بصحة وسلامة الكثير من الرجال والنساء، والنسل الذي انحدر عنهم، وأخيراً ما أكثر الجرائم والجنايات والعاهات والنواقص العضوية التي نتجت عن ذلك، وعدم وقوف العالم الغربي اليوم أمام هذه الانحرافات، بسبب ضعفه وعدم قدرته. فإن لم يتمكن هو من القيام بذلك، فمَن ذا الذي ستكون لديه القدرة علىٰ تقويم هؤلاء الشباب الغربيين المتحللين، ووضعهم في المسار والسياق الصحيح؟ لقد أثبتت التجارب أن الأوضاع في ظل وجود مثل هذه الحريّة سوف لن تكون

قابلة للإصلاح، بل إنّها ستنحدر نحو الأسوأ.

فالإسلام يرفض الحرية المتحللة، وهو لا يقر أيضاً كبت الغريزة بذريعة تذليلها. والمبدأ يقوم علىٰ الإقرار بوجود الغريزة ولكن بشكل مهذّب، ويعتقد أن ليس من الواجب أن يتحرق أولياء الأمور حرصاً علىٰ أطفالهم، فيبادرون إلىٰ تدريسهم المسائل الجنسية، فالغرائز تقترن بما يتوازن معها من الوعي الكافي للحياة المستقبلية.

الغريزة جزء من الحياة:

نحن نعتبر الغرائز جزءاً من خلق الإنسان، وهي عين وجوده، أو كمال، يقول علم الحياة بأن كل خلية في وجود المرأة أو الرجل تصرخ في أعماقها بأنني رجل أو امرأة. وبعبارة أخرىٰ لا يمكن النظر إلىٰ الجنس بمعزل عن الوجود، والغريزة الجنسية من الغرائز المهمّة في الحياة.

ونحن في نظامنا التربوي نسعىٰ إلىٰ تربيتها بالشكل الذي يعتبرها الإنسان جُزءاً من وجوده، وينظر إليها مثلما ينظر إلىٰ المسائل الطبيعية والعاديّة في حياته، فلا يشعر بالحقارة والخجل من جَرّاء وجودها، ولا يُعدّ نفسه مجرماً أو مذنباً في هذا السياق.

أما في ناحية الممارسة وإشباع الغريزة، فنحن نسعىٰ إلىٰ تمشيتها وفقاً للأسس والمعايير، فكبيرها وصغيرها يجب أن يتم علىٰ أساس التعاليم الشرعيّة ووفقاً للأصول المقرّرة. والغرض هو أن يكون إشباع الغريزة مقروناً بالخجل والحياء، بحيث يكون هناك مانع يحول بين الشخص وميله إلىٰ الانحراف.

ونحن أيضاً نقوم بتربية الأطفال جنسيّاً، ولكن لا بمعنىٰ إعطائهم دروساً في القضايا الجنسية وكيفية القيام بها، بل إننا نسعىٰ في هذا المجال ومنذ وصول الطفل إلىٰ سن التمييز لإفهامه ماهيّته ووضعه وما ينبغي عليه أن

يكون، وما يتوجّب عليه فعله فيما يخصّ المحافظة علىٰ شرفه وكرامته. وإننا لا نشعر بأي خوف أو وجل بسبب عدم تعليمنا إيّاه تعليماً مباشراً، لأننا قد لاحظنا حتّىٰ أولئك الذين لم تكن لديهم أيّة معلومات جنسية، لم يتعرّضوا إلىٰ أيّة صدمة أو مشكلة، والشيء الوحيد الذي بقي مجهولاً بالنسبة لهم علىٰ مدىٰ حياتهم هو الانحراف الجنسي فقط.

الضوابط العامّة في التربية الجنسية:

هنالك مجموعة من المعايير العامّة التي يُفترض مراعاتها في التربية الجنسيّة للأطفال والمراهقين وأهمّها:

١ ـ التهذيب: قلنا إننا وأستناداً إلىٰ التعاليم الإسلامية لا نرفض الغريزة، لكننا نسعىٰ إلىٰ عدم إعطائها حجماً أكبر من حجمها الحقيقي، والمبدأ العام هو تهذيبها. ونسعىٰ إلىٰ عدم إيقاظها في غير أوانها، وأن لا تمارس بشكل إباحي، ولا تكون تابعة لأهواء الشخص ونزواته، وحتّىٰ قضية الزواج التي تعتبر عند الكثير من بني الإنسان وسيلة لإطفاء لهب الغريزة، توجد لها أهداف أخرىٰ في نظر الإسلام، فهي أرضية صالحة لتقويم بقية الغرائز، ومن بين الأهداف والمقاصد التي ترمي إليها قضية الزواج، موضوع الإشباع الغريزي، وذلك أيضاً في إطار النظام والتعاليم الشرعية.

٢ ـ التوجيه: الميل الجنسي هو من أكثر الميول شمولية، وهو من الدوافع المهمة في الحياة. وهو أمر معترف به وله وجوده الواضح لدىٰ الرأي العام. وهنالك إمكانية بأن ينحرف عن غرضه ومساره الأصلي، وعلىٰ هذا فالأمر يقتضي أن تأخذ الجهود التي يبذلها الوالدان والمربّون هاتين الحقيقتين بنظر الاعتبار.

وتوجيه ذلك نحو الاستجابة لنداء الفطرة وتطبيق السُنّة الإسلاميّة، وإشباع الغريزة وتكميل وتكامل الزوجين، ودوام النسل وبقائه، والوصول إلىٰ الرحمة والمودّة، وبشكل عام الحصول علىٰ السكينة والاستقرار، التي تهيّء

للإنسان ما يقرّبه من لقاء الله.

٣ـ الوقاية: والمعيار الثالث في التربية الجنسية هو الوقاية. لو دققنا النظر في النظام التربوي في الإسلام، لوجدناه يحتوي علىٰ الكثير من التعاليم في هذا المجال، وقد سبقت لنا الإشارة إلىٰ بعضها في الفصول المنصرمة، فالإسلام يوصينا بضرورة الانتباه إلىٰ تصرفاتنا في العلاقات الزوجية حتّىٰ عند وجود الطفل الرضيع، ويوصينا أيضاً بمراعاته في جانبي الصحّة والنظافة، ويأمرنا بتنقية أجواء حياته من الانحراف والتلوّث، ومراقبة علاقاته بالآخرين، وتوعيته تدريجياً إلىٰ المسائل والوسائل التي يصون بها عزّته وشرفه و... لكي لا يتعرض للانحراف في المراحل اللاحقة من حياته ويخلق المصاعب لنفسه وللآخرين.

٤ـ العلاج: وفي حالة حصول الغفلة وظهور الانحراف تجب المبادرة للعلاج. بمعنىٰ تحشيد جميع الإمكانات والوسائل من أجل توفير مستلزمات إصلاحه. ومسؤولية السعي إلىٰ هذه المهمة تقع علىٰ عاتق الجميع من الأب والأم، والمعلم والمدير، وحتّىٰ الناس والمجتمع، والدولة والقائمين علىٰ الشؤون التنفيذية، والقضاة والشرطة و...

وينبغي كذلك استغلال جميع الوسائل والأساليب المشروعة من أجل إنجاح عملية العلاج والإصلاح كإبداء المحبّة والحنان، والإرشاد والتوجيه، وتقديم الملاحظات وتلقين الخُلق القويم والإنذار والتحذير والتهديد والعقوبة و... وعلىٰ أية حال ينبغي الوقوف دون أستفحال الانحراف عند الأشخاص، فالتحقيقات التي قمنا بها عام ١٩٦٣ أظهرت أن الميول الجنسية إذا استفحلت عند الطفل البالغ من العمر ٦ سنوات، فإن فرص الإصلاح بالنسبة له ستكون ضئيلة جداً.

ضرورة الإرشاد والتوعية:

إن التربية الجنسية للأطفال تتطلب تقديم الإرشادات لهم وللمربين،

وهذه الإرشادات تختلف تبعاً لاختلاف السن، والخطوط العريضة لها تتمثل فيما يلي:

- إن جميع الكائنات الحيّة ومن جملتها الإنسان قد انحدرت عن أب وأم.

- سيصبح الأولاد في المستقبل وبعد مضي مجموعة من السنوات آباءً والبنات أُمّهاتٍ.

- إن هذا الانتقال إلىٰ دور الأُبوّة والأمومة يسير وفق التعاليم والمعايير الدينية، وبعد القيام بعملية الخطوبة والزواج.

- في أواخر مرحلة المراهقة تتحقق حالة البلوغ، وفيها يحصل الاحتلام بالنسبة للفتيان والحيض بالنسبة للفتيات.

- يجب تعليم كيفية الغسل للفتيان والفتيات في سنوات المراهقة.

- مخالفة القوانين الإلّهية فيما يخصّ المحافظة علىٰ الشرف، تتبعها عقوبة إلّهية و... وفيما يخص المربّين، يجب الانتباه إلىٰ ضرورة القيام بالمراقبة اللاّزمة في جميع مراحل الحياة.

- أن يسعوا إلىٰ وضع المعلومات اللاّزمة للحياة طوال فترة الطفولة والمراهقة - بين يدي جميع الأشخاص.

- توعيته بشكل مباشر أو غير مباشر إلىٰ جميع الأخطار التي تتهدده في حياته.

- عدم إيقاظ الغريزة ما دامت في حالة سُبات، لأن ذلك يمهّد الأجواء لانحرافات أخطر، فلكل مقام مقال، ولكل مسألة وقتها المناسب للتعلم.

- يجب أن يكون للوالدين أسلوب ومسار مدروس في العلاقات العائلية والسلوك العام.

- أن ينبهوا إلىٰ أن تعليم بعض المسائل، وحتىٰ البحث في موضوع

الحيض والاحتلام قبل الأوان المناسب قد يؤدي إلىٰ حصول بعض المخاطر.

ـ أن تكون جميع الأمور والتعليمات التي تعطىٰ لهم في إطار الدين والأخلاق وبطابع جدّي بعيد عن السخرية والاستهزاء والمزاح.

الفصل الثاني

مقـدّمـــة:

يقع علىٰ عاتق الوالدين دور مهم وأساسي في التربية الجنسية للأبناء. لأنهم هم الذين يشمّرون عن سواعد الجدّ لتربية شخصيته وتثبيت عاداته علىٰ ركائز متينة، وهنالك آخرون أيضاً سوىٰ الوالدين تقع عليهم مثل هذه المسؤوليات. لكن مهمة توطيد الأسس الأولية هي الأكثر أهمية في هذا المضمار.

ومن جهة أخرىٰ فإن مهمة تعليم القضايا الجنسية هي مهمة العائلة، ومن الواجبات الشرعية للآباء والأمهات تعليم الآداب الإسلامية في الحقل الجنسي لأبنائهم، وتكوين المناعة الكافية لديهم حتّىٰ لا يقعوا في حبائل المحتالين والملوّثين فيجرّوهم نحو منحدرات السقوط والرذيلة.

ونحن نرىٰ أنفسنا ملزمين هنا بتقديم المعلومات والتوعية الكافية لأبنائنا في هذا المجال؛ لأن الغريزة موجودة عند جميع الناس، وهنالك فوارق أيضاً بين الجيلين، وإنَّ عدم اطّلاعهم علىٰ ما يدور حولهم يوقعهم في مخاطر أكبر، ومن غير الواضح أن مصادرهم في الحصول علىٰ المعلومات ـ وهما الأب والأم ـ جديرة بالثقة، وكذلك من غير الواضح أن جميع الناس يحملون تجاه أبنائنا نوايا حسنة أم لا؟

ونحن بأعتبارنا أباً وأماً نستطيع النجاح في بناء حياتهم فيما إذا كان أبناؤنا يثقون بنا، ويعلمون أننا نريد لهم الخير، وكانت آراؤنا تحظىٰ بأحترامهم، حينذاك يكون لحرصنا عليهم ورغبتنا في تحقيق مصلحتهم، تأثير

فاعل وقوي عليهم.

فيما يخصّ تربيتهم:

فيما يخص التربية الجنسية للأطفال والمراهقين ينبغي علىٰ أقل تقدير الاهتمام بالنقاط التالية ومراعاتها بدقّة وهي:

أ ـ في تقديم المعلومات:

وهذه مسألة مهمة يجب أن يستوعبها أبناؤنا، وهي الوضعية والظرف الذي يعيشونه، وما هو موقفهم تجاه حياتهم الشخصية؟ وما هو الأسلوب الذي يجب عليهم اتّباعه من أجل الدفاع عن أنفسهم وشرفهم؟ ولا شك أن إدراك هذه الحقائق لا يتيسّر إلاّ بالاطّلاع علىٰ الواجبات الملقاة علىٰ عاتق الوالدين في هذا الصدد.

١ ـ **فيما يخص الذكور**: في النظام التربوي الإسلامي يجب فصل الأبناء الذكور بأسرع ما يمكن عن حجور الأمّهات ورعايتهن الصحية وأن يدخلوا في عالم الرجال، فمن الخطأ الفاضح أن يدخل الطفل المميز مع أمّه إلىٰ الحمام، ويرىٰ جسم أمّه أو أجسام الآخرين عارية.

فالآباء يجب أن يكونوا مأمن أسرار أولادهم، وعليهم أيضاً إيجاد حلقة وصل فيما بينهم وبين أولادهم، وأن يقدمّوا لهم ما ينبغي من النصائح، في مجال الحفاظ علىٰ أنفسهم من المخاطر، وصيانة عفتهم وشرفهم. فالطفل المميّز يجب أن يتعلم عن طريق الإيحاءات المباشرة أو غير المباشرة مَن هم الأشخاص الذين ينبغي له معاشرتهم، وما هي أنواع المزاح والعلاّت المفترض عليه اجتنابها، وما هو الموقف الذي يتّخذه إزاء طلاّب الشهوة.

وكذلك يُفترض علىٰ الأب تعليم ابنه كيفية غسل الجمعة منذ سنوات المراهقة، وعلىٰ مشارف البلوغ والاحتلام يختلي به علىٰ حدة ويفهمه بما

سيطرأ عليه من حالات وأوضاع. وحتّىٰ يجب عليه تعليمه كيفية الغسل بعد الاحتلام، وهو مثل غسل الجمعة إلا أنه يختلف في النيّة.

ومن الضروري أن تطّلع الأم بواسطة الأب علىٰ الاختلاف الذي طرأ علىٰ الإبن من احتلام وغسل، لكي تعزل ملابسه الداخلية مسبقاً، وترتب ما ينبغي من فراش نومه. ويجب علىٰ الأب أن يضع مبلغاً من المال تحت تصرفه لتتاح له فرصة الذهاب إلىٰ الحمام والقيام بوظيفته الشرعية عند الحاجة، من غير أن يضطر لمراجعة أبيه في ذلك.

٢ ـ **فيما يخص الإناث**: وهنا ينبغي أن تكون الأم موضع أسرار البنت وتطلعها علىٰ ما ينبغي أن تعرفه حول موضوع النضج. ويُفترض علىٰ الأمهات تعليم بناتهن أساليب الصحة والسلامة والعفّة لكي تتعرف الفتاة علىٰ الطريقة التي بها تحفظ شرفها وعزّتها، ويدركن أن الواجب يحتّم عليهن عدم مصادقة ولا معاشرة أيّاً كان.

ويجب أن تتعلم الفتاة طوال مدّة نضوجها أين تكمن سعادتها وكيف يمكن لها المحافظة علىٰ جوهر عفّتها، وما هو الموقف الذي يجب عليها اتّخاذه إزاء أطماع الأشخاص المنحطّين. ومخاطر العلاقات الممنوعة والمعاشرة الموبوءة يجب أن تتعلمها الفتاة منذ سن الطفولة. ويفترض بالأم أن تكون صديقة لابنتها ليكون بإمكانها طرح ما تشاء من الأمور التي تراها ضرورية لها وتلفت نظرها إلىٰ ما يواجهها من أحداث يومية.

وعلىٰ الأم إطلاع ابنتها علىٰ مسائل الاغتسال وكيفيته منذ سن ٩ ـ ١٠ سنوات. ولفت نظرها إلىٰ موضوع الحيض لكي تعرف الموقف الذي ينبغي عليها اتّخاذه في هذا الصدد. فبعض الفتيات ـ ونتيجة لجهلهن يتصورن خروج الدم إنما حصل بسبب ضرر أصابهن، فيضطربن خوفاً، بينما يفترض علىٰ الأم إفهام البنت بهذا الموضوع مسبقاً لكي لا يصيبها خوف أو خطر.

ولقد أظهرت التجارب اليومية أن بعض الفتيات بسبب جهلهن

بالموضوع أصابهن الرعب من أول حيض حصل لهن، حتّىٰ أنهن فكّرن في الانتحار، أو تعرّضن لحالات من الاضطراب النفسي أو أُصِبن بنوبة نفسية حادّة، والذنب في ذلك علىٰ الأمّهات اللواتي لم يخبرن بناتهن مسبقاً بأن مثل هذا الأمر طبيعي وعادي.

فالأمّهات وكما ذكرنا سابقاً يفترض أن يكُنَّ مأمن أسرار بناتهن، والآباء أيضاً يطلعون علىٰ أوضاع بناتهم من خلال الأم، وبعد حصول الحيض الأول يجب علىٰ الأم إفهام ابنتها بأنّها وبحمد الله قد أصبحت كبيرة، الآن، وستكون امرأةً وأمّاً، ومن هذا المنطلق تبدأ بتعليم ابنتها فنون الحياة وأساليبها.

٣ ـ التوعية إلىٰ المخاطر والأمراض: طوال مدة نموّ الطفل وما تستدعيه من جهود تربوية، يجب علىٰ الأمهات والآباء توعية أبنائهم أيضاً إلىٰ المخاطر التي ستواجههم. إذ أن هناك أنواعاً مختلفة من التلوّث تعترض سبيلهم أثناء الذهاب من البيت إلىٰ المدرسة أو بالعكس، ومَن هم الأشخاص الذين قد يقفون في طريقهم، وما هي المصائب التي قد يسببونها لهم.

ويجب تخصيص قسم من التوجيهات التي تقدم للأبناء، لتوعيتهم بشكل مباشر أو غير مباشر إلىٰ الأمراض الجنسية (الزُهرية) ويجب أن تطرح لهم هذه المسائل بالشكل الذي يثير الكراهية في نفوسهم إزاءها، ويجعلهم في خوف وقلق منها. ويفهمون جيّداً ضرورة حفظ أنفسهم من أنواع التلوّث. ويجب أن تتم مثل هذه التوجيهات طبعاً من خلال طرح القصص والأساطير المختلفة.

٤ ـ التوعية بالواجبات الشرعية: قلنا إن الآباء والأمّهات مكلّفون بتعليم أبنائهم كيفية الاغتسال ويقع علىٰ الأب العبء الأكبر في هذا المجال، فأفراد العائلة يجب أن يتعلّموا المسائل الشرعيّة منه، لذا فهو ملزم بتعلّمها وتعليمها للآخرين.

فنحن لا نحب أن يكتسب أبناؤنا الفضائل وهم جهلة، أو يكونوا أتقياء من غير تفكير وتدبّر. وإننا مكلفون بالسعي في سبيل توعيتهم بما ينبغي

عليهم، ولا نشعر بالخجل أثناء قيامنا بهذا التكليف.

وعلىٰ مشارف سنوات البلوغ، يجب أن يكون للأبناء الشجاعة الكافية ـ رغم الحجاب الموجود بين الوالدين والأبناء ـ لطرح أسئلتهم الشرعية علىٰ آبائهم وأمّهاتهم، والاستماع إلىٰ الإجابة الصحيحة. وأن أسئلتهم الجنسية أهون من قراءة الكتب والروايات والنشرات الجنسيّة التي تؤدي إلىٰ جر الأبناء إلىٰ التلوّث والانحراف.

وحتّىٰ أن الأمهات مكلفات أيضاً بترتيب تقويم لحيض بناتهن البالغات حديثاً، وعلىٰ الأم إعلام بنتها بأن دورتها تتراوح بين ٢٨ ـ ٣٠ يوماً، وإذا حصل فيها أي تقدم أو تأخر ما الذي يجب القيام به، وفي خلال هذه السنوات يفترض أيضاً تعليم الأطفال قضايا الحلال والحرام، وأن تتكون لديهم صورة واضحة عن حدود رغباتهم الأخلاقية والشرعية.

ب ـ ترسيخ الإيمان والأخلاق:

من جملة الواجبات التي يجب الاهتمام بها وخاصة في مجال التربية الجنسية التعاليم والتوجيهات الهادفة إلىٰ تمتين الإيمان والأخلاق. فالتربية الإيمانية والأخلاقية يمكنها التأثير كثيراً في الحفاظ علىٰ الأطفال من المخاطر وتوفير السعادة لهم.

ومن حسن الحظ أن مثل هذه الأرضية مهيّئة عند المراهقين والبالغين حديثاً، وهم مستعدون لمثل هذا في مثل هذه السن، بحيث يمكن تربيتهم تربية صالحة، وذلك لأن ابتداء البلوغ يقترن بابتداء الوعي الديني لديهم، إذ تكون قلوبهم حينذاك أرضاً خصبة ومستعدة لتقبل البذور التي تبذر فيها.

وبعض التوجيهات المفترض تقديمها في هذه السن تتعلق بالحدّ المعقول من الحجب والحياء الذي يجب أن يتصف به الأبناء. فقد يكون من أسباب انحراف الأطفال أحياناً الحياء الذي يتجاوز الحد المعقول، أو الجرأة

وعدم الحياء أكثر من الحد المعقول.

ج ـ الاكتفاء العاطفي:

ومن القضايا المهمة في تربية الطفل إشباعه من الحب والحنان؛ لأن عدم الإشباع يخلق لديه نواقص عاطفية، تسبب له بعض الآثار التي تبقىٰ لدىٰ الشخص حتىٰ آخر العمر.

فالأطفال الذين لم يشبعوا من الحنان يبقون عرضة للخطر، وكذلك الذين لهم تعلّق عاطفي شديد معرّضون أيضاً إلىٰ انحرافٍ من نوع آخر. ولهذا فإننا نوصي بالاعتدال في محبّة الأطفال حتّى لا يتعرضوا للزلل والانحراف.

ومن المفترض إبداء الحذر في إبراز هذه المحبة والملاطفة لأن مثل هذه العوامل ستدفع الشخص إلىٰ مزيد من الارتباط والتعلق، فالملاطفة ومسح اليد علىٰ أجزاء معيّنة من الجسم تمهّد الطريق لبعض الانحرافات لدىٰ الطفل.

د ـ الاستعداد للحياة:

مع تدرج الفتيان والفتيات بالنمو والنضوج يجب أن يتعرفوا تدريجياً علىٰ العالم المتفاوت لكل من المرأة والرجل، وعلىٰ الواجبات المناطة بكل واحد منهما في الحياة، وهذا يعني ضرورة أستيعاب الفتيان للواجبات التي سيكلّفون بها في القريب العاجل، ويجب أن تفهم الفتيات أيضاً الكيفية التي يجب أن يتّصفن بها وكيف يكون مسيرهنَّ في الحياة، وهم يجب أن يستقوا ذلك من خلال الاقتداء بحياة الوالدين.

ونحن لا ندعو هاهنا إلىٰ إيقاظ ما هو نائم وساكن بل إن ذلك يحصل بالتدريج وفي ضوء النضوج والتقدم في السن، والنقطة التي نراها جديرة بالذكر هنا هي أن نشرح لأطفالنا بشكل هادىء وسليم بعض المسائل قبل أن

يظلوا حائرين بشأنها، أو يسمعوها من ألسنة الآخرين. وحتّىٰ من المصلحة أن يسمع الطفل بهذه المسائل أو يعتاد علىٰ سماعها من أمّة عندما يكونا علىٰ انفراد، ومن جملة ذلك أن الأولاد يصبحون فيما بعد آباءاً والبنات أمّهات، ولكن يفضل طرح ذلك بصيغة القصة أو الرواية، لا بشكل وقح ومباشر. وتشير الدراسات إلىٰ أن الطفل الصغير إذا اعتادت أذنه علىٰ سماع هذه المسائل لن يتعرض للانحراف أيضاً.

مراعاة التدرج:

إن الأمر الذي ينبغي الالتفات إليه في جميع الجوانب التربوية للأطفال هو وجوب التدرج في العملية التربوية. فرغم السرعة التي نبذلها في إصلاح الأبناء وتوجيههم، فالضرورة تستدعي الحذر من الاستعجال غير المدروس. أما ما ذكرناه بشأن تعليم بعض المسائل للفتيات أبتداءاً من سن التاسعة فصاعداً، فهو لأن دخولها في سن العاشرة يعني بداية تكليفها الشرعي ومن المحتمل أيضاً حصول البلوغ المبكر لها. وفي هذه الحالة ينبغي تعليم الأولاد المسائل الشرعية بين سن ١١ و ١٣ سنة.

ومن الطبيعي أن يتعلم الأطفال الكثير من هذه المسائل عن طريق الدروس والأحداث والوقائع التي يمرون بها في حياتهم، وهذا ما يستدعي المبادرة المبكّرة من قبل الوالدين من أجل استباق أي استغلال أو انعكاس سلبي قد يحصل من ذلك. وبإمكان الوالدين الاستفادة من وجود المعلمين والمربين لطرح بعض التعليمات والتوجيهات، وفي مثل هذه الحالة يجب أن يتحلّىٰ المربّي بالمعايير والمواصفات الحسنة، وأن يكون مجهّزاً بالمعلومات الواضحة والكافية في هذا الشأن.

وفي جميع الأحوال عليكم أن لا تنسوا أن الطفل لا يستطيع طرح السؤال بصورة صحيحة علىٰ الآخرين، والحصول علىٰ الحقيقة كما ينبغي، ففي الوقت الذي يجب أن تتصف فيه وجهات النظر بالمزايا التربوية والتثقيفية، يجب أن تتسم أيضاً بالضوابط الأخلاقية والإنسانية.

الفصل الثالث

نوع المعلومات اللازمة

مقـدّمــة:

يمكن تقديم المعلومات المتعلقة بالغريزة الجنسيّة للأبناء بشكل مباشر أو غير مباشر. ففيما يتعلق بالتعاليم والتوجيهات الإسلامية نحاول جهد الإمكان تقديمها بشكل مباشر كما هو موجود في الرسائل العملية لمراجع التقليد. وأمّا فيما يتعلق بما تفرزه الإثارة والاستطلاع فإننا نحاول أستعمال الطرق والأساليب غير المباشرة.

فعند بداية ظهور الاحتلام لدىٰ الفتيان والحيض لدىٰ الفتيات توجد هنالك أساليب كانت بعض الشخصيات البارزة تستعملها بحق الأبناء. فقد ورد بشأن السيد ابن طاووس أنه احتفل ببلوغ ابنته وبارك لها ذلك ودعا لها بأن تكون أمًا صالحة وحتّىٰ أنه كرّمها ببعض الصدقات.

إن التعليم المباشر للقضايا الأساسية التي يحتاجها الأبناء، تتطلب مقدرة استثنائية وذكاءاً وحرصاً خاصاً، وذلك لوجوب تقديم المعلومات اللازمة للطفل من جهة ومن جهة أخرىٰ لا بد من المحاذرة لِئلا يكون ذلك سبباً لحصول الاستيقاظ الغريزي المبكّر. ومما لا شك فيه أنهم قد تعلّموا بعضاً من تلك المواضيع من كتبهم الدراسيّة، ومن المتوقع أيضاً أنهم قد تعلّموا بعضها من خلال أستماعهم لأحاديث الكبار.

التعليم غير المباشر:

يمكن الاستفادة من الأساليب والطرق التالية في التعليم غير المباشر لمسائل الحياة الغريزية، وكذلك للحصول علىٰ الأجوبة عن الأسئلة المتعددة التي تراود الأطفال وهي:

١ ـ **عن طريق تربية الحيوانات في المنزل:** لا تقتصر فائدة القطّة والحمامة في المنزل علىٰ اصطياد الفئران والبعوض، ولا فائدة الدجاج محصورة في وضعها لعدّة بيضات شهرياً، لنحقق منها نفعاً اقتصادياً. بل إن الأطفال يجدون في حياتها أيضاً بعض الإجابات عما يختلج في أذهانهم من الأسئلة.

فتربية الدجاج والطيور والحمام ودودة القز وحتىٰ النعاج في البيت تحل الكثير من المسائل، وتوالد القطة والبقرة يُزيل الكثير من الغموض الذي يكتنف الذهن. فالأطفال الذين يعيشون في المزارع والأرياف يجدون الجواب عن أسئلتهم أسرع من بقية الأطفال.

٢ ـ **تكثير الأزهار والنباتات:** إن زراعة البذور وإنتاج الأزهار وأنواع الأعشاب والنباتات ونموّها يعتبر درساً مناسباً ومشابهاً يستفيد منه الأطفال. وعند مشاهدة الطفل إيّاها يمكنه مطابقتها ومقارنتها مع حياته الواقعية، فهذا التكاثر والتوالد والإنتاج الذي يشاهده الطفل يشبه حياة الإنسان في جوانب عديدة، ولا يجعله حائراً في أمره. فدروس علم الحياة ومشاهدة صور النباتات والأعشاب تساعد الإنسان علىٰ فهم الكثير من القضايا بشكل غير مباشر.

٣ ـ **سرد القصص:** ومن الأساليب الأخرىٰ التي يمكن الاستفادة منها في هذا السياق ذكر القصص والأساطير التي يمكن حياكتها وترتيبها وتضمينها معلومات ونقاط مهمة قيّمة تجيب بشكل غير مباشر عن الأسئلة المتكررة التي يطرحها الأطفال والصبيان.

إذ يمكن في هذا الإطار سرد القصص التي تشرح حياة الحيوانات، والإنسان، وكيفية حياة الناس في الحقب الزمنية الماضية والتي تشتمل كل واحدة منها علىٰ قيم تربوية وبأسلوب مشوّق؛ إذ يمكن تقديم معلومات ثمينة في قالب القصّة المُفيدة للأطفال تشبع لديهم روح حب الاستطلاع أيضاً بالشكل الصحيح.

٤ ـ **ملاحظة ولادة الأطفال الجدد**: عندما يولد الطفل الصغير فإنه يُثير تعجّب وحيرة الأطفال، فكم هو صغير ومحبوب، يلاحظ أسلوب تغذيته ويرىٰ كيف أن الأم تقدم له ثديها بمنتهىٰ الحنان والشوق وتضعه في فمه وتغذّيه.

فملاحظة الأطفال لهذه المسائل ولطريقة تغذية الطفل تعلّمه الكثير من الأمور والمسائل الخافية عليه. فيطلع علىٰ بعض الشؤون، وعلىٰ كيفية النمو وعلىٰ بعض عالم النساء، ويفهم كذلك القضايا الخارجة عن ذلك النطاق، والتي لا تعتبر من واجبات النِساء. وما أكثر الأسئلة التي يطرحها الأطفال علىٰ أمّهاتهم عن هذه الموضوعات، فتجيب الأمهات عن ذلك بمنتهىٰ الصبر والتحمل، ويمكنها الاستشهاد ـ لإقناع الأطفال ـ بقضية الرحم وكيف كان الطفل صغير جداً وهو في داخله، وقد خلقه الله و. . .

ومن الطبيعي أننا يجب أن نحول دون اتساع نطاق الأسئلة، وإن حصل ذلك فبإمكان الأم تحويل أنتباه الطفل إلىٰ مواضيع أخرىٰ عن رحمة الله ولطفه بالناس وقدرته وخلقه للشمس والقمر والنجوم.

٥ ـ **استغلال الفرص**: تكتسب أيّة قضيّة أهميّتها من خلال إتاحتها لفرصة وأرضية جديدة. مثل الحمل وإسقاط الجنين وقضية الولادة سواء حصلت للإنسان أو للحيوان، وأثارت انتباه الطفل ورغبته في حب الاستطلاع. ففي مثل هذه الحالة تتوفر الفرصة لتقديم الكثير من المعلومات للطفل.

وليس معنىٰ ذلك أننا نجعل من الطفل طالباً جامعياً ونشرح له القضايا

بجميع أبعادها وتفاصيلها، ويجب الحذر كذلك من عدم رسوخ معلومات أو تصوّرات خاطئة في ذهنه، أو أن نخلق لديه ذكرىٰ نحتاج إلىٰ إزالتها من ذهنه فيما بعد. فكلما كانت المعلومات أكثر صحّة كانت سبباً للوعي الأكمل والأشمل للحقائق، ودافعاً للمناعة والثقة بالنفس.

وفي بعض الأحيان تكون الأم والطفل وحدهما. والأم مشغولة بغسل الثياب أو إعداد الطعام أو الاهتمام ببقية أمور المنزل، فيقوم الطفل بالتحدث معها من أجل التسلية، وفي مثل هذه الحالة يمكن للأم استغلال الفرصة وتعليمه الكثير من القضايا بكلمات وعبارات متناسبة.

وعلىٰ أية حال ينبغي أن يلتفت الوالدان والمربّون إلىٰ هذه النقطة وهي أن تقديم بعض المعلومات والحقائق قبل الأوان المناسب سيؤدي إلىٰ حدوث بعض الاضطراب في حياة الأطفال، ومن البديهي أن الاستيقاظ الجنسي السابق لأوانه يؤدّي إلىٰ النضوج الجنسي المبكّر.

الفهرس

المقدمة	٥
*** الباب الأول:** مدخل	١٣
ـ الفصل الأول: الغريزة الجنسية وأهميتها	١٤
ـ الفصل الثاني: دور الغريزة في حياة الإنسان	٢١
ـ الفصل الثالث: موقف الاسلام من الغريزة	٢٩
*** الباب الثاني:** الطفل والمسائل الغريزية	٣٧
ـ الفصل الأول: الطفل واكتشاف الغريزة	٣٩
ـ الفصل الثاني: الميول الغريزية وسيرها عند الطفل	٤٦
ـ الفصل الثالث: دور الغريزة في السلوك	٥٣
*** الباب الثالث:** عوامل إثارة الغريزة	٦١
ـ الفصل الأول: العوامل الذاتية في الإثارة	٦٣
ـ الفصل الثاني: العوامل الاجتماعية للإثارة	٧٠
ـ الفصل الثالث: العوامل الأخرى للإثارة	٧٧
*** الباب الرابع:** عوامل ايقاظ وإثارة الغريزة	٨٥
ـ الفصل الأول: العوامل المنغلقة بالطفل والمراهق	٨٦
ـ الفصل الثاني: العوامل المنغلقة بالحياة العائلية والبيت	٩٣
ـ الفصل الثالث: الظروف والعوامل الاجتماعية النفسية	١٠١
*** الباب الخامس:** الأسئلة الجنسية للأطفال والمراهقين	١٠٩
ـ الفصل الأول: أسئلة الأطفال الجنسية	١١١

- الفصل الثاني: نوع الأسئلة والأجوبة للأطفال والأحداث ١٢٠
- الفصل الثالث: اصول الإجابة عن الأسئلة ١٢٨

* **الباب السادس:** مسألة الاشباع الذاتي عند الأطفال والمراهقين ١٣٧
- الفصل الأول: مسألة الاستمناء أو الإشباع الذاتي ١٣٩
- الفصل الثاني: أسباب ودوافع الاستمناء ١٤٨
- الفصل الثالث: أضرار الاستمناء ١٥٦
- الفصل الرابع: الوقاية ١٦٥
- الفصل الخامس: علاج الإستمناء ١٧٢

* **الباب السابع:** الميول إلى نفس الجنس (الشذوذ الجنسي) ١٨١
- الفصل الأول: الميل إلى نفس الجنس ١٨٣
- الفصل الثاني: الدوافع الإجتماعية للإنحراف ١٩٠
- الفصل الثالث: الدوافع والعوامل النفسية للإنحراف ١٩٧
- الفصل الرابع: ضحايا الإستغلال الجنسي ٢٠٣
- الفصل الخامس: الوقاية من الإنحراف (الشذوذ الجنسي) ومعالجته ٢١٢

* **الباب الثامن:** الإنحرافات الأخرى عند الأطفال والمراهقين ٢٢١
- الفصل الأول: التظاهر الجنسي ٢٢٢
- الفصل الثاني: الإنحرافات الأخرى عند الأطفال والمراهقين ٢٢٨

* **الباب التاسع:** الأمراض الجنسية ٢٣٥
- الفصل الأول: البلوغ المبكر ٢٣٦
- الفصل الثاني: السادية والماذوشية ٢٤٤
- الفصل الثالث: السفلس والسيلان ٢٥١

* **الباب العاشر:** تأثير الإنحراف على الحياة ٢٥٥
- الفصل الأول: أثر الإنحراف على الفرد ٢٥٦
- الفصل الثاني: تأثير الإنحراف على حياة الآخرين ٢٦٣

* **الباب الحادي عشر:** الوقاية من الإنحراف ومعالجته ٢٧١

ـ الفصل الأول: أسباب وعوامل الإنحراف ٢٧٣
ـ الفصل الثاني: الأساليب العامّة في الوقاية ٢٨١
ـ الفصل الثالث: الرقابة الضرورية واللاّزمة ٢٨٨
ـ الفصل الرابع: الأساليب النفسية ٢٩٦

* **الباب الثاني عشر** ٣٠٣
ـ الفصل الأول: الهدف والغرض ٣٠٤
ـ الفصل الثاني: ٣١١
ـ الفصل الثالث اللاّزمة ٣١٨